كنت رئيساً لمصر

.. وأدركت أنه قد بقى عليّ واجب لابد من أدائه قبل الرحيل .. أن أكشف ما سترته .. وأزيح ما واريته وأكمل الصور التى أشرت إلى وجودها .

وبدأت رحلتى الشاقة فى التفتيش عن الأوراق والذكريات .. وفى مواجهة الأخطاء التى وقعت فيها .. والعيوب التى لم أتخلص منها .

لم أكن أتصور أن أعيش وأكتب هذه المقدمة .

ولم أكن أتصور أن الله سيمد فى عمرى إلى هذه اللحظة .. لحظة قراءة هذا الكتاب قبل أن يبتلعه ماكينات الطباعة .

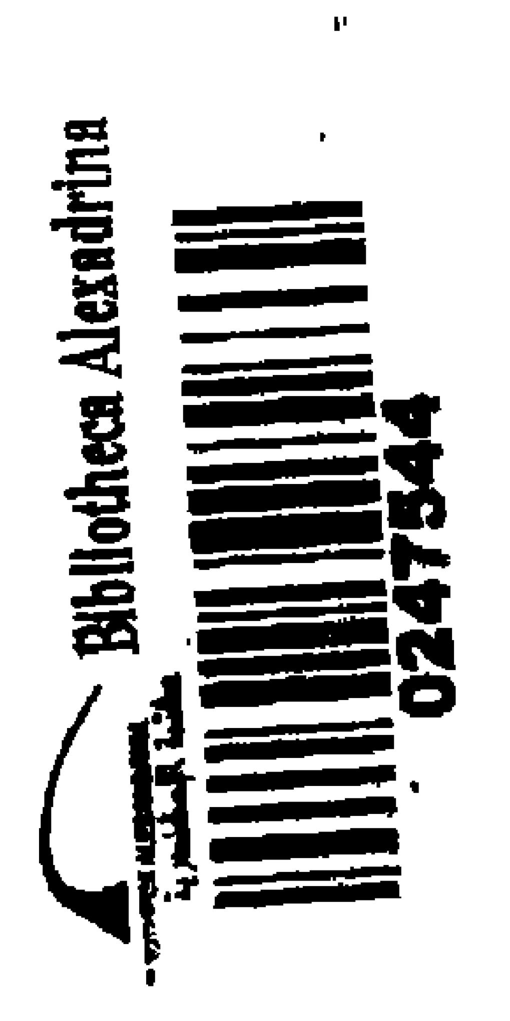
يمكنني الآن أن أموت وأنا مستريح البال والخاطر .. والضمير .

فقد قلت كل ما عندى .. ولم أكتم شهادة .. ولم أترك صغيرة ولا كبيرة إلا كشفتها .

إن هذا الكتاب سيعيش أطول مما عشت .. وسيقول أكثر مما قلت .. وسيثير عنى جدلا بعد رحيلى أكثر من الجدل الذى أثرته وأنا على قيد الحياة .

ولا يبقى سوى أن نؤكد صفحات الكتاب صدق ما أقول .. أسأل الله أن يتجاوز عما قصرت ويغفر لى ما أذنبت ويتقبل منى ما وفقت فيه .

محمد نجيب



الثمن ٢٠٠ قرش

مذكرات محمد نجيب

كنت رئيسا لمصر



المكتب المصري الحديث

الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٨٤

الطبعة الثانية أكتوبر ١٩٨٤

الناشر : المكتب المصرى الحديث
ـرة اللواء بالقاهرة تليفون ٧٥٤١٢٧
ـكندرية تليفون ٢٦٦٠٢

مقدمة

اقترب الآن من النهاية . . واحزم حقائبى استعدادا للرحيل . .

انني في الأيام التي يكون فيها الانسان معلقا بين الأرض والسماء .

في تلك الأيام التي يختفى فيها تأثير الجسد على البشر ويبقى نفوذ الروح . . ويبتعد فيها الانسان عن المادة ويغطى نفسه بالشفافية . . وينسى الالم والدسا والسلطة والمال والولد ولا يتذكر إلا الحق والتسامح والصدق والخير . .

أنام على فراش . . واقرأ على فراش . . واجلس وآكل واتحدث مع زوارى واقاربى واصدقائى . . إنه مابقى لى في الدنيا وآخر ما سأراه والمسه فيها . .

أحيا ايامى الآخيرة مع امراضى وشيخوختى . . جسدى نحيف شهيتى ضائعة . . بصرى ضعيف . . حركتى نادرة . . النوم يخاصمنى والارق يرافقنى . . ومع ذلك فالذكريات تلاحقنى . . التفاصيل الصغيره والكبيرة . . وذاكرتى لا تزال تعذبنى بكل ما رأيته وعشته منذ طفولتى إلى الآن . .

انني انام ساعات قليلة جدا . . لا اتناول في الصباح سوى بيضة واحدة مسلوقة . . وفي الظهر كوب من العصير . . وفي العشاء كوب آخر من العصير . . أما الادوية فلا حصر لها . . دواء لفتح الشهية . . ولتصلب الشرايين . . وفيتامينات . . وقطرة للعين . . واقراص مهدئة . . ودواء منشط للكبد . . وادوية آخرى لا احب أن اسرد اسماءها ولا وظيفتها . .

ويومى الطويل . . وليلى الأطول . . اقضى ساعاتها في القراءة المصحف الشريف . . وقراءة دفاترى القديمة التى نجحت في الا ..
طوال أكثر من ٣٠ سنة . . واحيانا في قراءة كتب اليوج

وفى هذه الحياة الرتيبة التى احياها جاءنى بعض الاصدقاء ورحبت بهم . . وتساءلت عن سر زيارتهم لى فأجابوا بأنهم يطالبوننى بمذكرات كاملة أودعها صفحات التاريخ . . وقد حاولت الأعتذار فى أول الأمر بأننى قلت كلمتى من قبل . . ولكنهم لم يقبلوا الاعتذار قائلين أن الكثير من الاوراق والوثائق والذكريات لا تزال حبيسة فى حوزتك . . وهى ليست ملكا خاصا لك وحدك . . ولكنها ملك الأجيال الجديدة وملك التاريخ . .

وتركنى الاصدقاء لأفكر فى الأمر وحدى . . إننى فى أيامى الهادئة هذه لا أريد أن اجرح احداً . . ولا اريد أن اعبث بسكينى فى جرح قد التأم . .

وقلبت فى اوراقى الخاصة . . وذاكرتى . . وقرأت ما نشرته من قبل ، وما نشر عنى . . واحسست فعلا أن عندهم حق . . فهناك وقائع لم أجد من المناسب ذكرها ، وهناك تفاصيل تجاهلتها . . وهناك أسماء لم انشرها . .

وأدركت أنه قد بقى على واجب لابد من ادائه قبل الرحيل . . أن اكشف ما سترته . . وازيح ما واريته وأكمل الصور التى اشرت إلى وجودها . .

وبدأت رحلتى الشاقة فى التفتيش عن الاوراق والذكريات . . وفى مواجهة الاخطاء التى وقعت فيها . . والعيوب التى لم اتخلص منها . .

لم أكن اتصور أن اعيش واكتب هذه المقدمة . .

ولم أكن اتصور أن الله سيمد فى عمرى إلى هذه اللحظة . . لحظة قراءة هذا الكتاب قبل أن تبتلعه ماكينات الطباعة . .

يمكننى الآن أن اموت وأنا مستريح البال والخاطر . . والضمير . .

فقد قلت كل ما عندى . . ولم اكتم شهادة . . ولم اترك صغيرة ولا كبيرة الا كشفتها . .

إن هذا الكتاب سيعيش اطول مما عشت . . وسيقول أكثر مما قلت . . وسيثير عنى جدلا بعد رحيلى أكثر من الجدل الذى اثرته وأنا على قيد الحياه . .

ولا يبقى سوى أن تؤكد صفحات الكتاب صدق ما أقول . . أسأل الله أن يتجاوز عما قصرت ويغفر لى ما اذنبت ويتقبل منى ما وفقت فيه .

محمد نجيب

الفصل الأول

ابن النيل

- لا اعرف تاريخ ميلادى بالضبط حتى الآن .
- دش بارد من جدتى على رأس ابى .
- عشر جلدات على ظهرى من الانجليز بسبب مصر .
- ابن أحمد عرابى قال لى : الضابط فى جيش الاحتلال مقاول أنفار .
- سنتيمتر واحد كان سيمنعنى من ان أكون ضابطا .

انا لا اعرف ، بدقة ، تاريخ ميلادى . .
او . . اعرف ثلاثه تواريخ لميلادى ، ولا اعرف ايهم أصح . .

ففى مفكرة ابى الخاصة ، كتب التاريخ الاول وكان ٢٨ يونيو ١٨٩٩ . . وكتب امامه نمرة واحد ولانه كان يطلق علينا ارقاما . . فيكتب نمرة واحد ولد يوم كذا . . ونمرة اثنين ولد يوم كذا . . وهكذا ولاننى كنت اعتقد اننى اكبر اخوتى ، فأننى تصورت اننى المقصود بنمرة واحد . . وتصورت ان هذا التاريخ يصبح تاريخ ميلادى . . لكننى اكتشفت ، فيما بعد ، ان ابى كان متزوجا من اخرى ، قبل امى ، وانه انجب منها اخى الاكبر عباس الذى توفى مبكرا . . ولذا اشك فى هذا التاريخ .

اما التاريخ الثانى ، فقرره القسم الطبى بالجيش . . وكان ١٩ فبراير ١٩٠١ . . واشك فيه ايضا ، لانه يخضع لتقديرات الآخرين . . والتى يسمونها عملية التسنين .

التاريخ الثالث ، وهو الذى اطمئن اليه اكثر . . فمأخوذ من تاريخ ميلاد احد اقاربى . . حيث اكد لى كبار العائلة انه أصغر منى باربعين يوما . . وبالحساب يصبح تاريخى الذى ولدت فيه هو ٧ يوليو ١٩٠٢ .

واذا كنت لا اعرف بالضبط ، تاريخ ميلادى ، فأنا اعرف جيدا ، اننى ولدت فى الخرطوم . . وكذلك امى . . اما جدة امى فمصرية الاصل . . من المحلة الكبرى .

وانا اعرف ان جدى لأمى كان ضابطا كبيرا فى الجيش ، برتبة اميرالاى . كان اسمه محمد عثمان بك . . وكان قائد حامية بوابة المسلمية ، احدى معاقل الخرطوم الجنوبية ، ومنها يبدأ الطريق الى واد مدنى .

وكان رجلا تقيا . . كريما . . يعرفه العربان الذين يعيشون فى الصحراء ، ويأتون الى الخرطوم لبيع المواشى والاغنام . . لانهم كان ينزلون فى بيته الذى حوله الى مضيفة لهم . . فى وقت لم يكن فيه فنادق او لوكاندات . . وفى هذه المضيفة ، كانو يأكلون ويشربون وينامون يستمعون لآيات الذكر الحكيم .

وقد انقذت هذه المضيفة جدى ، عند قيام الثورة المهدية وسقوط مدينة الخرطوم في يد انصارها يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥ ، من التنكيل به . . وانقذت اسرته من الذبح .

ففى ذلك اليوم هاجم انصار المهدى الخرطوم . . وكان بعضهم من العربان الذين يعرفون جدى جيداً . . سيطروا على سنار . . ودخلوا الخرطوم . . وامسكوا بالضابط الآخر الذى كان عليه حماية اجزاء اخرى من الخرطوم . . وكان اسمه فرج باشا . . وقطعوه بالساطور . . ثم زحفوا الى بيت جدى ليقضوا عليه ، ربما بنفس الطريقة ، ويسيطروا على الخرطوم تماما .

لكنهم ، قبل ان يصلوا اليه ، جاء له ضابط من ضباطه ، اسمه يوسف مصبعجى عائلته لاتزال فى السودان الى الان ، وقال له : يامحمد بك . . ماذا تنتظر . . لقد دخل انصار المهدى المدينة وقتلوا فرج باشا بالساطور . . لابد ان تهرب . . خذ هذا الجلباب الذى احضرته لك . . البسه على بدلتك العسكرية . . واهرب . . .

فقال جدى فى غضب :

اغرب عن وجهى . . اما انا فمن الركاب الى التراب .

واصر جدى على ان يقاتل حتى قتل ، هو واخوته الثلاثة : رضوان واحمد وشرف ، وكانو هم ايضا ضباطا .

بل انه قبل ان يواجه قوات المهدى ، اوصى ابنه الاكبر ، صباح ذلك اليوم ، بأن يقتل كل افراد اسرته ، اذا سقطت الخرطوم ، حتى يجنبهم ذل الاسر ، ومهانة العدو .

لكن . . هذا لم يحدث . .

لم تقتل الاسرة . .

ولم تذق ذل الاسر ومهانة العدو ...

فقد تقدم ، اثنان من العربان ، الذين كانوا ينزلون فى مضيفة جدى ، ويعرفون كرمه وشجاعته ، وكانا من امراء جيش المهدى ، ليرفعا راية بيضا على باب هذه الاسرة ، بامر من السيد محمد احمد المهدى ، فأصبحت الدار حرما لاينتهك ، وصبح اهلها فى مأمن من اى اعتداء . .

بهذه الصدفة ، نجت عائلة جدى من الذبح .

وكانت تلك العائله الصغيرة مكونة من جدتى . . وابنها الراشد اسماعيل واخيه الطفل عبد الوهاب واخته الرضيع زهرة . . وهى التى اصبحت ، فيما بعد ، امى .

وعاشت تلك العائله فى ظروف صعبة جدا . . لم يكن لها معين . . ولم يكن لها اى مصدر من مصادر الدخل الثابت . . واضطرت جدتى ان تعمل فى حياكة ملابس الدراويش . . وخرج ابنها اسماعيل مع قوافل التجارة ، التى لم تنقطع بين شمال الوادى وجنوبه ، لاسيما عن طريق درب الاربعين ، الذى كان يربط غرب السودان بمدينة اسيوط ، وغيرها من مدن الصعيد . . ودرس عبد الوهاب على يد واعظ الخرطوم ، اصول القراءة والكتابة وعلوم الدين . . وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره ، اشتغل هو الآخر بالتجارة . . وبعد عام هرب مع قافلة من التجار ، برفقة تاجر من اسنا الى مصر . . وسعى لمقابلة الخديو عباس حلمى ، الذى كان معنيا بشئون السودان ، ويعرف عنه الكثير . . ونجح فى ان يقابله .

عرفه خالى بنفسه . .

فقال له الخديو :

انا اعرف اباك ، واعرف شجاعته ، واسمه ومواقف مسجلة عندى فى المحفوظات . . وقد امرت بتعليمك على نفقتنا الخاصة ، من المدرسة الابتدائية الى المدرسة الحربية .

فى المدرسة الحربية التقى خالى عبد الوهاب ، بأبى يوسف نجيب ، الذى كان طالب برتبة انباشى فى المدرسة . . التى كان مقرها وقتئذ بالعباسية مكان السرايا الصفراء . . مستشفى الامراض العقلية الان .

يوسف نجيب - ابى - كان يتيماً من سن ١٣ سنة .

ولد فى قرية النحارية . . مركز كفر الزيات مديرية الغربية اشتغل بالزراعة والرعى . . وكان من الممكن ان يظل كذلك حتى آخر عمره ، لولا ابن عمه فتح الله رضوان ، المحامى ، الذى كان مقيما فى بنى سويف ويزور اسرته فى النحارية ، من وقت لآخر . .

اعجب فتح الله بحسن استعداد يوسف نجيب ، وسرعة خاطره ، فأصر على ادخاله مع نجله محمود فتحى المدرسة ، حتى حصلا معا على الشهادة الابتدائية ثم التحق يوسف بمدرسة الفنون والصنايع . . واكمل محمود دراسته القانونية حتى حصل على الدكتوراة من فرنسا .

فى اثناء دراسته بالفنون والصنايع كان يوسف ماهرا فى الالعاب الرياضية . . خاصة كرة القدم . . وكثيرا ما استغل هذه المهارة فى تدريب الطلبه على هذه الالعاب ، مقابل اجر ، يستعين به على نفقات المعيشة .

وفى سنة من سنوات الدراسة فى الفنون والصنايع وقعت له مفاجأه غيرت مجر حياته كان يعود فريق المدرسة فى احدى مباريات كرة القدم . . وكان فى مقدمة المتفرجين كتشنر الحاكم العام الانجليزى . . وفى احدى الهجمات ، وقع على الارض ، وانكسر ذراعه . . لكنه قام ليكمل المباراة ، بعد ان وضع ذراعة المكسور وراء ظهره . . وتحمل الآلآم حتى انتهت المبارة . . وفاز فريقه . . وطلب كتشنر -ان يصافحه . . فاعتذر . . وعرف كتشنر سبب الاعتذار . .

وقال له :

- انت مكانك الطبيعى فى المدرسة الحربية .

- لكننى طالب فى الفنون والصنايع وامتحاناتى على الابواب . .

- ولا يهمك . . نحن سنساعدك ، وسنسهل عليك كل شيء .

وتخرج يوسف نجيب من مدرسة الفنون والصنايع ، ودخل المدرسة الحربية . . وهناك التقى بخالى عبد الوهاب محمد عثمان . .

فى ٢٦ مارس ١٨٩٦ تخرج يوسف نجيب من المدرسة الحربية . . وسافر على الفور الى السودان ، ليلتحق بالكتيبة ١٧ - مشاه . . وكانت حملة دنقله الكبرى قد بأت ، فاشترك فى اغلب معاركها ، واشترك فى اغلب معارك استرجاع السودان حتى عام ١٨٩٨ . . وجرح ثلاث مرات . . كانت احداها شديدة من اثر ضربة سيف فى ركبته اليسرى . . ونفذت رصاصة اخرى من طربوشه ، واحدثت جرحا سطحيا فى الرأس . . والجرح الثالث كان فى صدره .

ويشاء القدر ان تكون الكتيبة ١٧ - مشاه ، التى التحق بها والدى فى بداية خدمته ، هى نفس الكتيبة التى التحقت بها فور تخرجى من المدرسة الحربية عام ١٩١٨ . . بل ان قائد سرية الوالد عام ١٨٩٦ ، اصبح قائد كتيبتى عام ١٩١٨ ، وهو الاميرالاى حامد سعد بك . . وصادفت ايضا قائد آخر عندما التحقت بهذة الكتيبة هو الاميرالاى عبد الله فهمى بك . . وكان من زملاء والدى فيها .

ولم يكن هذا ، فقط ، وجه الشبه الوحيد بينى وبين ابى . .

فقد اصبحت يتيما مثله فى سن ١٣ سنة .

واصيبت فى المعارك بسبعة جروح ، لم اسجل منها سوى ثلاثة ، مثله

وتزوج هو اكثر من امرأة . . وانا كذلك .

فبعد موقعة الحفير بدنقلة ، عام ١٨٩٨ تزوج بسيدة سودانية من قبيلة الشايقية ، اسمها سيده محمد حمزة الشريف ، وانجب منها ثمره واحد . . او ابنه الاكبر عباس . . ثم طلقها . .

بعد الطلاق ارسل والدى ابنه عباس الى النحارية ليشتغل بالزراعة . . لكنه لم يعش طويلا . . وان كان اولاده واحفاده يعيشون هناك الى الان .

وبعد استرجاع السودان . . استقرت احوال يوسف نجيب . . فقرر الزواج مرة اخرى .

سمع عن اسرة المرحوم محمد عثمان فى ام درمان . . وشجعه البعض على الزواج من ابنته زهرة . . فلم يكذب خبرا . . وراح يلف وهو على ظهر جواده حول البيت لعله يراها . . وعندما طلب ماء صرخت فيه الام :

ـ ماذا تريد بالضبط؟

لم يرد . . .

فاذا بها تسكب الماء على رأسه بدلا من ان يشربه . .

وقالت له :

ـ لعلك تفيق . .

لكن لم يستسلم . . وعاد يطرق الباب . .

وقبل ان تغلظ له القول . . قال لها :

ـ اريد ان اتزوج ابنتك !

فاذا بها تصفع الباب فى وجهه ، وتقول له :

ـ ليس بهذه الطريقة تزوج العائلات المحترمة بناتها . . ان للبنت رجالا يجب ان تتكلم معهم . .

فقال :

ـ انا اعرف ان ابن عمتها عبد الله حسن كان وكيل مديرية الخرطوم لكنه مات . . ولا اعرف لها اقارب آخرين . .

قالت :

ـ ان ابنى ضابط مثلك فى الجيش واسمه عبد الوهاب محمد عثمان . . اسأل عنه . .

قال :

ـ مش معقول . . عبد الوهاب . . انه صديقى جدا . .

قالت :

ـ اذن اكتب له . . واذا وافق . . تتزوج .

وكتب يوسف نجيب لعبد الوهاب عثمان خطابا يطلب فيه الزواج من اخته زهرة . . ووافق عبد الوهاب . . وحضر الزفاف بنفسه . . اذ انه عين ضابطا بالكتيبة ١٥ ـ السودانية ، فى نفس التاريخ الذى تزوج فيه ابى . . عام ١٩٠٠ .

انجب ابى ثلاثة ابناء . . إنا أكبرهم . . والثانى على نجيب الذى كان ضابطا بالجيش المصرى حتى يوليو ١٩٥٢ ، ثم سفيرا لمصر فى سوريا . . والاخير هو الدكتور محمد نجيب . . وانجب ايضا ست بنات (دولت . زكية . سنية . حميدة . نعمت . ونجية) .

فى السودان ، حيث عاش والدى ، من يوم ان وصلها حتى مات ، ولدت . . وتفتحت عيناى . . وعشت سنوات طفولتى وصباى . . كان بيتنا بالقرب من الجامع العتيق فى الخرطوم . . كان منزلا متواضعا . . مكونا من اربع حجرات . . واصبح فيها بعد ناديا للموظفين المصريين .

ثم بيع للكونت ميخالوس عام ١٩٢٥ بعد الاحداث التى وقعت فى هذا العام ، بناحية ساقية ابو معلا .

فى هذا البيت . . ولدت .

وقبل ان ابلغ الثالثه من عمرى ، انتقل والدى الملازم اول يوسف نجيب ، ونحن معه الى وادى حلفا . . حيث عين مأمورا لسجنها الحربى . . ومن حلفا الى واد مدنى . . مأمورا للسجن الحربى هناك ، ايضا .

فى واد مدنى دخلت كتابها الصغير . . والكتاب يسمى فى السودان بالخلوة . . والتلاميذ يسمون بالحيران . . والكتاب مثل اى كتاب مصرى . . يقوم بتحفيظ القرآن وتعليم اصول القرآن والكتابه ويشرف عليه فقيه يدفع له الاهالى راتبا منتظما وعند ما يتم جزءاً من القرآن يأخذ مقابلا يسمى حق الشرافة .

وقد كنت احب عريف الكتاب . . وكنت اساعده فى جمع الحطب يوم الاربعاء . . آخر يوم بالنسبة لنا فى الاسبوع . . اذ ان اجازة الكتاب كانت يومى الخميس والجمعة . .

وكل يوم اربعاء ، قبل ان نودع شيخنا ، كنا نأكل معه الذرة المسلوقة ، ونأخذ شيئا منها الى بيوتنا للتبرك . . وكانت هذه العادة تعرف بكرامة الاربعاء .

ومن واد مدنى ، انتقل ابى الى بلدة سنجا ومنها الى ابو نعامه بمديرية سنار . . ثم الى دلقو بمديرية حلفا . . .

وهذه المناطق لم يكن بها مدارس . . وكان على ابى ان يعمل كمأمور لها فى الصباح ، وكمدرس لنا فى المساء . . وكثيرا ماشجعنى على استذكار دروسى بمكافآت سخية فى صورة هدايا . . ساعة يد . . اكورديون . . بندقية صيد . شيء من هذا القبيل .

وفى دلقو . . ترك هذه المهمة لصديقه عمدة البلدة الشيخ فرح صالح . . والد الاميرالاى السيد فرح واحد من ابطال احداث ١٩٢٤ بالسودان . . وفى عام ١٩٠٨ انتقل ابى الى وادى حلفا وعين مأمورا بها . . واستقرت اسرتنا فيها حوالى خمس سنوات . . وفى ذلك العام بدأت دراستى النظامية فى مدرسة حلفا الابتدائية . . وهى من اوائل المدارس التى اقامتها الحكومة المصرية لتعليم ابناء المصريين الذين يخدمون فى السودان . واعترف اننى وانا تلميذ فى المدرسة الابتدائية لم اكن متفوقا فى دراستى . . فى السنه الأولى كان ترتيبى السادس عشر وفى السنه الثانيه

كان ترتيبى الخامس عشر . . وفى السنة الثالثة ، رسبت .

ولعل السبب فى ذلك هو عدم الاستقرار الذى كنا نشعر به ، لترحال ابى المستمر فى اربعة ارجاء السودان . . ولعل السبب هو انه كان يتركنا بعيدا عنه ، احيانا ، لصعوبة الاقامة فى بعض المناطق التى خدم بها . . كأقليم الزنك بمديرية اعالى النيل . . ولعل السبب هو اننى كنت افضل عن الدراسة ، حفر الخنادق ، والاستحكامات ، والتشبه بالجنود والضباط ، حتى اننى كنت البس قايش ابى حول وسطى واصف امامى اشقائى وبنات خالى ، واعلمهم الضبط والربط . وكان جزائى على ذلك ، دائما ، الضرب . .

وعندما زاد الامر الى حد تفجير البارود فى حوش البيت ، تحول الضرب الى عقاب اشد . . وهو جرحى بالموس . . وكانت امى هى التى تتولى عقابى . . وكانت جدتى لاتمنعها من عقابى . . ولكنها ، كانت تضمد جراحى ، برش الملح عليها . . وربطها بالشاش . . ثم . . تضع رأسى فى حجرها ، وتقص على جزءاً من تاريخ جدى . . وجزءاً من كفاحها من اجل اسرتها بعد استشهاده . . وجزءاً من كفاح خالى ، الذى سافر الى مصر على قدميه . . ومن بين كل الشخصيات التى كانت تحكى عنها ، كانت تبهرنى شخصية خالى عبد الوهاب كنت احلم ان اكون مثله . . وان اهرب مثله فى درب الاربعين الى القاهرة . . وكنت اتعجل الايام لاكبر الى العمر الذى هرب فيه من اسرته . . وكنت احب الهوايات التى كان يحبها ، مثل الصيد والرماية وركوب الخيل . .

كنت احبه جدا . .

لكن . .

جاء الموت ليخطفه على جواده الاسود . .
فى عام ١٩١٠ كان مأمورا للرهيعهوحضر الى حلفا مريضا بحمى الكالازار وسرعان ماتوفى ودفن بها .
وبكيت عليه كما لم ابك من قبل . .
واعتصر الحزن قلبى عليه . .
وما كادت الدموع تجف فى بيتنا ، وما كادت الاحزان تغرب عنا ، حتى وقعت فاجعة اشد . .
مات ابى . .
كان فى مأمورية باحدى ضواحى واد مدنى ، واضطر ان يقطع مسافة اربعين ميلا على ظهر جواده ، فأصيب بالتهاب فى الزائدة الدودية ، فنقل الى المستشفى بالخرطوم لاجراء جراحة سريعة له . . لكن . . الموت كان اسرع من الاطباء .
كان ذلك فى ٩ يونيو ١٩١٤ .
كان عمره ٤٣ سنة . . وكان برتبة يوزباش . .
وكنت ساعة الوفاه ، على بعد خطوات من المستشفى التى مات فيها ، طالبا بكلية غوردن . . لايزيد عمرى على ١٣ سنة .
وعرفت الخبر . .
ودخلت غرفة المشرحه . . ورفعت الغطاء من على وجهه . . وامسكت بدموعى امام الاطباء المصريين والانجليز . . وقبلت جبينه . . وتقبلت العزاء فيه . .
وظللت صامدا ، متماسكا ، حتى انفردت بنفسى ، وانفجرت بالبكاء .
بكيت على ابى بحرقة . .
وبكيت على حالنا من بعده . . .
فقد ترك ابى اسرتنا المكونة من عشرة افراد ، دون ان يترك إلا ١٩٦ جنيها ، مكافأة خدمته ، وجنيهين و ٣٠ مليما كمعاش شهرى ، وسبعه جنيهات ونصف ايجار منزلنا المؤجر لنادى الموظفين .
وكان ابى قد ورث عن جدى ثمانية فدادين . . اشترى عليها اربعه اخرى ، فأصبح مجموع ثروته من الارض نحو اثنى عشر فدانا . . وكان من الطبيعى ان تساعدنا هذه الافدنه على تحمل نفقات الحياة من بعده ، الا ان عمى وضع يده عليها ، واصر على انها من حقه ، لانه ، كما قال ، قد سلف والدنا الف جنيه .

لم يردها له قبل رحيله . . وقال : انه سيأخذ الارض الى ان نسدد له الالف جنيه . . وكان مستحيلا ان ندفع له مايطلبه ، لان دخلنا لم يكن ليكفينا . . اصلا .
واحسست بالمسئولية قبل الاوان .
لكن . . ما باليد حيلة .
لم يكن امامى سوى الاجتهاد فى دراستى بكلية غوردن .
وكلية غوردن افتتحت عام ١٩٠٣ ، بعد ان جمعت لانشائها تبرعات فى لندن والقاهرة ، بلغت نحو ١٣٠ الف جنية . . وكان كل من يشرب عليها من الانجليز ، يشجعون دخول السودانيين فيها ، ويمنعون دخول المصريين . . وكان دخولى فيها استثناء ، لان والدى كان من موظفى الحكومة السودانية قبل ان يكون من ابناء الجالية المصرية .
كانت مدة الدراسة بهذه الكلية اربع سنوات . . وكانت مقسمة الى ثلاثة اقسام مستقلة . . المعلمين . . المهندسين . . والقضاه . . وكانت رغبتى ان ادخل قسم المهندسين ، لكنهم رفضوا واصروا على أن ادخل قسم المعلمين . . ولان ابى كان يعمل فى واد مدنى . . وغير مقيم بالخرطوم كان لابد ان ادخل القسم الداخلى بالكلية .
وأيام الدراسة فى غوردن لم تكن هادئة ، ولا هانئة . . . ابدا . .
كنت طالبا فى السنة الثانية بالكلية (١٩١٤) وجاء المستر ن . ر . سمبسون ، مدرس اللغة الانجليزية ، ليملى علينا قطعة املاء . . جاء فيها : ان مصر يحكمها البريطانيون .
فلم يعجبنى ذلك . . وتوقفت عن الكتابة . . ونهضت واقفا . . وقلت له : لاياسيدى . . مصر تحتلها بريطانيا فقط . . ولكنها مستقلة داخليا . . وتابعة لتركيا .
فثار المدرس الانجليزى ، غضب ، واصر على ان اذهب ، امامه الى مكتبه وامر بجلدى عشر جلدات على ظهرى . . واستسلمت للعقوبة المؤلمة دون ان اتحرك ، أو افتح فـمى .
كنت متأثرا ، فى ذلك الوقت ، بكتابات مصطفى كامل ضد الانجليز . . وكانت تلك الكتابات تهرب سرا من مصر الى السودان . . وكنا نقرأها بعيدا عن الاعين ، ونحاول ان نقلد صاحبها على قدر استطاعتنا .

وفى مرة اخرى ، كنت اجهز لالقاء محاضرة فى الكلية عن حضارة الاسلام . .
وكان معى اثنان من زملائى هما يونس نجم ، واحمد ماضى ابو العزائم . .
وعرف المسئولون فى الكلية الامر . . فجاء الينا المشرف الانجليزى ، وقال :
ـ ماذا ستفعلون ياحيوانات . . هل هى فوضى . . كان يجب ان تأخذوا اذنا منا ؟!
وغضبت من كلمة ياحيوانات ، وطلبت منه ان يعتذر فاذا به يأمر بجلدى عشر جلدات على ظهرى .
ولم تمر عدة ايام ، حتى جلدت ، عشر جلدات ، مرة ثالثة . .
دخل مدرس اللغة الانجليزية الفصل ، ليوزع علينا كراسات الانشاء . . وجاء عند كراستى ، وقرأ الملحوظة التى كتبها فى نهاية موضوع . . وكانت ، كما قال :
(الانشاء جيد لكن الخط ردىء جدا) .
واذا به يلقى بالكراسة ، على طول ذراعه ، من النافذة . . ثم . . امرنى ان اذهب لأحضرها . . لكننى رفضت . . واصررت على الرفض وعندما كرر على الطلب ، قلت له :
ـ مادمت قد رميت الكراسة ، فارسل وراءها من يحضرها . . اما انا فلن اذهب !
فهددنى بالجلد . .
فقلت له :
ـ انا اقبل الجلد ولا اقبل الاهانة !
ونفذ الرجل تهديده . . وجلدت .
كان الجلد فى كلية غوردون هو العقاب الذى نناله بمناسبة او بدون مناسبة ، على يد الانجليز . . ولكن . . الاهانة التى كنا نذوقها على ايديهم اشد من قسوة الكرباج على ظهورنا .
واذكر بالمناسبة ، اننى بعد ان تخرجت ضابطا ، ذهبت لزيارة الكلية . . مثل اى تلميذ يذهب الى مدرسته القديمة بعد ان يكبر . . كنت قد نسيت الاساءه . وكان صدرى يمتلىء بمشاعر الود للمكان . . ولكن هذه المشاعر انقلبت الى غضب وقرف وزهق عندما دخلت من الباب ، ووجدت لوحة كتب عليها :
محظور على الطلبه السودانيين الاختلاط بأبناء المصريين ، عموما ، نظرا لما شوهد على الآخرين من قذى وقذارة وتفشى الامراض العفنه بيتهم كالرمد الحبيبى والتيفود وغيرهما .

ولم اشعر بنفسي الا وانا انزع الورقة المكتوب عليها هذا الكلام ، وحملتها الى قائد كتيبتي محتجا وثائرا ، فأخذني ورحنا الى قائد حامية الخرطوم ، وكان اسمه سميث واجبر مستر يودال وكيل الكلية على الاعتذار علنا في الكتيبة ، ونبه عليه بعدم تكرار مثل هذه التحذير ات الوقحة .

ويشاء الله ، ان يصاب ، مستر يودال ، بعد ذلك ، بمرض الجذام ، عام ١٩٣٩ ، في جزر بهاما ..

الى هذا الحد كان الانجليز يتعاملون معنا ..

والى هذا الحد كنا نرفض هذه المعاملة .

ولكني رغم ذلك ، لاانسى فضل كلية غوردن على ..

بعد ان تخرجت فيها ، التحقت بمعهد كان يسمى « معهد الابحاث الاستوائية » لكي اتدرب على الالة الكاتبة ، وعلى اعمال الموظفين الاداريين تمهيدا للعمل كمترجم .. وكان عمل المترجم ، عملا متواضعا ، ايامها .

وتخرجت في هذا المعهد ، لاعمل موظفا بثلاثه جنيهات في الشهر ..

لكنني لم اكن مقتنعا بذلك ..

وقررت دخول الجامعة ..

كنت اريد دراسة الطب ، او الحقوق ، لكنني تراجعت عن هذه الامنية ، بسبب مصاريف تلك الكليات التي لاتقدر عليها اسرتي ..

فقلت :

ـ ادخل المدرسة الحربية ..

وسيطر على كياني ، من جديد ، المغامرة التي قام بها خالي ، على قدميه ، في طريق الاربعين ، من الخرطوم ، حتى المدرسة الحربية وقلت ما في داخلي لصديق العائله ابراهيم احمد عرابي .. ابن احمد عرابي باشا .. والذي كان باشكاتبا في مديرية الخرطوم ..

فقال لي :

ـ هل تريد ان تصبح ضابطا ، حقا ؟

قلت :

ـ نعم !

قال في استنكار :
ـ هل تريد ان تكون ضابطا في بلد محتل ؟! . . ان الضابط في بلد محتل ليس الا مقاول انفار ، اورئيس « فعله » . . كل عمله الحفر والردم . . لا اكثر ولا اقل !
قلت وحلم المغامرة الى القاهرة يسيطر على عقلى :
ـ سأجرب حظى !
فلم يرد .
تركته لا ستعد ، بيني وبين نفسي ، للسفر . الى . . القاهرة .
واعترف انني . . خفت . .
ليس بسبب الطريق ، ولكن بسبب قصر قامتى عن الطول المطلوب للقبول بالمدرسة الحربية . . وكنت اقل من ذلك الطول بسنتيمتر واحد . . وفعلت المستحيل ، بممارسة الالعاب الرياضية ، لكى اممى طولى واصبح لائق . . لكننى فشلت . .
وكانت هناك مشكلة اخرى . .
كيف اصل من الخرطوم الى القاهرة »
هل اسير على قدمى ، في طريق الاربعين ، كما فعل خالى »
حسمت ترددى . . واحصيت النقود التي ادخرتها من عمل المتواضع ، كموظف . . وتوكلت على الله . . وقررت المغامره . .
كان معى ٩ جنيهات . . اعطيت امى منها ستة . . واحتفظت لنفس بالباقى ، لرحلتى .
وفى يوم ٥ يناير ١٩١٧ هربت ، دون ان اخبر احدا . . الى القاهرة . . الى مصر ام الدنيا .
ارتديت الزى الوطنى السودانى ، وركبت الدرجة الرابعة في القطار ، والتى كانت ارخص ، لانها كانت مخصصة للسودانيين فقط . . ووصلت القاهرة بعد ستة ايام .
الى حلفا من الخرطوم في ٣ ايام بالقطار . . الى اسوان من حلفا بالباخرة فى يومين . . والى القاهرة من اسوان في يوم .
وكانت رحلة من العذاب ، لكننى لم اشعر بذلك العذاب . . فالمسافة بين

الحلم والواقع . . بين المستقبل والحاضر . . بين المستحيل والممكن هى مسافة من الامل والعرق مهما كان طولها ومهما كان عذبها .

وصلت القاهرة فى ١١ يناير . . وذهبت للمدرسة الحربية . . وعرفت انى وصلت متأخرا ١١ يوم . . وان الدفعة المطلوبة بدأت الدراسة فعلا . . واحسست اننى من مر عليه قطار الصعيد . .

كانت صدمة . .

لكننى لم اعلن هزيمتى . . وجاهدت حتى اتصلت بالسلطان حسين كامل . . ثم قابلت سردار الجيش الانجليزى ، سير وينجت باشا ، وعرفته بأبى وخالى . . كان اللقاء فى السفارة البريطانية . . وكان معه رئيس اركانه ، ميجور كامبل . . وقدمت له طلب الالتحاق بالمدرسة الحربية ، كنت كتبته على الالة الكاتبة . . فسألنى :

- من كتب لك الطلب على الالة الكاتبة ؟

- انا . .

- هل هذا اسلوبك فى الكتابة ؟

- نعم . .

- رائع جدا .

والتفت الى رئيس اركانه ، وقال :

- ميجور كامبل . . اكتب خطابا للمدرسة الحربية ليأخدوه فى الدفعه التالية .

وحملت الخطاب فى صدرى . . ولم اصبر حتى اصل الى المدرسة الحربية لاعرف مافيه . . ففتحته فى السكة . . وقرأته :

كان فيه عبارة واحدة :

« اقبلوا الطالب المذكور اذا كان لائقا ».

وفى المدرسة الحربية قالوا لى :

- يمكن نطلب دفعة فى ابريل او فى يوليو . . عد الى السودان . . وسنرسل لك تلغرافا على عنوانك فى الخرطوم ، لتحضر . .

واعطونى تذكرة مجانية للعودة الى الخرطوم . . وتذكرة اخرى من الخرطوم الى القاهرة .

وانقذتنى تذكرة العودة . . فقد نفذت الجنيهات الثلاثه التى كانت معى ، بعد ان بقيت فى القاهرة ، حوالى الشهر ، تقريبا ، عشت فيه على نوع واحد من الطعام هو الفول والطعمية والسلاطة الخضراء .

وعدت الى الخرطوم . .

وعشت اياما من الشماتة ، بسبب فشلى فى دخول المدرسة الحربية . . كانت الشماته من مستر سمبسون وغيره من المدرسين الانجليز فى كلية غوردن . . وكانت شماتتهم يومية . . اذ اننى لم اجد وظيفة اكسب منها الا بمعمل الكلية التى يعملون فيها .

ولكن شماتتهم لم تستمر طويلا . .

ففى ٢٦ مارس ١٩١٧ جاء تلغراف من المدرسة الحربية ، لاحضر الى القاهرة . وسافرت .

ونجحت فى الكشف الطبى . . فى الاختبارات الاولية الاخرى . . ولم تكن تلك الاختبارات لتزيد عن بعض التمارين الرياضية . . ومعرفة قواعد الحساب . . وقطعة من الاملاء . . فطلعت الاول . . وقال لى مدير المدرسة الحربية ، هربرت باشا :

ـ مبروك نجيب . . اتمنى ان تكون مثل والدك .

وعدت للسودان مرة ثانية فى انتظار البرقية التى تحدد لى ميعاد كشف الهيئة . . الكشف الذى سيكتشفون فيه اننى اقصر من المطلوب بسنتيمتر واحد . . وجاءت البرقية . .

وكانت الرحلة هذه المرة على اعصابى . .

ففى المسافة بين حلفا واسوان دخلت السفينة فى الطين . . غرزت . . لمدة ٢٤ ساعة . . فارسلت برقية الى مدير المدرسة الحربية ، اعتذر فيها عن تأخرى عن الموعد يوما وقلت له السبب : المركب تعطلت .

ووصلت أسوان ، ورحت لاستقل القطار الى القاهرة ، فاذا بالقطار معطل ست ساعات ، بسبب انقلاب قاطرة على الشريط . . فارسلت برقية اخرى . . وذكرت السبب ايضا .

ونزلنا الاقصر لنغير القطار . . واذا بالقطار الذى سنركبه يتأخر هو الآخر . . فارسلت برقية ثالثة . . وذكرت السبب الجديد .

واخيرا . . وصلت القاهرة . .

وكان فى انتظارى على المحطة صديق لابى اسمه محمد السيد سماحة ، كنت قد ارسلت له تلغرافا ، اطلب منه ، فيه ، ان يحضر لى بدلة جديدة لكى ارتديها فى كشف الهيئة . .

واحضر الرجل البدلة . . ودخلت الاستراحة لألبسها . . لكنها كانت واسعة جدا . . ومع ذلك رحت بها كشف الهيئة .

اما المدرسة الحربية وجدت مئات الطلبة الذين لم ينجحوا فى كشف الهيئة ، يسدون الابواب ومن الصعب اختراقهم . . ماذا افعل ؟ . . طلعت بسرعة على اكتافهم ، وارتكنت على السور ، ورحت اصرخ بأعلى صوتى :

« انا الطالب الى جاى من السودان . .

فجاء لى « او نباشى » ما ازال اذكر اسمه ، وهو عبد الله النمر ، وقال لى :

ـ انت فين . . تعالى . .

ونزلت من على السور ، ورحت معه ، وتحت شجرة توت كبيرة طلب منى ان اجلس وانتظره . .

وقال :

ـ لاتتحرك من هنا حتى لاتضيع فى الزحام . .

وكانت الاوامر التى اصدرها رئيس اركان حرب المدرسة الحربية ، على باشا فهمى ، وكان برتبة صاغ ، هى : ان انتظر تحت الشجرة ، حتى اكشف هيئة لوحدى . .

وانتظرت الى ان انتهوا من الطلبه الآخرين . . ثم طلبونى . . جريت بالخطوة السريعة . . واديت لهم التحية العسكرية كما لوكنت فى الجيش فعلا . . نظر لى هربرت باشا ، وقال :

ـ انت قصير !!

قلت :

ـ انا ايضا صغير فى السن ، وامامى فرصة للنمو . . وابى كان قصيرا مثلى ، ثم مرة واحدة . . انفرد !

وقال مستر براين الذى كان معلما لأبى من قبل :

ـ فعلا !

ونظر هربرت باشا الى د . كارول المسئول الطبى فى المدرسة ، فوافقه . ودخلت المدرسة الحربية .

كانت الدراسة فى المدرسة ، فى تلك الايام ، مقسمة الى خمس فرق . . الفرقة الخامسة ، ثم الرابعة ، فالثالثة . . وهكذا حتى الاولى . . ثم التخرج . . ومدة الدراسة فى كل منها ستة اشهر . .

دخلت الفرقة الخامسة لكننى لم امكث فيها سوى ٢٤ ساعة . . كانت معلوماتى تؤهلنى للانتقال ، فورا ، للفرقة الرابعة . . وبعد شهرين ونصف دخلت امتحانا . . وطلعت الاول وكان الفرق بينى وبين الثانى ١٠٧ درجات فى العلوم العسكرية والمدنية . . فنقلونى الى الفرقة الثالثة .

وفى العطلة الصيفية احتاج الجيش الى ضباط ، فصدرت الاوامر بترقية تسعه من طلبه الفرقة الاولى . . فاستتبع ذلك نقلى ، انا وخمسة طلبة معى ، الى الفرقة الثانية ، دون ان نمر على الفرقة الثالثة .

فى يناير ١٩١٨ جلسنا نؤدى امتحان الفرقة الثانية . . وكان هو نفسه امتحان الفرقة الاولى لان مقرر الدراسة فى الفرقتين كان لايختلف اطلاقا فى شىء . . سوى فى بعض التدريبات العملية المخصصة لطلبه الفرقة الاولى ، وتشمل ممارسة الادارة عمليا ، والتدريب على ركوب الخيل ، وضرب النار ، ومشروعات التكتيك المبسطة . .

وحصلت فى الامتحان على ٩٧٧ من ١٠٠٠ درجة . . وتفوقت بهذة الدرجات على اول الفرقة الاولى ، بنحو ٦٣ درجة . . وكان « باشجاويش » المدرسة محمد فؤاد ، الذى اصبح حكمدار بوليس السوارى بعد ذلك .

وكانت درجاتى مفاجأة مذهلة هربرت باشا . . فقال :

- هذه درجات قياسية فى تاريخ المدرسة الحربية !

وقرر ان اتخرج من طلبة الفرقة الاولى . . بدلا من طالب بالفرقة الاولى ، لم يحصل على الدرجات المطلوبة للتخرج . .

وهنأنى الرجل بنفسه . . لكنه فوجىء بى ابكى . .

فقال :

- هل هذه دموع الفرح يانجيب ؟

قلت :

- لا ياسيدى ، هل دموع حقيقية !

قال :

- لماذا ؟

قلت .
ـ لا ننى كنت اود ان استكمل دراستى . . اننى لم اضرب نارا . . ولم اركب خيلا . . وسأتخرج ضابطا جاهلا . . وسأكون فى ذيل ترقيات النشرة العسكرية . ولن تتاح لى فرصة اختيار السلاح الذى اريده . . ولن احصل على سيف الشرف الذى يمنح لباشجاويش المدرسة !!
قال :
ـ لاتكن احمق . . لقد رقيتك لانك ممتاز . . وفى الجيش ستستكمل تدريباتك العسكرية . . وامامك الفرص كبيرة للحصول على نياشين اهم من سيف الشرف الذى يحصل عليه باشجاويس المدرسة !!
الشيء الذى لم اقله لهربرت باشا فى هذا الحوار ، هو اننى كنت احلم ان اكون باشجـ يش المدرسة ، كى احقق ماكنت ارمى اليه ، وهو معالجة الغطرسة ، واللغة القاسية ، التى كان يتعامل بها ضباط الصف مع زملائهم الطلبه . .
واذكر اننى وقفت ، ذات يوم ، مع باقى الطلبه امام باشجاويش المدرسة لاداعى لذكر اسمه وكان غاضبا ، فقال لنا :
ـ انتم حثالة المدارس ، لو كان فيكم رجل ، فليتقدم خطوتين للأمام . .
فتقدمت اربع خطوات . .
وقلت :
ـ اننى عندما التحقت بهذه المدرسة لم اكن اتوقع ان اسمع ذلك .
فشكرنى الباشجاويش لجرأتى وصرفنى . .
كنت اريد فعلا ان ابقى فى المدرسة فترة اخرى ، وان اكون باشجاويشها . . لكن ليس كل مايتمناه المرء يدركه . . وتخرجت ضابطا ، قبل الاوان ، ورحت المشاه ، او « البيادة » بلغة تلك الايام .
بل انا رحت آخر كتيبة فى المشاة . . الكتيبة ١٧ ، التى خدم فيها ابى من قبل .
وبالمناسبة ، كانت المدة الى قضيتها فى المدرسة الحربية ، هى نفسها المدة التى قضاها ابى فيها . . وهى ١ شهرا .
وعلى الفور سافرت الى الخرطوم ، لأبدأ حياتى العملية كضابط فى الجيش المصرى .
كان ذلك فى ١٩ فبراير ١٩١٨ .

وكان عمرى يومها ، بالضبط ، ١٧ سنة .
وهو نفس العمر الذى اصبح فيه ابى ضابطا .
وفى الخرطوم ، هذه المرة ، بدأ فصل جديد فى حياتى .

الفصل الثانى

سنوات الخدمة

- بعد ستة شهور كضابط أدركت اننى ملاحظ عمال تراحيل .
- تحديت الجيش والانجليز والسرايه وشاركت علنا فى ثورة ١٩١٩ .
- ورطة مع وزارة الداخلية بسبب ستة قروش .
- مشوار الثائر السودانى « على عبد اللطيف » بدأ فى « اللواء الأبيض » وانتهى فى الخانكة
- دعوت الثوار السودانيين على الغداء فى قصر الحرس الملكى بقصر عابدين .
- الملكة نازلى تصورت أننى « باشا » وطلبت زيارتى فى بيتى .
- النحاس قال لى : أفضل أن يكون الجيش بعيدا عن السياسة .
- أول لقاء لى مع الملك فاروق كان بالمايوه والشبشب .

كل شيء هادىء فى الخرطوم .
الحياة . . البشر . . الشوارع . . ووحدات الجيش .
لكننى . . بمجرد أن سلمت نفسى فى الكتيبة ١٧ ـ مشاة بالخرطوم ـ بحرى ، حتى انقلب الهدوء الذى أحسست به ، إلى غضب . . صدر الأمر لى ، ولأربعة من الضباط ، أن نتحرك مع ٤٥٠ جنديا ، من الكتائب ـ ٤ ، ١٣ ، ١٧ ـ مشاة ، وفصيلة من الاستحكامات ، بقيادة الملازم عبد الله خليل ، للسفر فورا إلى منطقة وادى بناجا بالقرب من شندى على بعد ٣٠٠ كيلومتر . . للعمل فى مد وتقوية جسور السكك الحديدية التى كانت مهددة بمياه الفيضان . .

وفى هذه اللحظة فقط ، أدركت قيمة كلام ابراهيم أحمد عرابى . . وتأكدت أن الضابط فى بلد محتل ليس أكثر من مقاول أنفار . ورئيس فعلى . لقد تحققت نبوءته ، أسرع مما كنت أتصور !
سته شهور كاملة ، فى بداية خدمتى ، وأنا لا أرى سوى صورة واحدة . . الجنود يحملون المعاول والمقاطف . . الضباط يقفون وسطهم . . والأتربة تغطى الجميع . . أتربه الحفر والردم وليست أتربة المعارك .
نفس الصورة ، بالتأكيد ، كانت أيام حفر القناة . .
وأحسست أن مستقبلى فى الجيش أصبح مهددا . . وأحسست أننى يجب أن أغير مسار حياتى . . وأحسست أنه لا مفر من العودة للحياة المدنية من جديد . . ولم يكن أمامى للخروج من مطب الجيش الذى وضعت نفسى فيه سوى أن أكمل دراستى . .

كان على أن أحصل على الكفاءة ، ثم البكالوريا . . ومن يدرى ، فربما أنتسبت إلى مدرسة الحقوق ، وأصبحت محاميا ، أو قاضيا . وبدأت فى المذاكرة مرة إخرى . .

وفى نفس الوقت ، طلبت نقلى من المشاه ، إلى سلاح آخر . . السوارى (الفرسان) . . أو المدفعية (الطوبجية) . . وفوجئت بأنهم يوافقون على نقلى إلى السوارى . . فى نفس المكان . . فى شندى . .

لكننى كنت كمن خرج من حفرة ليقع فى بئر .

ففى السوارى كان القائد الانجليزى لا يحبنى .. لله فى لله وكان اسمه سميث .. وضاعف من هذه الكراهية ، أننى أصلا من المشاة .. يعنى من طينة أقل من طينة السوارى ..

ولأننى لم أكن أعرف عادات السوارى ، ظللت فى خيمتى حتى أسمع البروجى فى الصباح ، استعدادا للطابور كما فى المشاة .. لكن البروجى لم يضرب .. وخرجت ارض الطابور لأعرف سر تأخره .. فوجدت سميث أمامى .. وإذا به يقول لى فى سخرية :

- صباح الخير ياباشمفتش !!

قلت له :

- ليه الأسلوب ده ؟

قال :

- لأن عندنا فى السوارى الضابط لابد أن يكون فى اصطبل الخيل من الساعة الرابعة فى الفجر وأنت حضرتك لاتزال فى خيمتك إلى الآن !

قلت :

- لكننى مستجد فى السوارى ولا أعرف مثل هذة الأمور ..

ومن يومها ظل يترصدنى .. ويضعنى تحت ضرسه ..

وبعد أن ارتبطت بحصان لطيف وأصبحنا أصدقاء جاء لى ليقول :

- لا تركب هذا الحصان مرة أخرى !

- لماذا ؟

- لانه حصانى أنا !

- بكم اشتريته ؟

- هذا الحصان مخصص لى من الآن .. هذا أمر !

- هذا حصانى ، وسأظل أركبه مهما حدث !

وانتهى النقاش بيننا فى مكتب قائد عام السوارى .. الذى ترك موضوع الحصان ، وقال لى :

ـ سوف تنضم إلينا فى السوارى ، ولكننا سنؤخر ترقيتك . . وسنقدم عليك أربع صولات علينا أن نرقيهم إلى ضباط قبل أن يخرجوا على المعاش . .
ورفضت . .
وعدت إلى المشاة .
وعدت إلى الخرطوم .

وبعد أيام من وصولى الخرطوم ، جاء لى إبراهيم عبود ، الذى كان زميلى فى الوحدة ، وكان زميلى فى المدرسة الحربية ، وكان زميلى فى فريق الملاكمة ، وأصبح رئيسا لجمهورية السودان فيما بعد ، وقال لى :

ـ هل سمعت بما يجرى فى بلدكم
ـ لا . .
ـ بلدكم فيها ثورة . .

كان إبراهيم عبود يقصد ثورة ١٩١٩ . . بالطبع .

وقبل أن يكمل الرجل كلامه ، ويصف لى ماسمعه ، رحت للقائد ، وطلبت منه اجازة ، لأسافر إلى مصر .

وسافرت إلى السويس بالبحر عن طريق بور سودان . . ومن السويس إلى القاهرة بالقطار . .

فى محطة القطار ، مر أمامى أميرالاى انجليزى ، اسمه بيرسى سميث ، قائد الكتيبة الأولى للجيش المصرى . . كان سمينا مثل البرميل .. وكان مغرورا مثل الديك الرومى . . مر أمامى . . فلم أؤد له التحية العسكرية . . كنت مرهقا . . ومرتبكا بسبب تأخر حقائبى . . وكنت لا أجد مبررا لتحيته والبلد فيها ثورة ضد الانجليز . .

جاء لى الرجل ، وسألنى :
ـ لماذا لم تؤد لى التحية العسكرية ؟
قلت له :
ـ لأن بيننا وبينكم خصومة والبلد فى حالة ثورة ضدكم ولو أديت لك التحية

لاحسست بالعار وأتعرض لاحتقار المدنيين الذين يملأون المحطة من حولنا . . ثم إن المحطة كالميدان العام لاتحية فيه بين الرتب .

قال فى غضب :

ـ من علمك هذا الكلام ؟

قلت :

ـ قوانين الجيش !

سألنى :

ـ ما هى وحدتك ؟

قلت :

ـ الكتيبة ١٦ ـ مشاة .

وأعطيت له ظهرى ، وانصرفت ، دون تحيته ، فاذا به ينفجر فى وجهى ويقول :

ـ إذا لم تحينى فسأضعك تحت الايقاف العسكرى فورا :

ولأن أمى وإخوتى كانوا فى انتظارى . . ولأننى كنت لا أريد إفساد اجازتى . . ولأننى كنت أريد أن أرى عن قرب ، وبسرعة ، مايحدث فى شوارع القاهرة بعد أن انفجرت فيها الثورة . . قلت له :

ـ أحييك بشرط . . أن ترد لى التحية بنفس الطريقة .

وافق . .

وتبادلنا التحية كما اتفقنا . .

وانصرفت . .

لكن . . بعد ستة أيام ، فوجئت بخطاب استدعاء من هربرت باشا ، قائد منطقة القاهرة ، والمدير السابق للمدرسة الحربية ، لكى أحضر إلى مكتبه .

وفى مكتب هربرت باشا عرفت أن الأميرالاى بيرسى سميث ، قدم فى شكوى . . فرويت ماحدث بيننا . . وتوقعت عقابا صارما على ما فعلت . . لكن هربرت باشا أنهى الموضوع ببساطة وقال لى :

ـ إذا رأيته مرة اخرى فلاتتردد فى تحيته :

وخرجت ليلتف حولى الضباط . وليسألونى :

ـ عملت إيه ؟

فضحكت . .

وكان أكثر الضباط قلقا على ضابط اسمه على فهيم ، كان فى مكتب هربرت باشا . . وساعة أن وصلت عنده ، قال لى :

ـ وقعتك سودة . . هربرت باشا النهاردة زعلان ،وأنصحك ألاتدخل عليه الآن .

وعندما دخلت على هربرت باشا ، قال :

ـ ربنا يستر !

وعندما خرجت سليما من عنده ، قال :

ـ احمد ربنا دون انقطاع .

فقلت :

ـ الحمد لله .

فى ذلك الوقت كان الغضب يغلى فى عروق مصر . . وكانت القاهرة تمتلىء بوفود البشر الذين جاءوا يعبرون عن سخطهم لنفى سعد زغلول ، من كل ارياف وصعيد ومدن مصر . .

ولازلت أذكر إلى اليوم هتافات المصريين المدوية كالرعد : سعد . . سعد . . يحيا سعد ولازلت أذكر مظاهرات النساء والرجال . . الصغار والكبار . . شيوخ الأزهر وقساوسة الكنيسة . . ولا زلت أذكر أكوام الجثث والحجارة وعربات الترام المقلوبة فى الشوارع . . على أن الصورة التى لاتزال شاخصة أمامى إلى الآن . . كانت صورة شاب صغير . . غالبا ما يكون أحد تلاميذ المدارس . . كان راقدا على الأرض . . وهو ينزف دماءه بعد أن أصيب برصاصة من عسكرى انجليزى . . ورغم ذلك كان يرفع قميصه المصبوغ بدمه ، ويلوح به فى الهواء على طول ذراعه ، وكأن القميص راية يستنفر بها باقى زملائه ليواصلوا الكفاح . .

إن هذا المشهد وحده يكفى لأن احزن على تاريخ مصر ، الذى تصور البعض أنه لم يبدأ الا ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وكان هذا التصور الأبله عارا على ثورة يوليو .. وعلينا جميعا
فمن لا أصل له ،لا أوراق له ..
ومن ينكر ماضيه ، لايعترف أحد بمستقبله ..
لذلك ، لابد أن نعترف بأن ثورة ١٩١٩ ، كانت من أهم الثورات
الشعب المصرى .. وأنا أشهد بذلك .. خاصة أننى شهدت أحد
تفاصيلها .. وتابعت حركتها ..
ولا أدعى أننى اشتركت فيها .. وإنما كل مافعلته كان مجرد تقرب من
محاولة للانتهاء إليها ..

فقد ذهبت مع مجموعة من الضباط الصغار ونحن نرتدى ملابسنا ونعلق رتبنا ، إلى بيت الامة ، لنعبر عن احتجاجنا ورفضنا وغضبن زغلول .. وجلس بعضنا على سلالم البيت .. كنت منهم .. لا نخ علينا .. ولا نخشى محاكمتنا .. ولا نخشى الكاميرات التى كانت لا التصوير ..

وقد التقطت لى صورة وأنا جالس على سلالم بيت الامه ، وأنا أرف والتقطت لى صورة أخرى وأنا أرفع صورة سعد زغلول ..

وكان جزاء الضابط الذى يفعل مثل هذه الأمور الخروج من الجيش لم نكن نفكر فى ذلك .. بل كنا نرى أن الجيش لايمكن أن ينفصل .. خاصة فى أيام الغضب والاحتجاج والثورة ..
وكنا نرى أن مافعلناه كان أبسط شىء يمكن أن نفعله لمصر .

وكان إحساسى بأن مافعلناه كان بسيطا ، هو الذى دفعنى لمضاعفة بعد انتهاء الاجازة ، وعودتى للخرطوم ، فى الجمعية السرية التى الضباط الوطنيين .. وكان أغلب أعضائها لايعرفون بعضهم

وفى يوم من الأيام ، جاءنى من قيادة هذه الجمعية أمرًا بالوقوف الضباط بالخرطوم ، خلف منضدة صغيرة ، وإقناع كل ضابط يدخل

أن يوقع على البرقية التى قررنا إرسالها إلى لجنة ملنر . . احتجاجا على نفى سعد زغلول ورفاقه . . والإصرار على عدم التفاوض إلا معه . . وتأييد حركة الشعب المصرى . .

ووقع على البرقية عشرات الضباط .

وفى اليوم الثانى أصدر سردار الجيش البريطانى فى السودان أمرا بإغلاق النادى بالضبة والمفتاح ، وأصدر أمرا آخر باعتقالنا . وفى المعتقل . . كانت فرصتنا كبيرة لنتعرف على زملائنا فى الجمعية السرية . . . . أو على بعض منهم . .

تعرفت على اليوزباشى احمد الصاوى (أصبح وكيلا لوزارة الحربية) ، واليوزباشى محمود هاشم (أصبح مديرا لسلاح الحدود) ، واليوزباشى عبد الوهاب البهنساوى (أصبح قائدا لمنطقة القاهرة العسكرية) ، واليوزباشى أحمد عطية ، والملازم أول طبيب سليمان أباظة . . وغيرهم . . وبعد أن أفرج عنا ، لم يتوقف نشاطنا . .

وكان على أن أكتب المنشورات وأوزعها على زعماء السودان ورجاله الكبار . .

وكان أسلوب التوزيع بسيطا . . من تحت الأبواب .

لكن هذا النشاط سرعان ماتوقف ، بعد أن سرحوا الكتيبة التى كنت أخدم فيها . . وبعد أن نقلت إلى فرقة العربة الغربية عام ١٩٢١ . . بالقاهرة .

كان على مهمتنا فى هذه الفرقة أن نركب بغال ونلف بها حول بعضنا البعض .

فقررت أن أتقدم إلى امتحان شهادة الكفاءة . .

وأن أطلب نقلى إلى البوليس . .

وحصلت على شهادة الكفاءة ودخلت مدرسة البوليس لمدة شهرين ، لدراسة القانون الإدارى ، ولوائح البوليس ، تمهيدا للعمل فى أقسام القاهرة . .

وبعد أن تخرجت من مدرسة البوليس ، خدمت فى قسم عابدين (٥ شهور) وفى قسم مصر القديمة (٤ شهور) ثم فى قسم بولاق (٧ شهور) . . وطوال هذه الشهور ، تعرفت على قاع القاهرة . .

وأقتربت أكثر من الناس . .

واقتنعت بعد ذلك ، بضرورة العودة للجيش . .
ووراء هذا الاقتناع قصة مسلية ، وقعت لى فى قسم مصر القديمة . .
فأثناء مرورى فى دائرة القسم فوجئت بولد يصرخ ، ويبكى ويقول :
- سرقونى . . سرقونى . .
وعندما سألته :
- ماذا حدث ؟
قال :

- الحرامية اعتدوا على وسرقوا طاقيتى وبها ٦ قروش .
وعلى الفور فتحت له محضراً ، واعتبرت ماحدث جناية - سرقة بالإكراه . . فصاح أومباشى الدورية :
- هل هذا كلام ياأفندم . . محضر وجناية ونيابة على ٦ قروش !
ووجدت أن عنده حقا ، فقطعت المحضر من دفتر الأحوال . . وعندما عرف المأمور ماحدث ، طلبنى الساعة الثالثة صباحا ، وقال لى :
- إن تمزيق دفتر الأحوال جناية أشد !
وهكذا أردت أن أخرج من حفرة فاذا بى احفر لنفسى حفرة اكبر منها .
وتركت البوليس . .
وعدت للسودان مع الأورطة - ١٣ السودانية . . وخدمت هذه المره فى واو وفى بحر الغزال .

كانت مشكلة السودان ، العريض ، متعدد الأطراف ، ولاتزال ، هى مشكلة الطرق والمواصلات . . فقد كانت المسافة بين الخرطوم وبحر الغزال ، مثلا تستغرق ٣٥ يوما ، منها ١٠ أيام تمشيها على القدمين . . وكان من الصعب على الصغار أن يمشوا على أقدامهم . . فأجرت حمارين . . ودفعت ٣ جنيهات . . وقررت أن يركبها أولاد العساكر . . وأن أمشى أنا مثل باقى العساكر على قدمى . . أكثر من ١٠٠ كيلو متر . . كل يوم ١٠ كيلومترات .
وكان مرتبى لايزيد على ١٢ جنيها . . يعنى دفعت ربعه فى إيجار الحمارين . .
وكان على أن أعيش بالباقى .
لكننى كنت سعيدا فى بحر الغزال . .

كنت فى أوقات فراغى أمارس هوايتى القديمة .. هواية الصيد .
وكنت فى المساء أذاكر دروس البكالوريا على مصباح غاز .

وبعد أن أنهيت تدريب ٤ دفعات من الجنود ، جاء لى قومندان الأورطة ، وقال لى :
ـ ماذا تطلب مكافأة على هذا المجهود الكبير ؟
قلت :
ـ أريد أن أنضم إلى وحدة مدافع الماكينة لآخذ فرقة على أستخدام الأسلحة الأتوماتيكية .
فوافق ..

وسافرت إلى مقر الوحدة فى مالكال .. وكانت المسافة بينها وبين بحر الغزال تستغرق ١٧ يوما .. قضيتها ماشيا على قدمى .. وما أن وصلت حتى فوجئت بالقائد ، وكان اسمه ناب بك يرفض ، ويقول :
ـ نحن لانقبل المصريين !

كان هناك ، فى الجنوب ، رفض للشمال ، ورفض للمصريين ..
فقلت :
ـ هذا كلام فارغ .. أنت ضابط مثلى فى الجيش المصرى ، حتى ولوكنت انجليزيا وإذا رفضت قبولى ، فسأرسل ببرقية إلى الملك .. فلا فرق بين الضابط من مصر أو من السودان ..
فقال :
ـ يقبل استثنائيا !
وطلعت الأول .. وطلب أصدقائى أن أدعوهم على الغداء .. وأثناء تناولنا الطعام ، جاء تلغراف لى يبلغنى أننى نقلت إلى الحرس الملكى فى القاهرة ..
كان ذلك فى ٢٨ أبريل عام ١٩٢٣ .
وكان الملك هو الملك فؤاد الأول .

وذات يوم ، فوجئت بكل جنودى فى الحرس بدون شوارب ..
فى الصباح كان تحت أنف كلٌ منهم شارب وبعد الظهر كانوا بدونه
وتعجبت لهذا القرار الجماعى ، المفاجىء الذى اتخذوه ..
وسألتهم السبب .

فقالوا لى :

ـ لقد فعلنا ذلك حفاظا على كرامتنا ، التى تدعونا دائما بالحفاظ عليها . . فقد جاء أحد الضباط وأمسك بشنب الشاويش ، وسخر منه . . وسبه . . قال له : ده شنب فالصو . . فخشينا أن يفعل بنا مثلما فعل بالشاويش . . ونحن لا نحتمل الاهانة . . فحلقنا شواربنا .

إلى هذا الحد كانت كرامة البسطاء تؤلمهم . .

إلى حد أن يحلق الرجال شواربهم ، التى كانت فى ذلك الوقت عنوانا للصرامة والخشونة . . والرجولة .

وإلى هذا الحد كنت أدعوهم للحفاظ على أحاسيسهم من المساس بها .

لقد كانت الكرامة والرجولة وقبول التحدى هى أشهر خصال الشعب المصرى . . من القائد إلى الجندى . . ومن الزعيم إلى رجل الشارع . . هذا ما تربينا عليه . .

وهذا ما علمناه لجنودنا . .

ولا أبالغ إذا قلت إننا كنا المثل الأعلى الذى يمشون وراءه . . ولم نكن لنخيب آمالهم فينا . . أبدا .

وليس هذا مجرد كلام من الذى شبعنا منه خلال السنوات الماضية ، وإنما كان حقيقة ، عندى الدليل عليها .

ففى أثناء خدمتى بالحرس الملكى ، وقعت أحداث ثورة على عبد اللطيف فى السودان ، عام ١٩٢٤ . . وأنا أعرف على عبد اللطيف . . كان طالبا بالمدرسة الحربية السودانية ، وكنت أنا طالبا بكلية غوردن . . والتقينا فى الخرطوم . . وأصبحنا أصدقاء وعندما أصبحت ضابطا فى الكتيبة ١٧ ـ مشاة كان هو من أبرز قواد الكتيبة ـ ٩ !!

وفى يوم فوجئت به يطالب الجيش السودانى بأن يقسم يمين الولاء لعرش مصر ، فاقتربت منه أكثر . . وزادت علاقتى به .

وفى مايو ١٩٢٢ ارتفعت حرارة مطالبه عشر درجات وأذاع منشورا حاميا ، تحت عنوان مطالب الأمة السودانية طالب فيه باستقلال السودان عن انجلترا وسرعة اتحاده مع مصر . . فقبض عليه وقدم لمحاكمة عسكرية بريطانية ، بتهمة

التحريض على التمرد وإثارة الشغب والقلاقل ، وخرج من السجن . . وفصل من الجيش . . وكون جمعية اللواء الأبيض .
أعلن على عبد اللطيف هذه الجمعية فى اجتماع عام بالخرطوم . . رفع فيه علما . . رسم عليه خريطة وادى النيل . . وفى ركنها رسم علم مصر الاخضر . .
وكتب : الى الامام .
كان يقصد : إلى الأمام إلى مصر :

وفى ٩ أغسطس ١٩٢٤ خرج بعض الضباط ، يقودون طلبة المدرسة الحربية ، وهم يحملون السلاح ، إلى بيت على عبد اللطيف . . ويهتفون بسقوط الانجليز . . ووقعت الاشتباكات بين الطرفين . . وانتهى الأمر بسجن على عبد اللطيف . . ثلاث سنوات .
ولم يهدأ السودان بسجن على عبد اللطيف . .

فقد غضب سعد زغلول على سجنه ، وأرسل للحكومة البريطانية برقية احتجاج على ذلك ، وأعلن فيها أسفه وحزنه على الأحداث التى وقعت فى السودان . .

وكانت برقية سعد زغلول بمثابة البنزين الذى يسكب على النيران . . . فاشتعلت الأحداث الدامية مرة أخرى فى الخرطوم :
وردت الحكومة البريطانية على البرقية بزيادة قواتها فى السودان ، وفوضت حكومته بابعاد أى وحدة من وحدات الجيش المصرى ، على أرضها ، إذا شمت منها عدم الولاء لها . .

وتحول الرد البريطانى على سعد زغلول ، إلى إنذار لحكومته ، بسحب وحدات الجيش المصرى من السودان ، وتحويل الوحدات السودانية التابعة له إلى قوة خاضعة للحكومة السودانية وحدها . .
كان ذلك فى نوفمبر ١٩٢٤ . .
وكان السبب هو مصرع السردار سيرلى ستاك فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ .
ورفض سعد زغلول الإنذار وقدم استقالته بعد يومين .
وفى اليوم الثالث قامت القيامة فى مصر والسودان .

فى مصر أصدر اللنبى بيانا ، طالب فيه بالاعتذار الرسمى عن مصرع السردار

وطالب بغرامة مالية تصل إلى ٥٠٠ الف جنيه (حوالى ٢ مليون و ٤٣٠ ألف دولار فى ذلك الوقت) ، وطلب منع المظاهرات السياسية ، والبقاء على المستشارين الانجليز الذين قررت الحكومة المصرية الاستغناء عنهم ، وإلغاء الحظر على مياه رى مشروع الجزيرة (٣٠٠ ألف فدان) الذى كان الانجليز يسيطرون عليه ، دون مراعاة لكمية المياه التى تصل الى مصر .

وفى السودان أسرعت بريطانيا بمحاصرة القوات المصرية فى الخرطوم فتمردت الكتيبة ـ ٣ مشاة ، ورفضت العودة إلى مصر إلا بأمر من وزير الحربية المصرى ، وتمردت الكتيبة ـ ١١ ، السودانية ، وحاولت ، الانضمام لوحدات الجيش المصرى هناك ، فتصدت لها القوات البريطانية واشتبكت معها فى قتال لم ينته إلا عند نفاذ ذخيرتها ، ومصرع قائدها عبد الفضيل ألمظ .

كأغلب المصريين ، احسست بالندم على اغتيال السردار ، وكنت من المؤيدين لعقاب أى شخص ساهم فى ارتكاب هذه الجريمة . . لكننى فى نفس الوقت ، حقدت على اللنبى ، وعلى مطالبه التى نفذت ، لأننى أحسست أنها كانت حجة ليفرض هذه المطالب التى لم يكن له الحق فيها ، أكثر منها عقاباً على جريمة قتل مهما كانت شخصية القتيل .

وضاعف من سخطى على اللنبى ما فعله الانجليز بنا بعد بيانه الشهير . .
أعدموا ثلاثة ضباط فى السودان . .
وفصلوا ١٧ آخرين لأنهم رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للحاكم العام وفروا إلى مصر . .
وفر معهم عدد كبير من طلبة المدرسة الحربية الذين سجنوا بعد الاحداث فى سجن كوبر بالخرطوم بحرى . .
وفر إلى مصر أيضا ، عرفات محمد عبد الله ، وكيل جمعية اللواء الأبيض وزميلى القديم فى كلية غوردن ، الذى اعتقل فى القاهرة لشبهه القوى بعبد الخالق عنايت ، أحد المتهمين فى قضية مصرع السردار .
واعتقل معه ، من أعضاء الجمعية فى مصر : محمود محمد فرغلى ، والشيخ محمد زكى عبد السيد ، القاضى الشرعى ، والمهندس محمد سر الختم ، والرحالة أحمد حسن مطر .

وقد عرفت بأمر اعتقالهم وانا فى الحرس الملكى . .
وعرفت أنهم فى سجن الاستئناف ـ بباب الخلق . .
فقررت زيارتهم . .
رحت لمدير السجن ، وكان اسمه صفوت بك ، لأطلب الإذن بالزيارة . .
فقال لى الرجل :
ـ يابنى أنت ضابط فى الحرس ، ولابس علاماته ، وترتدى بدلته ، وتطلب زيارة ناس مقبوض عليهم بتهمة التمرد والشغب . . انت كده تروح فى داهية! ،
قلت له :
ـ لكنهم أصحابى ، وأصدقائى من أيام الطفولة ، ومن أيام المدارس ، ولا يمكن مهما جرى أن أتخلى عنهم .
قال :
ـ أنا سأبلغهم بسؤالك . . لكن أرجوك . . أنصرف الآن . . هنا أنت فى خطر . . وأنا أيضا !
قلت :

ـ لكن . . . . .
ولم أكمل كلامى . .
قام الرجل من على مكتبه . . وترك الغرفة . . فانصرفت . .
ولم أجد مفرا من انتظارهم حتى يخرجوا . .
وعندما خرجوا ، دعوتهم لتناول الطعام ، فى مقر الحرس الملكى ، داخل قصر عابدين . .
وكان هذا الطعام هو الطعام الأخير لى فى الحرس الملكى . .
طردت من الحرس الملكى . .

لكننى لم اعتبر ذلك عقابا . . فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . . . فقد كان خروجى من الحرس ، فرصة لى لكى أترصد اخبار على عبد اللطيف ، حتى عرفت أنه فى القاهرة . . لكننى عندما عرفت هذا الخبر ، لم أفرح . . لأنه لم يكن حرا . . ولم يكن مسجونا . . وإنما كان فى مستشفى الأمراض العقلية . .

ففى أثناء سجنه فى السودان كان معه فى الزنزانة ، ضابط معتقل آخر ، أسمه عبده بخيت . . ضربه على رأسه بجردل ، دون معرفة السبب ، ويبدو أن هذا الحادث أثر على قواه العقلية . . ويبدو أن الانجليز وجدوها فرصة للتخلص منه ، فاتهموه بالجنون ، ونقلوه إلى مستشفى المجانين بالقاهرة .

ورحت لزيارته .

لكننى لم أر عليه أى علامة من علامات الجنون .

وخرجت من عنده والدموع تقفز فى عينى ، وقلبى يهتز بين ضلوعى ، وحسرتى تجعلنى لا أتبين الطريق أمامى بوضوح .

ولم تكن هذه الزيارة هى نهاية المطاف فى علاقتى بهؤلاء المناضلين . .

بل إن نقلى من الحرس ، ضاعف من حريتى فى الاتصال بهم . .

وكان من بينهم الأميرالاى السيد فرح ، ابن عمدة دلقو ، الذى كان يعلمنا ونحن صغار ، أصول القراءة والكتابة ، أيام كان أبى مأمورا لحلفا ، وكان السيد فرح صديق طفولتى ، وكان من أبطال أحداث ١٩٢٤ . . الذين حكموا عليهم بالإعدام . . فهرب لذلك من السودان إلى مصر . . وعاش فيها متخفيا حتى ساعدته على الهرب إلى ليبيا . . وظل بها حتى عاد إلى مصر ، بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأصبح مسئولا عن إدارة منطقة الساحل الغربى فى مرسى مطروح .

على أن أيام الحرس الملكى ، كانت من الأيام التى جعلتنى أقترب من فساد الحكم فى مصر ، وأعرف الكثير من خباياه ، وأسعى بكل قوتى للتخلص منه . . .

فى أيام الحرس ، كنت ضابطا صغيرا ، برتبة ملازم أول . . . وكنت لا أرى الملك فؤاد إلا نادرا . . بالصدفة ولمدة ثوان . . لكنى عرفت عنه الكثير بحكم وجودى فى قصر عابدين . .

عرفت أنه لم يكن يحب فاروق . .

وعرفت أنه كان لايعرف اللغة العربية ، وأنه كان يفضل عليها اللغة التركية ، التى كان يتحدثها فى قصره ، ومع أسرته وحاشيته . . أما فى المناسبات العامة فكان يتحدث اللغة الفرنسية . .

وهذا فسر لى ما كان يقوله أبى دائما عن الأسرة المالكة فى مصر . . كان يقول : إنهم أتراك .

وعرفت أن الملك فؤاد ، كان قبل توليه العرش ، لاهم له سوى إنفاق النقود واصطياد النساء ، لكنه بعد أن ارتقى العرش ، لم يكن له هم سوى جمع النقود . . ولم يكن ينفق قرشا كان من الممكن ادخاره ، ولم يكن ليعطى الهبات التى كان يعطيها الملوك عادة بمناسبة أو بدون . . وأذكر أنه أمر بعقاب واحد من الحرس الملكى ، التقط بعض بلحات من احدى نخلات قصر البستان .

وأذكر أنه فى عام ١٩٢٥ الغى علاوات ضباط الحرس حتى يدخر أكثر . وهو لم يكن ملكا بمعنى الكلمة . . وكان كل دوره الإشراف على النظام والنظافة فى القصر الملكى . . لكنه فى نفس الوقت كان يوحى للآخرين بأنه يفعل كل شىء فى الدولة . . فأطلق على نفسه لقب : عمدة عابدين . . واعلن نفسه ملكا على السودان أيضا ، وهذا أزعج الانجليز ، الذين جعلوه أول ملك فى تاريخ مصر الحديثة .

أما الملكة نازلى فكانت طيبة إلى حد ما ، رغم نزواتها التى اشتهرت بها . .

وأنا أذكر أن أمى وأختى كانتا مدعوتين فى حفل شاى لاسر ضباط الحرس بمناسبة افتتاح البرلمان فى قصر عابدين . . لكن بدلا من ان تدخلا مقر الحرس ، دخلتا الحرملك . . خطأ . . دخلتا جناح الملكة والأميرات . . واستقبلهما ، أحد الأغوات وأوصلهما إلى الملكة بعد أن تصور أنهما تريدان رؤيتها ، بعد أن قدمت أمى كارت يحمل اسمى ، كنت قد اعطيته لها حتى يسمحوا لها بدخول القصر . .

واستقبلت الملكة أمى وأختى ، بعد أن أخذت من الأغا الكارت وأكرمت استقبالهما ، وحملت كلا منهما بالهدايا ، ووعدت برد الزيارة لهما . . وأعتقد أن الملكة فهمت الكارت خطأ . . لم تتصور أن محمد نجيب ضابطا فى الحرس الملكى . . وتصورت أنه باشا من باشوات مصر . .

فى هذه الليلة بكت أمى على الخطأ الذى وقع ، وتصورت أنهم سيعاقبوننى على ذلك . . أما أنا فكنت مكسوفا من أن تأتى الملكة إلى بيتنا المتواضع جدا . .

بعد عدة أيام جاء ضابط بوليس إلى بيتنا وأعلن وصول بعض الوصيفات ، كمقدمة لاقتراب وصول الملكة . . فأفهمت الضابط بالخطأ الذى وقع . وطلبت

منه أن يعتذر للملكة وأن يشرح لها بطريقة مهذبة ما حدث . . وبـ
حدث فعلا ، لان الملكة لم تأت .
وتصورت أنهم لابد أن يعاقبونى على هذا الخطأ . .
لكن هذا لم يحدث . .

وبقيت فى الحرس إلى أن طردونى منه بسبب اتصالى بالمناضلين الـ
وكان طردى من الحرس نعمة من عند الله . .
فقد نقلت إلى الكتيبة الثامنة التى كانت فى ناحية المعادى ، وكانت مـ
بسيطة إلى حد ما . . وهذا شجعنى على مواصلة دراستى ،
حتى أننى حصلت على ليسانس الحقوق فى مايو ١٩٢٧ .
وفى ذلك العام تزوجت لأول مرة .

وشجعنى نجاحى فى الحقوق ، وأنا لا أزال فى رتبة الملازم أول على
للحصول على الدكتوراة ، التى مهدت لها بالحصول على دبلومة الدراسـ
فى الاقتصاد السياسى عام ١٩٢٩ ودبلومة الدراسات العليا فى القانون ا-
١٩٣١ ، وبدأت فى تحضير الدكتوراة عن العنصر الانسانى فى الجيش لـ
المتلاحقة بعد ذلك حالت بينى وبين إعداد رسالتى . والحصول على الـ

وأذكر وأنا جالس فى امتحان دبلوم الاقتصاد السياسى ، عام ٢٩
نجيب الهلالى كان يجلس إلى جوارى . . وتعرفت عليه يومها . . لكننى
أن يكون رئيسا للحكومة التى كانت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . تحكم
والتى كان علىّ اسقاطها .

وأذكر أيضا فى عام ١٩٢٩ أننى قابلت مصطفى النحاس . . ولم تكـ
صدفة كمقابلة نجيب الهلالى ، وإنما كانت مدبرة ، سعيت إليها بنفسى
ذلك العام حل الملك فؤاد البرلمان ، ومنع مجلس النواب من الانعقـ
الاغلبية فيه كانت للوفد . .
وقررت الذهاب لمقابلة النحاس
أردت أن أقول له : إن الجيش وراءك . .
وتحينت الفرصة لذلك . .

كنت سهران فى الكتيبة . . فجاء لى قائدها البكباشى عبد الله رشدى وقال :
ـ أريد أن أترك الكتيبة فى رعايتك حتى أتناول العشاء مع زوجتى وأعود لك !
قلت له :
تفضل !
ذهب . . وعاد . . ليجدنى متيقظا . . قال لى :
ـ مالك . . ماذا يضايقك ؟
قلت :
ـ أنت رحت تعشيت مع امرأتك ، وأنا أريد أن أذهب لأرى أمى المريضة ، التى لم أرها منذ أيام . .
قال :
ـ اتفضل !
ورحت للبيت . . ورأيت أمى فى ثوان . . وأخذت جلبابا سودانيا ولبسته فوق البدلة العسكرية . . كما لو كنت من أبناء النوبة أو شمال السودان . . ورحت لبيت مصطفى النحاس . .
كان البيت محاصرا بالبوليس والمخبرين . . خبطت على الشباك . . جاء البواب . .
قلت له :
ـ تلغراف !
ـ فين التلغراف ؟
ـ مفيش تلغراف . . أسمع أنا ضابط وأريد مقابلة النحاس باشا . .
ـ ياعم صلى على النبى . . انت بتضحك على . .
ـ بس . .
ـ مفيش بس . . مش ممكن أدخلك على الباشا دلوقتى . .
لم يوافق . .

فرحت للبيت المجاور وكان بيت حمد الباسل ، ونطيت على بيت النحاس . . فإذا بكلب وولف شرس يهجم على ، وكاد أن يمزقنى لولا أن أنقذنى منه البواب ، الذى أضطر أن يوصلنى للنحاس . .

طلعت على سلم خشبى إلى الدور العلوى . . وجدت النحاس ومعه مكرم عبيد ومحمود فهمى النقراشى . . وجدونى أمامهم . . فزعوا . قلت لهم :

ـ أنا أحمل لكم رسالة من الجيش . . الجيش مستعد لاى أمر توجهونه له . . سنكون أسرع من عود الكبريت فى الاشتعال . .

قال النحاس :

ـ كيف ؟

قلت

ـ نريد ان تقتحموا البرلمان وتدخلوا بالقوة ؟

قال مكرم عبيد :

ـ كيف ؟

قلت :

ـ الأورطة التى تحرس مجلس الشيوخ والأورطة التى تحرس مجلس النواب لن يتعرض أفرادها لكم . . بل إنهم مستعدون أن يفتحوا لكم الأبواب ويحلوا لكم السلال التى تربطها . .

قال النحاس :

ـ أنا أفضل أن يكون الجيش بعيدا عن السياسة ، وأن تكون الأمة هى المصدر الوحيد للسلطات . . وإن كنت فى نفس الوقت أتمنى أن يكون انتماء الضباط للوطن وللشعب اكثر من انتمائهم للملك .

كانت المقابلة مثيرة ومرحة . . خاصة بعد أن لبست الجلباب مرة أخرى . . وبمجرد أن خرجت للشارع ، كان مخبر سرب ورائى . . وظل يترصدنى حتى الساعة الثالثة صباحا . . فركبت عربة حنطور حتى الجيزة وإذا بالدنيا تمطر . . فأعطيت جنيها للعربجى ، وقلت له :

ـ آدى جنيه . . وامشي على طول . . لاتقف . . ولكن امش بهدوء . . واحدة . . واحدة . . لأننى سأنط من العربة . .

وقفزت من العربة . . ووقعت على الأرض . . ومرت عربة المخبر على دون أن يرانى . . ورحت وحدتى . . وقابلنى القائد . وسألنى :

ـ مالك مبهدل كده ؟!

ـ الدنيا بتمطر !

- ازى والدتك ؟!

- بخير والحمد لله !

ولم أقل له أننى كنت عند النحاس باشا .

ومنذ ذلك التاريخ توطدت علاقتى بالوفد .. وبرجاله .. وبزعمائه .

فكثيرا ما كان النقراشى باشا يأخذ رأيى فى الأمور التى كانت تتعلق بالسودان .. وكثيرا ما كان يسألنى رأى أخى على نجيب فى الأمور التى لم أكن أعرفها .. لأن على كان سكرتيرا للحاكم العسكرى السودانى لمدة ١٠ سنوات .

وعندما ذهب النقراشى لعرض قضية مصر على مجلس الامن عام ١٩٤٧ حمل معه كتابى رسالة عن السودان الذى كتبته عام ١٩٤٣ .

وبعد عامين .. فى عام ١٩٣١ ، رزقت بابنتى الكبرى سميحة وسميحة من يومها ، كانت فتاة هادئة .. رزينة .. طيبة .. ومتفوقة .. واصلت دراستها حتى ليسانس الحقوق .. لكنها فى الليسانس ، ماتت بسرطان الدم .. كان ذلك عام ١٩٥٠ .. ويومها أحسست بنكد الدنيا يسيطر على كيانى . فى نفس العام .. عام ١٩٣١ فكرت أن أستقيل من الجيش لكنى رقيت إلى رتبة يوزباشى .. فأغرتنى الترقية بالاستمرار فى الجيش ، بدلا من فتح مكتب محاماه فى سن الثلاثين

عام ١٩٣٤ من الأعوام السعيدة فى حياتى ..

فى مايو ، من ذلك العام نقلت إلى سلاح الحدود ، وبدأت خدمتى فى الجبهات الأمامية .

وفى أغسطس فى ذلك العام تزوجت للمرة الثانية بعد أن طلقت زوجتى الأولى بأربعين يوما .

تزوجت عائشة محمد لبيب ، التى كانت مثل أمى .. يتيمة .. وابنة قائد عسكرى راحل فى سلاح الفرسان .. وكانت عائشة تعيش مع أمها الأرملة وثلاث بنات (عزيزة ، وفاطمة ، وخديجة) ، فى بيت كبير بحلمية الزيتون .. نفس الحى الذى عشنا فيه بعد حرب فلسطين .

وحين تقدمت لطلب يدها ، قالت لى بصراحة .
- أتمنى أن تفهم حقيقة مركزنا المالى . . فإن وزارة الأوقاف التى تولت أمر أطياننا أساءت التصرف حتى غدا كل مانحصل عليه منها هو الديون .
فقلت لها بصراحة أيضا .
- لو لم أتزوجك الأن فمعنى ذلك أننى طلبتك للزواج من أجل فلوسك

كانت عائلتها تعيش على ٨٠ جنيها فى الشهر ، رغم أن ثروتها كانت ٥١٢ فدانا فى بلدة بنى مزار ، فى صعيد مصر ، لكن كانت هذه الثروة موضوعة تحت إشراف وهيمنة وزارة الأوقاف ، والذين أداروها أساءوا استغلالها ، حتى أصبح الورثة مديونين بحوالى ٢٦ الف جنية ، وكان هذا نصف قيمة الأرض .

بعد الثورة ألغى نظام الوقف ، وصفيت التركة ، وورثت عائشة ٧٠ فدانا ، كان ريعها ١٤٠٠ جنيه سنويا ، وكان هذا الريع يعادل نصف مرتبى وأنا رئيس لجمهورية مصر .

ومن يوم أن تزوجتها إلى أن توفاها الله لم أقرب مليما واحداً من أموالها . . فى العام الأول لزواجى من عائشة ، نقلت إلى العريش ، فى سيناء . . وكنت أقضى أغلب وقتى فى الصحراء أطارد المهربين . . وبالرغم من قسوة الحياة فى الصحراء . . حرارة شديدة فى النهار ، وبرودة قارصة فى الليل ، ورياح ، وعطش ، ونقص فى الماء والطعام وسبل المعيشة ، إلا أننى كنت أشعر بروحانية وشفافية وانتماء لكل شيء من حولى .
وضاعفت هذه الأحاسيس من صلابتى فى مطاردة المهربين .

ومن أكبر المطاردات التى قمت بها ، مطاردة أخطر المهربين ، فى سيناء ، وكان أسمه سالم خضر سالم . . لكننى فى كل مرة كنت أقبض فيها عليه ، لا يكون فى حالة تلبس بالمخدرات . . كان يتخلص دائما من عبوات المخدرات قبل القبض عليه بعقائق . . إلا أننى بعد أكثر من سنة ، نجحت فى القبض علية متلبسا ، ودخل السجن .

وفى مرة اخرى ، كنت أطارد خمسة من المهربين ، كانوا يحملون ١٤٠ ٩ ط.ة

حشيش . . لم يكن معى سوى رجل واحد هو دومة عواد ، وهو رجل من البدو وكان قصاصا للأثر . . وفتحوا علينا النيران . . فأختبأنا وراء تل صغير . . ورحنا نرد عليهم بالنيران . . وحتى نخدعهم ، خلعت الكاب وأخذت عمامة أبو دومة ووضعتها بجانب الكاب على التل ، حتى نوهمهم أننا أربعة ، لا إثنان . . لكنهم لم يخدعوا وواصلوا إطلاق النار . . وبدأ أبو دومة يخاف . . وأمسكت بندقيته أمنعه من الهرب . . وواصلت إطلاق النار عليهم . . ولحسن الحظ قتل واحد منهم . . فبدأ أبو دومة يسترد حماسه وأخذ منى بندقيته . . ولم نتركهم الا بعد أن استسلموا .

وفى مرة ثالثة ، طلعت أنا وأبو دومة فى مطاردة وراء عصابة من المهربين لمدة أسبوعين . . وبعد طول هذه المدة انهارت الجمال التى معنا . . ونفذ الماء أيضا ، وكدنا نموت من العطش . . وجدنا بئرا قديمه . . شربنا منها . . أصبنا بإسهال حاد وكدنا نموت من الهزال . . حتى جاء راعى غنم متجول ، وباع لنا لبنا وأرشدنا إلى بئر ماء أفضل .

وسرنا على الأقدام مسافة طويلة وراء اثار أقدامهم ، حتى انضمت لنا مجموعة ، أخرى من حرس الحدود ، ونجحنا فى القبض على العصابة .

بعد هذه المطاردة نزلت السويس ، عند صديقى شوقى عبد الرحمن ، الذى قال لى بعد أن رويت له كل هذه القصص :

- لابد أنك ستحصل على نيشان !

قلت :

- لا أعتقد !

قال :

- تراهنى على أكلة سمك ؟

قلت :

- موافق !

وعدت لسيناء ، ورحت إلى دير سانت كاترين ، تحت جبل موسى ، المعروف باسم جبل سيناء ، واصطحبنى فى زيارتى للدير قس ارثوذكسى . من أصل يونانى أشار لى إلى ايقونة للعذراء وقال لى :

- إن اليدين تشيران ، فى الأيقونة ، إلى معجزة . . فقد كان على أن أستيقظ كل يوم لأضع الزيت فى قناديل الدير ، وفى ليلة راحت على نومة ، فإذا بيد تحركنى لكى استيقظ ، وقمت فعلا . . ومن يومها اعتبرت اليدين معجزة .
وفى نفس اليوم قابلت عبد الرحمن فى السويس ، فقال لى :
- مبروك أخذت النيشان وأنا كسبت الرهان .

وجاء الوسام بعد التقرير السرى الذى كتبه عنى الاميرالاى هاتون بك ، والذى قال فيه :
إن محمد نجيب ضرب رقما قياسيا فى دوريات الصحراء سواء على ظهر الجمال أم بالسيارة ، وهو رجل شجاع ذو مخالب قوية .
وكان ماجاء فى تقرير هاتون بك وساما آخر !.
وقد أخفى جمال عبد الناصر هذا التقرير ، وغيره من ملف خدمتى بعد ذلك .

لقد كانت حياة الصحراء حياة خطرة ، وشاقة ، لكننى كنت استمتع بخدمتى فيها ، أكثر من استمتاعى بالخدمة فى أى مكان آخر . . وأنا خدمت فى الصحراء وسلاح الحدود حوالى ست سنوات . . ثلاث سنوات وأنا برتبة يوزباشى (نقيب) وثلاث سنوات ، أخرى وأنا برتبة قائمقام (عقيد) وثلاث سنوات أخرى . حتى عينت وكيلا لمحافظة سيناء ، وبعدها محافظا للبحر الأحمر . . وخلال سنوات خدمتى فى سلاح الحدود ، عشت فى بور توفيق ، و سيناء ، والجبل الأصفر ، وواحة المنايفة ، والواحات ، وفايد ، والقنطرة شرق ، والبحر الاحمر حتى الحدود مع السودان .

وفى كل مكان بالصحراء المصرية التى خدمت فيها ، كانت علاقتى بالبدو الذين يعيشون فيها ، علاقة شخصية جدا .
كنت أحضر لهم السجاير . . وكانت علبة السجاير بتسعة قروش ، وبها ١٠٠ سيجارة .
وكنت أعطيهم قدر استطاعى ، من الأغذية المحفوظة ، التى كنا نتناولها .
وكنت وهذا هو الأغرب ، أعالجهم من الأمراض المختلفة .
كان البدو يستعينون بى كطبيب . . وكنت أستجيب لذلك ، وأعالج أمراضهم البسيطة ، بالأدوية التى فى حقيبة الإسعافات الأولية . . الإسبرين . . القطرة . . المراهم . . والأربطة . . .

واصبحت لى شهرة فى الصحراء كطبيب . . وتحولت خيمتى إلى مستوصف . .

وفى يوم وقعت فى شر أعمالى ، وجاء لى أحد الشبّان ، من الذين ينتمون إلى اقوى وأكبر القبائل وطلب منى أن أعالجه من ضعفه الجنسى . . وارتبكت . . ولم أدر ماذا أفعل فى هذه الورطة . . وبلمحة فاحصة أدركت أن الشاب هزيل جدا وفى حاجة إلى تغذية قوية . . فقمت إلى مخزن الأطعمة وأعطيته منها بعض اللحوم والمأكولات الأخرى المغذية وأعطيته معها شرابا مقويا . . ولكى أوحى له بالشفاء أعطيته حبتين عاديتين للاسهال ، وأكدت له أن هذه الأقراص من نوع نادر جدا من الصعب الحصول عليه . . وخرج الشاب وكله ثقة فى نفسه وهو مقتنع بالشفاء . . وبعد فترة نقلت من هذا المكان . . لكننى عدت إليه مرة أخرى بعد ١١ سنة ، لأرأس محكمة عسكرية عرفية ، خاصة بنظر دعاوى القبائل . . وإذا برجل طويل القامة ، قوى العضلات يهجم على ويعانقنى بحرارة ويقبلنى فى كل مكان يصل إليه ، وعرفت منه أنه ذلك الشاب النحيل المريض الذى جاء لى يطلب العلاج المناسب لضعفة الجنسى . . ثم قدم لى غلاماً فى العاشرة من عمره وقال لى :

- هذا ياسيدى ابنى البكر .

وفى يوم آخر فوجئت برجل يطلب منى أن أكشف على زوجته التى تعانى من ورم فى بطنها . . وكانت المفاجأة ليست فى مرض السيدة ، وإنما فى السيدة نفسها . . فهذه هى المرة الأولى التى يسمح فيها البدو بأن يكشف رجل غريب على امرأة من نسائهم . .

ولم أحاول فى هذه الحالة أن أدعى شيئا وقلت للرجل :

- زوجتك محتاجة لعملية . . اذهب إلى السويس .

ومقابل هذه الخدمات كان البدو يرشدوننى على الأماكن التى يختبىء فيها المهربون .

وكانوا أيضا يقدمون لى كل المعلومات التى أطلبها عن الصحراء والتى كانت تفيدنى فى حل الألغاز الصعبة التى تحيط بى ، مع رمال الصحراء وأشجارها ومواردها وإمكانياتها .

حتى أننى بعد أن أصبحت عضوا عاملا فى معهد الصحراء نجحت فى إعداد الكثير من الدراسات حول : حياة البدو وكيف يمكن رفع مستواها و سر استغلال المعادن . . وكنت ألقى المحاضرات العلمية الدقيقة فى مثل هذه الموضوعات . . ونشر العديد منها فى صورة مقالات . . ورفعت عنها أكثر من تقرير للملك فاروق ، طالبت فيها بالاهتمام بطرق استغلال الصحراء وتعميرها .

وفى عام ١٩٣٥ ، بعد هجوم إيطاليا على اثيوبيا ، نقلت من العريش إلى الصحراء الغربية . . كانت مصر وإنجلترا تخشيا من أن يهاجم الإيطاليين الصحراء الغربية ويدخلوا السلوم . . ولم يهدأ التوتر فى تلك المنطقة إلا فى عام ١٩٣٦ ، فعدت للقاهرة للعمل تحت قيادة البكباشى حسن عبد الوهاب
كان عام ١٩٣٦ من أهم الأعوام فى تاريخ مصر الحديث قبل الثورة .
مات الملك فؤاد فى أبريل ، وجاء الملك فاروق بعده فى مايو من نفس العام .
وفى أغسطس وقعت مصر وبريطانية اتفاقية ١٩٣٦ .

وهذه المعاهدة كما هو معروف ، أنهت الاحتلال البريطانى لمصر ، وحصرته فى جزء واحد هو قناة السويس ومدنها . . حوالى ١٠،١٠ آلاف جندى ، و ٤٠٠ طيار تمركزوا فى قواعد بريطانيا فى السويس ، بعد المعاهدة .
وأزالت هذه المعاهدة الحصانة القانونية والمميزات الأخرى التى كان يتمتع بها الأجانب فى مصر .
وأيضا ، أعادت المعاهدة الوجود العسكرى المصرى فى السودان ، وأزالت التفرقة بين السودانيين والمصريين ، وشكلت لهذا الغرض لجنة برئاسة اللواء إبراهيم خيرى للسفر إلى الخرطوم ، لإعادة تنظيم الجيش ، كنت واحدا من افرادها .
لكن المعاهدة لم تمنع تدخل بريطانيا فى شئون مصر ، واستغلالها لكل إمكانياتها الحربية والمدنية ، فى حالات الحرب والاعتداءات الخارجية . . ولم تمنع ، أيضا تدخل بريطانيا فى الإدارة وفى التشريع .

لذلك لم تكن المعاهدة ، اتفاقا نموذجيا من وجهة نظر المصريين . . لأن الاحتلال لم ينته فعلا . . والنفوذ البريطانى ظل على نفس مستواه قبل المعاهدة تقريبا .

بل إن بريطانيا حاولت ، قبل أن يمر وقت طويل على المعاهدة ، أن تحتل غرب

القاهرة ، وتعسكر فيها ، بحجة أن هناك حربا على الأبواب ثم . . طلبوا الإذن بالقيام بمناورات فى صحراء الفيوم ، والصحراء الغربية . .

وقد اقترحت أن ترفض هذه الطلبات لانها تتنافى مع المعاهدة . .

وكان إحساسى أنا وقائدى أحمد حمدى ، أن الحرب ليست على الأبواب ، كما تحاول أن توهمنا بريطانيا .

وكان إحساسنا أن بريطانيا تريد أى مبرر يجعلها تعود لفرض احتلالها على كل أرجاء مصر ، كما كانت قبل المعاهدة .

ولم يكن فى طاقتى النفسية أن أراهم يعودون كما كانوا . . وهذا ماجعلنى أوقف الاتصال بهم من خلال البعثة العسكرية ، كما كان ، وطلبت أن يكون اتصالنا بهم عن طريق قيادة الجيش المصرى . . وأوقفت عادة إصدار الأوامر للجيش المصرى بالانجليزية والعربية . . ولم يكن عندى أى اعتراض على تقديم بعض النسخ للانجليز ، من الأوامر ، باللغة العربية . . على أن يتصرفوا هم فى عملية الترجمة .

فى العام التالى للمعاهدة . . عام ١٩٣٧ ، أسست مجلة الجيش المصرى . . وظللت أشرف عليها لعدة سنوات . . وكتبت فيها عشرات من المقالات .

ومن أهم المقالات التى كتبتها ، مقالات تدعو إلى ضرورة التدريب العسكرى لطلبة الكليات والمدارس الثانوية . . وهذا ما أخذ به بعد ذلك . . ولكن بجدية أقل .

وإلى الآن ، فى اعتقادى أن التدريبات العسكرية للجنسين ضرورة لخلق المواطنين الصالحين ، خاصة فى البلاد النامية ، كمصر .

و يوم أن تبنيت هذه الدعوة ، كان فى مصر جمعيات متنوعة (مثل جمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الشبان المسيحيين ، والكشافة ، والمرشدات ، وبنات النيل) وكلها جمعيات كان لها نشاط فعال ، لكن لأسباب ترتبط بوجود الاستعمار البريطانى ، لم يستطيعوا تبنى الفكرة ، ولم يتمكنوا من إقناع شباب مصر أيامها بالتدريب العسكرى .

وفى عام ١٩٣٨ ، طلب الانجليز الإذن بارسال بعض دباباتهم لمرسى مطروح ، لعمل تدريبات مشتركة معنا . .

سألت :

ـ أى الدبابات يريدون إرسالها إلى هناك ؟

قالوا :

ـ الدبابات التى سبق إرسالها إلى هناك !

فقلت لقائدى ، وكان اسمه عبد الوهاب ، فى ادارة الجيش :

ـ أرفض هذا الطلب ، لأنهم يعرفون المنطقة وسبق أن اختبروها من قبل .

فوافق . .

وأرسلنى إلى على فهمى وزير الحربية الذى كان سيوقع قرار الموافقة على إرسال الدبابات إلى مرسى مطروح ، ومعى قرار جديد برفض طلب الانجليز .

وكان ثمن هذا التصرف أن رفع الانجليز اسمى من كشف أسماء المجموعة المصرية التى ستسافر الى انجلترا ورفضوا منحى التأشيرة . . ووضعونى فى القائمة السوداء للجيش الانجليزى فى مصر .

وعندما حاولت ، بعد ذلك . أن التحق بمدرسة أركان حرب ، رفضوا طلبى .

وأخيرا قبلونى فى خريف ١٩٣٨ بتدخل من ضابط مصرى كبير .

وفى عام ١٩٣٩ سمحوا لى بالسفر الى انجلترا .

قبل أن اروى ماحدث فى رحلتى لانجلترا ، سأتوقف قليلا عند حادث شخصى هام وقع لى فى ٥ مارس ١٩٣٨ .

فى هذا اليوم ولد ابنى الأكبر .

كنت أريد أن أسميه صلاح الدين الأيوبى .

لكن زوجتى ارادت ان تسمية فاروق على اسم ملك مصر فاروق ، لتجلب له الحظ .

وقعدنا نتناقش معا ، حتى نفد صبرى ، وقلت لها :

ـ لو كنا نريد أن نسميه على اسم ملك ، فليكن اسمه جورج على اسم ملك انجلترا ، لأن حظه أفضل من حظ ملك مصر .

وكسبت زوجتى المناقشة ، لأنها ، كانت قد قالت للقابلة : أن نسميه فاروق ، قبل أن تفتح معى هذا الحوار .

وأكثر من مرة كنت أريد أن أغير اسمه إلى صلاح الدين . لكن اسم فاروق

كان قد لصق فيه ، رغم اعتراضى . . والطريف أننا كنا نقول له أحيانا : ياصلاح الدين . . وكنا من باب الدلع نناديه باسم جورج .

وبعد أن ولد فاروق ابنى ، جاءتنى الفرصة لأن أقابل فاروق - الملك . . كنت قد رقيت إلى رتبة رائد . . وكنت مسئولا عن المتحف الحربى فى القاهرة فى غياب المدير الذى كان يزور متحفا أو أكثر من متاحف أوروبا العسكرية .

صدر الأمر أن اسافر إلى الأسكندرية ، حيث كان فاروق يقضى الصيف ، ومعى سيارتين - لورى ، تمتلئان بالتحف العسكرية .

يومها كان فاروق عمره ١٨ سنة أما أنا فكنت ٣٧ سنة .

ويوم وصلت إليه فى الأسكندرية كان يستحم فى المنتزه ، فطلب رجاله أن نفرغ حمولة السيارتين ، أنا ورجالى ، وننتظر جلالته فى الحديقة .

وجاء لنا فاروق بلباس البحر ، وصندل ، وقبعة تحمية من الشمس ، وكنت انا ورجالى نرتدى كامل ملابسنا الرسمية .

واخرجت التحف التى كانت معنا لفاروق .

من ضمن هذه التحف كان هناك مسدسان صغيران ، احدهما من النحاس ، ويرجع الى عصر الخديو اسماعيل . . والآخر من معدن آخر . . ومن نفس العصر تقريبا . .

وعندما أخرجتهما بيدى ، قال لى فاروق .

- أنت قوى ماذا تأكل ؟

قلت له :

- فول .

وأراد فاروق أن يثبت أنه قوى هو الأخر ، لكنى لاحظت ان جسمه كان مترهلا ، رغم أن عمره كان ١٨ سنة . . وأنا كان جسمى متماسكا رغم أن عمرى هو ضعف عمره تقريبا .

وبقيت معه ٦ أيام . .

وكان معجبا بما كنت اقوله عن المتحف الذى لم يزره مرة واحدة فى حياته .

وفى ليلة كنت أفرجه على شرائح أفلام عن المتحف ، فأخذها منى أو من المتحف ، ولم يرجعها وفى تلك الليلة سألنى :

- من أين يمكن أن آتي بأقدم مسدس في مصر ؟

فقلت له :

- إسماعيل اشترى مجموعة من المسدسات عام ١٨٧١ أربعة منها موجودة في الجيزة .

فأصدر أوامره لي أن أحضر له واحدا منها .

ورغم عني أحضرت له ما طلبه .

وعندما أعطيته له ، فرح به كطفل حصل على لعبة .

ولما حاولت أن أنزع إبرة ضرب النار جاء مستشار الملك عبدالغفار عثمان ليساعدني ، وإنحنى ليقبل يد الملك . . رغم أني لم أفعل ذلك ، واكتفيت بتأدية التحية العسكرية له . . وكان معنا أنطون بوللي الكهربائي الإيطالي الذي أصبح بعد ذلك مستشار الملك الخاص .

وعرفت من بوللي انه اقترح على الملك ان يرتدي ملابسه قبل ان يرانا ، لكن الملك اصر على ان يقابلنا بالمايوه ؟؟

وعندما جئت اشرح للملك ، كيف يعمل المسدس ، ازاحني عثمان من امامه ليحظى ، كما تصور ، بهذا الشرف . . وحاول عثمان محاولات يائسة لفك المسدس ، وفشل . . وحاولت ان اتدخل ، فغمز لي الملك ان اسكت . . وعندما اعلن عثمان فشله ، اعطاني الملك المسدس . . ونجحت فيما فشل فيه عثمان .

وسأل فاروق عثمان :

- اين تعلمت العسكرية

فقال :

- في انجلترا :

فقلت :

- نحن في مصر افضل من انجلترا .

وعثمان بالمناسبة رقي بعد ذلك أكثر من ترقية استثنائية ، وحصل على وشاح النيل ، واتهم بشراء بعض صفقات الاسلحة الفاسدة من ايطاليا ، وحوكم بعد الثورة وسجن ١٥ سنة .

وقد قابلت فاروق مرة اخرى في نفس العام ، في حفل تخريج دفعتي من كلية اركان حرب .

وأذكر انني حرضت زملائى فى الدفعة على عدم تقبيل يد الملك .
لكن لم يسمع احد كلامى .
وعندما جاء الدور على ، لم أقبل يده ، ومثلت دور المرتبك الذى لايعرف التصرف فى مثل هذه المناسبات ، أمام الملك .
اديت له التحية وسلمت عليه بشدة . . فاذا به يغمز لى بعينه . . وظهرت هذه الغمزة فى صور جرائد اليوم التالى .
فى صيف ١٩٣٩ سافرت مع مجموعة من الضباط المصريين الى انجلترا وفرنسا لمدة شهرين .
فى انجلترا زرنا المدارس العسكرية والمصانع الحربية . .
وفى فرنسا زرنا خط ماجينو واماكن معارك الحرب العالمية الاولى . .
وكانت هذه الزيارة هى اول وآخر زيارة لى لاوروبا . .

وقد اثرت فى كثيرا

جعلتنى أحس بضيق من اغلب الذين يسافرون للخارج . . فهم يتمتعون بما يرونه . . لكن لااحد منهم يفكر فى بلده .
فقد رأيت كيف يتصرف الانجليز فى بلادهم بطريقة أخرى عن سلوكهم فى بلادنا . . فى بلادنا كانوا يتصرفون بغطرسة ودون أن يتصوروا أن الناس فيها لهم مشاعر وأحاسيس . . وفى بلادهم كانوا يقدرون شعورنا ويتعاملون معنا بانسانية لدرجة أننى لم أصدق أن هؤلاء هم الذين يحتلون أرضنا .
ولو كان الانجليز يتصرفون فى بلادنا كما يتصرفون فى بلادهم لقل السخط عليهم .
كانوا فى بلادهم يفعلون كل ما فى وسعهم ايشعرونا بالتقدم الذى يعيشون فيه . . لكنهم فشلوا فى اقناعنا بأنهم سيكسبون الحرب ضد المانيا الهتلرية . . فاستعدادهم العسكرى لم يكن يومها فى مثل استعداد دول المحور .
وأنا كمصرى لم أكن أهتم بالنصر الانجليزى . . بل كنت أهتم بأن يعاملونا كحلفاء . لا كتابعين . . ولم يكن يهمنى أن تنتصر المانيا ، لأنى لم أكن أريد أن أستبدل احتلالاً باحتلال آخر .

كل ما تمنيته ان تقلل الحرب من قوة انجلترا وفرنسا ليشعروا بأهمية اطلاق حرية العرب .

وإنتهت الزيارة . .

وعدت لمصر . .

وبدأت الحرب . .

فى مصر أيام الحرب وضعونى فى قسم التدريب بإدارة الجيش .

كان القرار قد اتخذه رئيس العمليات .

وكان هذا الرجل لايحبنى . .

ويوم وصله تقرير من كولونيل بل القائد العام الانجليزى عن دراستى فى كلية الاركان ، وجاء فيه : ان محمد نجيب فى أدائه لعمله مثل النمر قال لى :

ـ طيب ياسى نمر تروح التدريب .

كان عملى فى التدريب ترجمة البرامج الأساسية للتدريب . . ولم يكن عملا مهما . . لكنها كانت فرصة للاطلاع والقراءة . .

ظللت بهذا المكان حتى بداية الاربعينيات . . ثم تركته لاشترك فى مناورات مع الجيش الانجليزى فى الصحراء الغربية . .

كان ذلك فى يونيو ١٩٤٠ . .

وفى ذلك الشهر ولد ابنى الثانى على الذى سميناه على اسم اخى . .

وفى ذلك الشهر بدأت ايطاليا تستعد للهجوم على ليبيا وتهدد مصر . . وبمساعدة الانجليز ، بدأنا نحصن البلد ضد اى غزو خارجى . . وكنت واحدا من اثنين طلب منهما اعداد خطة الدفاع عن مصر . . وكان على ان اقدمها خلال ٤٨ ساعة . . وخلال هذه الساعات كان على ان اقول لهم كيف يمكن حماية ٣٢ موقعا استراتيجيا مدنيا وعسكريا .

وسلمت الخطة فى الموعد . .

والغريب انهم قبلوها . .

وبعد أيام كانت ايطاليا فى سيدى برانى . . ووصل الى مصر اكثر من ٢٥ الف جندى من المستعمرات البريطانية لرد ايطاليا الى ليبيا ونجحت انجلترا فى ذلك ، واسرنا أكثر من ٢٠٠ ايطالى . . وضعوهم عند فايد . . وكلفت بالتحقيق معهم . . وفى اثناء التحقيق طلب منى بعض الايطاليين الذين قبض عليهم وكانوا

يعيشون فى مصر ان أوصل بعض الرسائل الى عائلاتهم فى القاهرة والاسكندرية .. وفعلا وصلتها .
وكان من بينهم مهندس ايطالى كنت أعرفه لأنه كان يتولى إصلاح سيارتى الفيات الصغيرة التى كنت امتلكها فى ذلك الوقت .
وبعد أن تخلصنا من الايطاليين جاء الالمان..
كانوا اخطر من الايطاليين..
وفى ٤ نوفمبر ١٩٤٢ كسب الانجليز المعركة ضدهم .
فى تلك الايام لم يكن فى ايدينا اى شيء يمكن ان نعمله .. كنا نتفرج وننتظر ..
ولم تكن التهديدات الايطالية والالمانية هى التى تشكل خطرا على مصر فقط ، وانما كانت التهديدات البريطانية ايضا ، والتى كانت تتزايد مع ازدياد اهمية مصر فى الدفاع عن مصالح الامبراطورية العظمى .
ووقت الحرب عانينا الكثير من استهزاء الانجليز بنا .. وكانوا يتعللون باننا حيوانات .. ولم يفهموا ان مايهمنا لابد ان يختلف عن الذى يهمهم .. كانوايتوقعون ان يعاملهم المصريون كحلفاء مخلصين لهم ، مع انهم كانوا يعاملوننا كنكرات .
وكان جنودهم يغنون فى الشوارع اغانى غير مهذبة تمس الملك فاروق .. ورغم اننا لم نكن نحترم فاروق الا انه كان ملكنا ورمزا لبلادنا واى اهانة له اهانة لنا .
أننى لم أر فاروق يتعرض للاستهزاء كما حدث ايام الحرب العالمية الثانية ..
ويبدو أن الانجليز كانوا يعرفون أن السخرية منه ، هى سخرية منا جميعا .. ولكنهم لم يكتفوا بالسخرية من الملك ، وانما امتدت تصرفاتهم الى انتهاك الاعراض ، و التصرف فى البلد وكأنها كباريه كبير .
وقد رأيت ذلك بنفسى .. وعشته ..
ففى مرة رأيت عسكرى انجليزى فى حالة سكر وبدأ يهزأ من راكب مصرى إلى جواره فى أتوبيس عام .. وتدخلت .. واصرت على أن ينزل من الأتوبيس بالقوة ..
وفى مرة اخرى تعرضت لموقف مشابه فى مصر الجديدة .. ثلاثة من جنود المستعمرات الافارقة ضربونى على رأسى وخطفوا محفظتى ..
ولكن ..

مثل هذا التصرف فى كفة . . وماحدث من الانجليز فى ٤ فبراير ١٩٤٢ فى كفة اخرى .

فى اول فبراير ١٩٤٢ بعد أن احتل الالمان بنغازى ، قام الطلبة فى مصر بمظاهرات لصالح على ماهر الذى كان ضد السياسة البريطانية .

فى اليوم التالى طرد الملك فاروق رئيس الحكومة الذى كان يؤيد الانجليز وجاء بحكومة حسين سرى .

فى ٣ فبراير قبل الملك دراسة تشكيل جديد للحكومة مع على ماهر . . وذهب سير مايلزلامبسون السفير البريطانى بالقاهرة إلى قصر عابدين وقابل الملك . . وقال السفير البريطانى للملك :

ـ لابد ان يشكل النحاس الحكومة .

كان الانجليز يثقون بالنحاس بقدر عدم ثقتهم فى على ماهر .

ورد فاروق :

ـ طيب !

وقال :

ـ سأدرس الحالة مع النحاس وماهر قبل ان اتخذ القرار .

فى ٤ فبراير . . وقبل ان يتخذ فاروق قراره قال له السفير البريطانى :

ـ لو لم تختر النحاس قبل الساعة السادسة سوف تتحمل العواقب !

ورفض الملك اقتراح الانجليز . . وارسل احمد حسين لابلاغ لمبسون بقراره .

فى الساعة التاسعة ذهب لمبسون الى الملك واقتحم الانجليز القصر بالقوة ، دون اى مقاومة من الحرس الملكى . . وقاد عملية الاقتحام الجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر . . وطلع الجميع الى حجرة نوم الملك ، وقالوا له :

ـ أنت سجين الجيش البريطانى !

وأخرج السفير له ورقتين . . الاولى قرار بالتنازل عن العرش . . والثانية قرار بتشكيل حكومة يرأسها النحاس . . وقالوا له :

ـ عليك ان تختار اى القرارين توقع !

ولا أحد يعرف . . هل أعطوه الورقتين بالعربية أم بالانجليزية . . ولا أحد يعرف ماذا قال فاروق بعد ان وقع قرار حكومة النحاس .

وفى اليوم التالى ، قبل ان يدخل النحاس مقر الحكومة ، قال :

ـ الحقيقة ان الملك سمح للسفارة البريطانية ان يسلبوه سلطته .
وعندما رأيت كل هذا ، احسست باحتقار وقرف من بدلتى العسكرية ، وكتبت استقالتى ، احتجاجا على ماحدث ، وقلت للملك فى الاستقاله :
« حيث انى لم استطع ان احمى مليكى وقت الخطر فانى لأخجل من ارتداء بذلتى العسكرية والسير بها بين المواطنين ، ولذا اقدم استقالتى » .
كنت الضابط الوحيد الذى قدم استقالته .
ولكن الملك اعاد الاستقالة مع ياوره عبد الله النجومى ، واضطررت لسحبها نزولا على رغبة زملائى . .
قال لى النجومى :
ـ بما ان الملك منع الحرس الملكى ان يقاوم الانجليز فهو لن يسمح لك بالاستقالة .
وعدت الى ادارة الجيش بعد ذلك . .
ورقيت فى العام التالى . . الى رتبة بكباشى (مقدم) . .
وفى اول ذلك العام . . فى ٣ يناير ١٩٤٣ جاء ابنى الثالث يوسف . . والذى سمى على اسم ابى .
وفى عام ١٩٤٤ عينت حاكما اقليميا لسيناء .
وأصبح على حتى ارقى مرة اخرى ان اكون فى وحدة مقاتلة ، فتركت الحدود وعدت الى الجيش .
فى عام ١٩٤٧ كنت مسئولا عن مدافع الماكينة فى العريش . .
وفى العام التالى كانت حرب فلسطين .
الحرب التى كانت بمثابة الخطوة الاولى فى مشوار الالف ميل نحو تغيير وجه الحياة فى مصر .

الفصل الثالث

حرب فلسطين

- نضال الجيش المصرى فى الأربعينات من مقاومة رئيس الأركان إلى مقاومة الحرس الحديدى .
- وجود السودانيين فى بيتى جريمة يرصدها البوليس السياسى المصرى .
- هددت بالاستقالة لو لم يفرجوا عن الضابط أنور السادات .
- طالبت القصر بعدم الدخول فى مستنقع حرب فلسطين لكن لم يستجب أحد .
- عامر لجمال عبد الناصر : عثرت فى اللواء نجيب على كنز عظيم .

« عندما تقع البقرة تكثر سكاكينها » !

وعندما وقع الملك فاروق من على عرش مصر ، كثرت السكاكين التى هوت عليه . .

وأنا لا أريد أن أزيد فى عدد تلك السكاكين . .

وقد كنت أفضل تجاهل الماضى ، تاركا لكم التفكير فى الحاضر والمستقبل . . ولكن . . الحاضر يبدأ من الماضى . . والمستقبل يبدأ من الحاضر . . لذلك ، فلا مفر من القاء نظرة إلى الخلف . . إلى الملك الحزين . . الملك فاروق الأول (والأخير) ملك مصر والسودان (سابقا) .

فى عام ١٩٣٦ ، عندما اعتلى الشاب فاروق العرش ، بعد وفاة أبيه أحمد فؤاد الأول ، صلى إلى الله ان يكون حاكما مثاليا . . وأن يكون اسمه على مسمى . .

ففاروق فى اللغة العربية معناه : الشخص الذى يمكنه أن يميز بعناية بين الحق والباطل . .

لكن . .

بمرور السنين والأيام أثبت فاروق أنه لم يكن قادرا على المحافظة على اسمه .

ففى عام ١٩٤٨ ، بينما مصر مشغولة فى حرب يائسة ، اختار فاروق هذا الوقت لأعلان طلاقه من الملكة ، وكذلك قام شاه ايران محمد رضا بطلاق الامبراطورة أخت الملك فاروق . .

وبالرغم من أن الملك فاروق ، فى ذلك الوقت لم يتعد الثامنة والعشرين من عمره ، إلا أنه انحدر إلى درجة منحطة جدا . . ولم يعرف كيف يحافظ على مصالحه . . وراح يبيع الألقاب والمزايا الملكية . . وراح يشترى بثمنها الفساد ، الذى استشرى فى كل مكان بمصر ، حتى أصبحت مصر رمزا لكل ما هو خطأ فى الشرق .

ملاك الأرض يدفعون الرشاوى لموظفى الحكومة للتخلص من دفع الضرائب . . وبدلا من استغلال أموالهم فى مشروعات انتاجية ، قاموا ، إما بتهريبها للخارج ، أو اشتروا بها العقارات ، دون أن يراعوا الغالبية العظمى من الشعب ، والتى كانت تعانى الحرمان .

والحكومة القائمة غير قادرة على الإصلاح . . بل . . وغير راغبة فيه .
ومع ارتفاع الأسعار ، ارتفعت معدلات البطالة ، إلا فى مجال البناء .
ولم يجد خريجى المدارس الثانوية والجامعات وظائف لهم .
وفى الريف كانت الحالة أسوأ . .

فأسعار القطن ترتفع . . وترتفع معها اثمان الأرض . . والإيجارات التى تؤخذ من المستأجرين من الفلاحين الذين كانت تتناقص دخولهم .
وأخفت العدالة رأسها . . وتوارى الناس أصحاب الشجاعة الذين لديهم رغبة فى الإصلاح . . وكان الكثير منهم فى الجيش .
وأصبحت الارستقراطية حكرا على العائلة المالكة . .
ولم يعبأ أبناء وكبار التجار بالخدمة فى الجيش . .
وكان معظم الضباط فى الجيش ، من أبناء الموظفين والضباط القدامى والفلاحين . .

وكان بعضنا بالطبع قد فسد من الرشاوى وغيرها ، وفقد الإحساس بالأهداف الوطنية ، ولكن الغالبية العظمى بقيت مخلصة تعرف ما يدور فى بلدها ، وتسعى للتخلص منه .

لقد كان الهدف من النظام العسكرى حماية الحكام من أعدائهم المحليين والأجانب ، ولم يكن من السهل على الجيش أن يبتعد عن السياسة . .
لأنه لم يكن من السهل عليه أن يترك بلاده تهوى إلى قاع الفساد . . وكان لابد أن يتدخل فى السياسة ليكون حكومة تدافع عن المصالح والرغبات المشروعة للشعب .
وهذا بالضبط ما حاولنا أن نفعله بقيام حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .
أمسكنا بزمام السلطة لأننا لم نعد نتحمل المهانة التى كنا نعيشها مع الشعب المصرى . .
وكانت نقطة التفجر هى انهزامنا فى فلسطين . .
ولكن . . بالنسبة لبعضنا كانت نقطة التفجر سابقة على الهزيمة فى فلسطين.
أنا شخصيا كانت نقطة تفجرى فى ٤ فبراير ١٩٤٢

وعبرت عن غضبى من هذا الحادث الذى داس فيه الانجليز كرامة الملك

بالدبابات ، بأن قدمت استقالتى من الجيش ، لكن الملك لم يقبل الاستقالة . . وبقيت فى الجيش ، منذ ذلك اليوم ، رغم إرادتى .

بقيت فى الجيش لأرى بعينى كيف يعامل القادة الانجليز الضباط المصريين . . وكيف يستهزىء الملك بالجيش ، الذى كان يدين له بالطاعة والولاء باعتباره رمزا لمصر فى مواجهة الاحتلال البريطانى .
فقد كان الملك يولى على الجيش من يدين له بالطاعة العمياء دون أى اعتبار آخر ، كالكفاءة ، أو البراعة العسكرية .

وكان من بين هؤلاء اللواء إبراهيم عطا الله رئيس الاركان ، الذى كان مرتشيا . . وكان معجبا بالضباط الذين يتملقونه ، ويغدق عليهم الرتب والنياشين ، فى حين كان يعامل الضباط الذين يحترمون أنفسهم بجفاء شديد . .
كان إبراهيم عطا الله يستقطب كراهية الضباط الشرفاء وعداوتهم . .
وكان ذلك الإحساس وراء محاولة الرائد رشاد مهنا ، عام ١٩٤٧ ، للتخلص منه . .

كان رشاد مهنا ضابطا محبوبا فى المدفعية . . وكان عمره أيامها ٣٩ سنة . . وكان عمرى أنا ٤٦ سنة . . وكان معه ١٦ ضابطا من رتب وأعمار مختلفة . . قبض عليهم . . ثم أفرج عنهم بعد أيام تحت ضغط السخط العام من ضباط الجيش . . وأحيل إبراهيم عطا الله إلى المعاش .
وبعد الإفراج عن هؤلاء الضباط ، انضم بعضهم إلى الحرس الحديدى .
والحرس الحديدى تنظيم كونته السراى ، وأشرف على اختيار أعضائه الطبيب البحرى يوسف رشاد ، ليكون عين السراية على الضباط الوطنين فى الجيش . .
ونجح يوسف رشاد فى تجنيد هؤلاء الضباط بعوامل الإغراء والإرهاب . .

ورغم ان حركة ١٩٤٧ كانت بعثا للحركات الوطنية التى لم تشتعل منذ أحداث ١٩٢٤ ، إلا أن تكوين الحرس الحديدى كان انتكاسة لها .

ورغم أن حركة ١٩٤٧ كانت ظاهرة طيبة تثبت ان الجيش لايزال فى صفوفه رجالا يرفعون علم الثورة والتمرد والغضب ، إلا أن تكوين الحرس الحديدى كان فصلا مؤسفا لها .

وعلى كل حال . . كان الحرس الحديدى بمثابة بقعة صديد على جسم ثوار الجيش فى ذلك الوقت . . كان من السهل على هذا الجسم القوى أن يحتملها ويلفظها .

ولقد أثارت حركة ١٩٤٧ فى نفسى سؤالا عن سر اعتمادها على الضباط الصغار دون الالتجاء للضباط الكبار . . على الأقل للمشورة . .
ولو كان ضباط هذه الحركة طلبوا منى الرأى وإلا ستشارة لكنت عارضت خطتهم ، لأنها لم تكن ناضجة .
وكنت أنا أيضا ، ضالعا فى مؤامرة أخرى . . تتعلق بمصر والسودان . .

فقد أرسلت السفارة البريطانية تقريرا لمحمد رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية تقول فيه : إن محمد نجيب يجمع السودانيين فى بيته . . نمرة ٧ شارع سكة الميدانية بسراى القبة ليتباحثوا فى المسائل السياسية ، الأمر الذى يهدد الأمن . .
وطلبوا منه أن يعرف حقيقة هذه المؤامرة . .
استدعانى محمد رفعت وسألنى :
- إيه الحكاية :
فقلت له :
- كيف تقبل مثل هذه التقارير . . إنه تدخل فى شئوننا الداخلية . . ثم إنهم بهذا التقرير يتهمون وزارة الداخلية بالغباء ، لانها لا تعرف مايدور فى البلد . .
قال :
- بس قوللى إيه الحكاية ؟
قلت :
- كان عندى ٢٩ سودانيا فى البيت أصلح بينهم . . كان بعضهم متخاصما ، فاجتمع رأى الآخرين على أننى الوحيد الذى يمكن أن أسوى الخلاف وأجمع الشمل وأحل المشكلة ، لأننى صديق للجميع .
وقلت له :

إذا كان المقصود من هذا ألا اختلط بالسودانيين ، فأنا لن أفارقهم أبدا ، بأى حال من الأحوال . . وإن كنت تريد أن ترانى فى أى وقت فابحث عنى فى بيت الرءوس السودانية الكبيرة . . أو فى أى مكان آخر يوجد فيه سودانيون . . وإذا كنت الآن اراهم مرة كل أسبوع ، فإننى بعد ذلك سأراهم مرة كل يوم . .
ولم يمض شهران حتى نقلت من القاهرة إلى سيناء .

وإذا كان رشاد مهنا هو آخر ضابط رفع سيف التمرد على إبراهيم عطا الله عام ١٩٤٧ ، فإننى كنت أول من فعل ذلك عام ١٩٤٢ . .

كنت وقتها مساعدا لنائب أحكام . .

وأتهم أنور السادات ، وكان يومها برتبة يوز باشى ، بأنه يعمل جاسوسا لصالح الألمان . .

وجاء والده منزعجا من التهمة التى أسندت لابنه . .

وأنا أعرف والد السادات . . كان صديقا وجارا لى فى الخرطوم بحرى . . أعرفه من قبل أن يولد أنور . . أما أنور نفسه فلم أعرفه إلا فى اللواء الرابع ، حيث كنت أنا القائد وكان هو ضابط الإشارة . . واللواء الرابع كان من القوات التى حاربت فى فلسطين . . وكان أنور يتمتع بروح الدعابة . . ويميل إلى تقليد الممثلين . . وقد قلد أمامى ، ذات مرة ، نجيب الريحانى .

قال لى والد السادات :

ـ الحقنى . . ابنى قبضوا عليه . .

فطمأنته . .

وكتبت مذكرة رفعتها إلى إبراهيم عطا الله ، قلت له فيها : إنه حتى لو ثبتت تهمة التجسس ضده ، فإنها تهمة ليست ضد مصر ، وإنما ضد عدوتنا بريطانيا . . لصالح الألمان . .

ورفض عطا الله مذكرتى . .

فهددت بالاستقالة من منصبى كنائب أحكام ، إذا ما حوكم ، لأننى سأعتبر نفسى مقصرا فى عملى .

فاكتفوا بطرده من الجيش . .

وخرج أنور السادات من الجيش ليدخل الحرس الحديدى . .

وقد حزنت على هذا التصرف منه . .

فبعض من رجال الحرس الحديدى ، حاولوا ضمى إليهم . . وحاولوا تحريضى على السير فى طريقهم . . وعندما رفضت دعوتهم ، وهددت بالإبلاغ عنهم ، اتهمونى بأننى سأقوم بانقلاب ، مع السيد طه . .

ورحت أقابل يوسف رشاد ، زعيمهم ، فى بيته بالجيزة . .

قلت له :

ـ هل بلغك ما بلغنى عن أكذوبه الانقلاب الذى سأقوم به أنا والسيد طه :

ـ ليست أكذوبة ، كما علمت ، وإنما حقيقة :
قلت :
ـ من أبلغك بذلك كذاب . . لأن لو أنا أردت أن أقوم بانقلاب ، ما أخذت معى السيد طه . .
قال :
ـ لماذا ؟
قلت :
ـ لأنه رغم كونه قائد اللواء الأول فهو لايتمتع بقدر مناسب من الشجاعة ، حتى أننا فى الجيش نطلق عليه « الضبع الأسود » لأنك كما تعلم الضبع حيوان غير شجاع .
قدم لى كأسا من الويسكى . . اعتذرت . . وطلبت كوبا من عصير الليمون . . وانتهت المقابلة . .

لقد كنت كثير التصادم مع أمثال أولئك الضباط الذين باعوا أنفسهم للشيطان . . إبراهيم عطا الله . . يوسف رشاد . . واللواء محمد حيدر الذى جاء بعد إبراهيم عطا الله . . والذى كان أحد ضباط البوليس السابقين ، ذوى الشهرة فى ضرب المتظاهرين أيام ثورة ١٩١٩ ، ثم رجع مديرا لمصلحة السجون .
وكان هذا الاختيار من الملك قمة المهزلة العسكرية . .
فجيوش العالم تتطور وهو يضع على رأس الجيش ضابط بوليس له تاريخ غير مشرف . .

وعندما عرفت هذا الخبر ، لم أذهب لتهنئته كما تجرى العادة . . وهاجمته فى كل مكان أذهب إليه . . وعندما استدعانى بالطريقة الرسمية رفضت أن أذهب إليه أيضا . .
وحاول أخى على المستحيل معى حتى أذهب إليه ، فلم أجد مفرا من ذلك . .
وبمجرد أن دخلت عليه مكتبه حتى قال لى فى غيظ واضح :
ـ أنت لا تعترف بى كقائد عام . . أليس كذلك ؟
فقلت :
ـ أنا لا أعترض عليك شخصيا وإنما أعترض على تعيينك فى هذا المنصب . .

فعندما يعين ضابط بوليس قائدا للجيش ، فهذا يعنى إما عدم توافر الكفاءات فى الجيش ، أو أن الجيش كله لا أهمية له . . وكلا الأمرين إهانة لنا .

فلم يجد حيدر باشا كلاما سوى :

- إن علينا جميعا الخضوع لإرادة مولانا !

وشاء القدر أن تأتى حرب فلسطين وهذا الرجل ، الذى لا علاقة له بالجيش ، هو قائدنا !

وعندما قامت هذة الحرب ، كنت معارضا لها من الرصاصة الأولى . .

فلم يكن هناك شىء يمكن أن نكسبه من ورائها ، بل بالعكس ، كان هناك الكثير مما سوف نخسره ، بسبب ضعف قوتنا العسكرية .

لقد كان من الأفضل لنا أن نخوض حربا من حروب العصابات ، مع بقية فصائل المقاومة العربية . . فهذة الطريقة كانت ستمنع تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين . .

صحيح أنه لن يكون بمقدورنا ، مع حرب العصابات ، ان نكسب الجولة . . لكن . . على الاقل لم نكن لنهزم هذه الهزيمة الساحقة .

إن باشتراكنا العلنى فى حرب فلسطين ، أعطينا الصهاينة ذريعة ليمارسوا حقهم ، كأقلية ، فى الحرب من أجل البقاء فى أرض لا علاقة لهم بها . وكانت هذه الحرب فى حقيقتها عبارة عن سلسلة من الهدنة تتخللها معارك بسيطة . .

وكانت فترات الهدنة الطويلة تستغل لصالح اليهود . .

فقد كان علينا وقت الهدنة أن نتوقف عن فتح النيران ، بينما ينقل اليهود الأسلحة والذخيرة من مستوطناتهم إلى مواقع منعزلة . . بمعاونة رجال الأمم المتحدة أحيانا . .

وحدث مرة أن صممت على تفتيش قافلة من ٤٢ سيارة نقل ، قيل إنها إمدادات مسموح بها ، إلى مواقع فى جنوب النقب . . كانت كل عربة تحمل نصف دستة من إطارات الكاوتش وقطع غيار وبراميل وقود . . وكان هناك ضابطان من ضباط الامم المتحدة . . أمريكى وفرنسى . . يقفان إلى جانب القافلة . .

لم يكن من الصعب التخمين بأن هذه القافلة تحمل أسلحة وذخيرة . . ورغم ذلك رفض الضابطان التفتيش ، بحجة أن الهدنة سارية . . وأن المنظر الخارجى للسيارات لا يوحى بحمل أشياء غير قانونية . .

وكتبت تقريرا بهذا الشأن إلى رؤسائى ، الذين اعترضوا ، بدورهم ، رسميا للأمم المتحدة . . لكن دون جدوى . .

ولم يخل يوم من الأيام ، بعد ذلك ، من مثل هذه الانتهاكات . .

كذلك كان العدو يحصل على الذخيرة والأسلحة من الجو . .

أما نحن فكنا نحارب على قدر استطاعتنا ، رغم ضعف الأسلحة والمهمات التى تحت أيدينا . . وأحيانا لم يكن فى استطاعتنا استخدام بعض المدافع الإنجليزية بسبب نقص القذائف . . وكانت الدبابات التى نركبها تقف عاجزة عن الحركة لعدم وجود قطع غيار لها . . حتى القنابل اليدوية التى استوردناها من إيطاليا كانت سيئة الصنع لدرجة أنها كانت تنفجر فى وجوه الجنود . . أما البنادق التى اشتريناها من أسبانيا فكان يرجع تاريخ صنعها إلى عام ١٩١٢ . . وإذا كان لا بأس بها فى التدريبات ، فإنها لا يمكن أن تقف أمام الأسلحة الأتوماتيكية ، التشيكية ، والأمريكية ، والروسية الصنع ، التى كانت فى أيدى الأعداء .

وحدث فى عام ١٩٤٩ ، انفجارات متكررة ، وغامضة ، دمرت مخازن الذخيرة فى تلال المقطم بالقرب من القاهرة . . هذه الانفجارات أيدت شكوكنا فى أن الأسلحة التى حاربنا بها فى فلسطين كانت فاسدة . .

وعرفنا بعد ذلك أن الملك فاروق وحاشيته كانوا على رأس العصابة التى تاجرت فى الأسلحة الفاسدة . . كانوا يشترون أنواع رديئة من أسواق السلاح بأثمان رخيصة ، ويحاسبون الحكومة على أسعار أعلى ويقبضون الفرق . . لذلك . .

فليس عجيبا أن ننهزم فى فلسطين ، وأن يحدث لنا ، ماحدث هناك .

إننى هنا لا أحاول أن أجد أعذارا للهزيمة ، ولكن . . من المؤكد أنه لو أتيح للجندى المصرى التدريب الكافى والقيادة السليمة والسلاح المناسب لكان حارب مثل أى جندى آخر فى العالم . . وانتصر .

لأنه هو نفسه الجندى الذى حارب تحت لواء إبراهيم باشا ونجح فى مواجهة الامبراطورية العثمانية . .

لقد كانت هزيمتنا فى فلسطين نتيجة لعوامل سياسية ، دولية ، لم نتمكن فى التحكم بها . . ونتيجة للفساد فى نظام الحكم الداخلى الذى تسامحنا كثيرا بشأنه . . ولم نقدر خطورته إلا بعد فوات الأوان . . فإن للحرب قصة طويلة يجب أن تروى . .

فى بداية عام ١٩٤٨ ، وقبل أن ندخل الحرب رسميا ، كنت برتبة مقدم ، وقائد الكتيبة الثانية مدافع ماكينات بالعريش . . فى سيناء . .

وفى يوم جاءنى الأمر بتشكيل فصيلة من المتطوعين للخدمة مع الفدائيين العرب فى فلسطين . . وقمت باستعراض الفصيلة ، وأمرت من يرغب فى الانضمام للفدائيين والتطوع للقتال معهم أن يتقدم أربع خطوات إلى الأمام . . وأستجاب الكل ، ماعداواحداً . . كان من أصل البانى ، مثل محمد على ، جد فاروق . . وعندما وجد هذا الألبانى كيف ألقى زملاؤه بانفسهم تحت قدمى تعبيرا عن الجميل لاتاحة هذه الفرصة لهم ، اقتنع وانضم إليهم .

وأبلغت القاهرة أن الكتيبة التى بها ٣٥ ضابطا و ٨١٧ جنديا ، قد تطوعت بأكملها لهذه المهمة .

ورقيت بعد ذلك الى رتبة عقيد . .

ولا أنسى أننى حذرت المسئولين من أننا قد نضطر لدخول الحرب مرغمين . . وكتبت عدة تقارير عن حالة الجيش رفعتها إلى القصر والوزارة ، لكنها كانت تقارير بلا رد فعل . . أو صدى .

وعندما قامت الحرب ، كانت مهمتى أن أكون الرجل الثانى فى قيادة القوات المهاجمة ، تحت قيادة اللواء أحمد على المواوى . . وهو رجل قصير ، بدين . . لا يتصرف فى أى شىء بالسرعة المناسبة . . وكان مريضا بالسكر وتصلب الشرايين . . وخلافه . .

ولقد أبديت له ملاحظة حول القوات المشتركة فى الحرب وقلت له :

- إنها أربع كتائب فقط . . وهذا لايكفى !

لكنه هز كتفيه قائلا :

- إن علينا تنفيذ الأوامر لا مناقشتها !

وأحسست بالألم . .

إن أربع كتائب لاتكفى . . خاصة وأنها ضعيفة وغير مؤهلة للقتال ، بعد أن ظل الجيش المصرى تحت قيادة الأنجليز لمدة جيلين حتى عام ١٩٣٦ ، ولم يرغب الانجليز فى إقامة جيش محارب قوى ، خوفا من أن ينقلب عليهم فى يوم من ا يام ويجبرهم على الرحيل .

وأحسست بالمسئولية الكبيرة التى وضعت على عاتقى . .

مسئولية تعويض الإمكانيات الضعيفة برفع الروح المعنوية لقواتنا المحاربة . .

كنت أنتظر وصول القوات إلى العريش . . كانت العريش نقطة تجمعهم . . وكنت أجهز لهم كل ما يحتاجونه من خيام وطعام . . كنت أضع لهم الشاى فى أوانى كبيرة على شريط السكة الحديد ، ليشربوه ، بمجرد وصولهم . . لأنهم كانوا يصلون فى الفجر . . فى عز البرد . .

ولما وصلت الدبابات ، أكتشفت أنه لا يوجد رصيف مناسب لتنزل عليه ، فأنشأت رصيفا سريعا حتى لا تتعطل . .

واضطررت فى إحدى المرات أن أستأجر ٢١ سيارة نقل لنقل جنودى من رفح إلى غزة .

إلى هذا الحد كانت الإمكانيات عاجزة .

وكانت القوة التى فى أيدينا هى قوة الروح المعنوية . .

كنت أتعامل مع جنودى كأى فرد منهم . . أتقاسم معهم الغذاء . . وأنام مثلهم فى العراء . . لافرق بينى وبينهم . .

وكانت هذه صدمة لأغلب الضباط ، حتى الصغار منهم ، والذين كانوا يحافظون على المسافة الكبيرة التى وضعتها التقاليد الانجليزية فى الجيش المصرى بين القائد والجنود . .

وكنت لا أتردد أن أكون بين جنودى فى كل معركة أقودها . .

وبين شهرى مايو وديسمبر اشتركت فى ٢١ معركة فى فلسطين ضد اليهود . .

وكنت القائد الوحيد الذى يمر ليلا على جنوده . .

وهنا أذكر أننى ابتكرت أسلوبا جديدا لكلمة « سر الليل » غير الأسلوب الذى كان معروفا . .

كان معروفا أن هناك كلمة لسر الليل يتفق عليها . . فإذا ما دخل أحد المعسكر اعترضه الحراس وطلبوا منه هذه الكلمة . . وقد لا حظت أن الحراس

يزعقون فى طلب هذه الكلمة والجنود يردون عليهم بها بنفس درجة الصوت ، الأمر الذى جعل أى متسلل يهودى بالقرب منا يعرف كلمة السر ، ويدخل إلى معسكرنا بها ويفعل ما يشاء . .

وكان أن ألغيت التعامل بهذا الأسلوب ، وطلبت من الجنود الأ يبرحوا المغسكر فى الليل . . أما أنا فكان معروفا قدومى بألوان فوانيس سيار تى التى جعلتها بديلا لكلمة سر الليل . . كنت أدهن الفوانيس كل يوم بلون معين يعرفه الحراس ، فأدخل وأخرج دون أن يكشف أحد كلمة السر . . السبت أحمر وأبيض مثلا . . الأحد أخضر وأصفر . . الأثنين أزرق وأسود . . وهكذا . .

ولكن . . كانت مشكلة هذه الطريقة أن الفلسطينين الذين لا يعرفونها ، تصوروا أنها خدعة يهودية ، وأن الذى يركب هذه السيارة هو قائد يهودى . . فكانوا يطلقون على النيران . . وكان ربنا يسترها معى . . ولا أصاب . .

على أن هذا لا يعنى أننى لم أصب فى الحرب . . أبدا . . أصبت سبع مرات . . لم أسجل منها إلا الإصابات الكبيرة . . وكانت ثلاث إصابات . . الإصابات الصغيرة التى لم أسجلها ، كانت . . مرة من شظية فى قدمى . . وأخرى من الخلف وأنا أنقل ضابطا جريحا من دبابة ، وهذه بالذات رفضت أن أسجلها خوفا من أن يقال أننى أصبت بها وأنا أجرى ، لأنها كما قلت كانت من الخلف . . وباقى الإصابات الخفيفة كانت من مثل هذه العينات .

أما الإصابات الكبيرة التى سجلتها ، فكانت تستحق فعلا التسجيل . كانت هناك إصابة من لغم انفجر على بعد متر ونصف المتر منى ، أصابنى فى صدرى وتحت إبطى ويدى اليمنى .
الإصابة الثانية كانت رصاصة ، أخترقت شعرى ، واحتكت برأس ، وجرحتنى جرحا سطحيا .
أما الإصابة الثالثة والخطيرة ، فكانت فى معركة التبة ـ ٨٦ !
كانت هذه المعركة فى ديسمبر ١٩٤٨ .
أصبت فى صدرى . . فى الشرايين القريبة من القلب . . وعندما نقلت إلى المستشفى كنت فى حالة إغماء تام . . حتى تصور الأطباء أننى مت . . وفعلا كتبوا ذلك على الورق .

لكن . . النقيب صلاح الدين شريف رفع الغطاء عن وجهى ولاحظ أن عينى ترمش . . فأمر باستدعاء طبيب ثان ، نجح فى إعادتى إلى الحياة بواسطة الادريالين ، ونقل الدم ، وخيمة الاكسوجين .

وعندما عدت إلى الحياة تذكرت ما قاله لى عراف عجوز فى بيت صديقى المرحوم السيد عبد الله النجومى ، بالمعادى .

كان النجومى مريضا فرحت أزوره . . كان الوقت بعد المغرب وأنا أعرف أنه لايستقبل أحدا بعد المغرب ، حتى يتفرغ لصلاته حتى الفجر . . لكنى مع ذلك طرقت الباب . . وفتح السفرجى ؛ فقلت له :
ـ أنا أعرف أننى جئت فى وقت غير مناسب ، لكن أبلغ البيه أننى على الباب .
وجاء الرجل بنفسه ليستقبلنى . . وجاء بعدى عراف صديقه أسمه قاسم ، فاستقبله أيضا .
طلب العراف ، أن يقرأ طالعى ، فقبلت .
قرأ آيات من القرآن وكتب بعضها فى ورقة ، وضعها تحت الطربوش الذى يضعه على رأسه ، وبعد دقائق ، قال :
ـ حيقولوا عليك دخلت المولد وطلعت من غير حمص . . لا . . أنت هتاخد حمص ، وحمص وحمص . . حيقولوا مات ٣ مرات . . مش حتموت . . أنت عمرك زى القطط بسبع ارواح . .
وفعلا نجوت من الموت ثلاث مرات ، وحصلت على ثلاثة نياشين من الحرب .

وقد دفعت نجاتى من الموت أكثر من مرة ، أصدقائى ، وزملائى ، وجنودى إلى أن يقولوا عنى : « أننى ضد الرصاص » . . وأعتقد كثير من الجنود والضباط السودانيين الذين كانوا يقاتلون معنا ، أننى أحمل حول عنقى حجابا يحمينى من الموت .

قبل معركة التبه ـ ٨٦ بشهور . . بالتحديد فى شهر يونيو . . كسبت قواتى أكبر معركة فى تاريخ حرب فلسطين . . فى أسدود جنوب تل بيب . .
فبعد ثلاثة أيام من المعارك تمكنا من قتل ٤٥٠ فردا وأسرنا ١٢٢ رجلا وسبع بنات . . وكانت خسائرنا طفيفه جدا .
وبعد أسبوع من معركة نيتسانيم ، أشاد اللواء المواوى بشجاعتى ، وأوصى ، إما أن أحصل على رتبة اللواء ، أو أمنح وسام نجمة الملك فؤاد ، والتى كانت تعتبر أعلى وسام عسكرى فى مصر ، فى ذلك الوقت .

وفى تلك المعركة انفجر بالقرب منا اللغم الذى أصابنى فى صدرى وتحت إبطى ، لكنى حاولت أن أخفى الجروح السطحية التى أصبت بها عن اللواء المواوى ، خوفا من أن يأمر بعودتى للقاهرة .

وبعد أيام من تلك المعركة ، وصل اللواء محمد فهمى نعمة الله ، من القاهرة ، فسلمته قيادة اللواء الثانى ـ مشاة ، الذى كان تحت قيادتى ، وتسلمت قيادة اللواء الرابع مشاة ، لأحل محل اللواء محمد فوزى الذى وقع مريضا . . وكان اللواء الرابع يقاتل فى جبهة عريضة من بيت لحم إلى الفالوجا ، ومنها إلى المجدل على شاطىء البحر المتوسط .

وفى شهر يوليو . . قبيل الهدنة الثانية ، بليت قواتى بهزيمة قاسية فى معركة « نجبة » . . وكان سبب الهزيمة رفض اللواء المواوى خطتى وأصر على تنفيذ خطته التى كانت فى رأيى يشوبها الكثير من الأخطاء . . وعندما رفضت تنفيذها ، أضطر أن يعفينى من القيادة . . ولكن عندما أدرك أن الهزيمة واقعة . لا محالة ، طلب منى أن أقود الانسحاب . . وفعلا قمت بهذه المهمة ، فى ظروف بالغة الصعوبة ، وتحت القصف الجوى للاعداء .

وبعد عدة أيام ، طلبت من المواوى تعزيز قواتنا ، وتعويضنا عن الخسائر التى أصابتنا ، لكنه لم يصدق أرقام الخسائر التى أذكرها ، وأعتقد أننى أبالغ فيما أقوله ، وأحاول أن ألومه على الهزيمة .

وأمام جمع من الضباط تفوه المواوى بالفاظ أعتبرتها أهانة . . قال :
ـ أنت كذاب !
فغضبت وثرت وقلت له أمام أركان حربه :
ـ بل أنت الكاذب والمزور . . وكل ما تملكه هو أن تحاكمنى وتضربنى بالرصاص . . لكن لا تقل لى أنت كاذب .
أكثر من ذلك ، طلبت منه الاعتذار ، لكنه لم يعتذر .

وكتبت تقريرا إليه ، طالبا منه الاعتذار كتابة ، لكن أمر بأن أسلم نفسى إلى القيادة العامة بالقاهرة ، مع توصيه منه أن أحاكم بتهمة ازدراء قادتى .
ولكن شيئا من هذا القبيل لم يحدث ، وذلك لتناقض هذه التوصية السابقة بترقيتى أو منحى وساما .

فى القاهرة كنت ألوم نفسى بشدة لما حدث . . ولم تكن هذه هى المرة الأولى ولا الأخيرة التى ألوم فيها نفسى على حدة طباعى . .

وفى القاهرة عينت قائدا لمدرسة الضباط العظام . .

ورغم أن قادتى أعتبروا هذا المنصب الكبير كتعويض لى ، فأننى كنت أشعر بالتعاسة ، وكنت أعتبر هذا المنصب بمثابة عقاب لى ، لأننى كنت أفضل أن أحاكم عسكريا ، أو أن يرسلونى إلى الجبهة .

ويبدو أن أحساسى بالتعاسة ، واختناقى فى القاهرة بعيدا عن الجبهة ، ضاعف من غليان الثورة فى داخلى ، وجعلنى أتحدث مع بعض الضباط ممن كنت أتوسم فيهم الرجولة ، بضرورة التغيير . . تغيير نظام الحكم الذى كبلنا بقيود من الاستهتار والفشل والهزيمة .

ولم تمض المشادة بينى وبين المواوى بلا نتيجة . .

فى شهر نوفمبر ، وبعد عدة انسحابات مخزية . أعفى المواوى ، وحل محله اللواء أحمد فؤاد صادق ، لقيادة القوات المصرية فى فلسطين . . وقام اللواء صادق بتعيينى قائدا للواء العاشر مشاة ، الذى كان يعتبر القوة الضاربة الرئيسية لنا .

وكان قرار تعيين اللواء صادق هو احد قرارات لجنة التحقيق التى شكلت لبحث الخلاف بينى وبين المواوى ، وكان يرأسها إسماعيل شيرين ، زوج الأميرة فوزية ، إمبراطورة إيران السابقة ، وأخت الملك فاروق . . وهو أصلا كان مقدم ـ شرف ، حصل على هذه الرتبة بفضل زوجته . . وهذا لا ينفى أنه كان شابا كفء . . أشكره على وقوفه بجانبى .

وعندما رفع إسماعيل شيرين تقريره إلى الملك ، أمر بترقيتى ، ترقية استثنائية إلى رتبة اللواء وقبل سفرى إلى الجبهة جاء ياوره الخاص ، وهنأنى أمام طلبة معهد الضباط العظام ، بالترقية ، وسلمنى علامتى الرتبة ، هدية منه ، وقال : إن الملك وقع أمر الترقية وسيظهر فى الأوامر بعد يومين .

- وخيرونى ، انا ، أو صادق ، أو اللواء عباس عبد الحميد لقيادة القوات فى فلسطين . .

لكن . . حيدر رئيس الأركان ، الذى رقى إلى رتبة الفريق ، التمس من الملك ألا يرقينى ترقية استثنائية طالما مازلت حيا . . ونزل الملك على رأيه . . واستبدلت الترقية بنجمة فؤاد الأول العسكرية التى حصل عليها الكثير من

الضباط وهم يجلسون فى النوادى بالقاهرة .

واختار حيدر الفريق صادق لقيادة القوات .

وطلبنى اللواء صادق للحضور فورا إلى الجبهة ، بغض النظر عن حالتى . . وفى الطريق ، سمعت فى الراديو ، خبر منحى نجمة فؤاد .
وتسلمت قيادة اللواء العاشر . . وكان يتكون من أربع كتائب مشاة ، ووحدات من المدفعية والدبابات والمهندسين والشئون الإدارية وقوات مساعدة أخرى .
كان ذلك فى ١٩ نوفمبر .
وبعد أسبوعين أضافوا إلى قيادتى اللواء الرابع مشاة . . وبهذا أصبحت أول ضابط مصرى يقود ما يربو على الفيلق فى الميدان .

وفى ذلك الوقت ، كنا قد خسرنا أسدود والمجدل . . وتراجعت جبهتنا فى بيت لحم إلى خط يقع بين بئر سبع وغزة على البحر المتوسط .

وفى ليلة ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨ ، اخترق العدو صفوفنا ، جنوب غزة بين دير البلح وخان يونس ، وتمكن من الاستيلاء على التبة ـ ٨٦ ، وكان يمكنهم وهم فوق هذه التبة ضرب دير البلح وخان يونس .

وفى فجر يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٤٨ ، حاولت بمساعدة ثلاث مجموعات وخمس دبابات ، محاصرة التبة ـ ٨٦ . . لكن الدبابات تعطلت قبل أن تصل إلى مواقع العدو . . وفقدنا ميزة المفاجأة .

ومن بين هذه الدبابات المعطلة وقعت إحداها بين نيران العدو وتمكن واحد من طاقم الدبابة من الخروج بسلام ، وقتل الثانى فى الحال ، أما الثالث ، فكان مصابا بداخل الدبابة . . وحاولت إنقاذه . . وتركت عربتى الجيب وسائقى وزحفت حوالى ٥٠٠ ياردة ، تحت النيران المكثفة لكى أتمكن من سحب المصاب . . وبينما كنت أجذبه لإخراجه من الدبابة ، أصيب فى رأسه ، ومات فى الحال . . وأصابتنى قذيفتين قبل أن أتمكن من الاختباء خلف الدبابة . . واستلقيت على ظهرى وفككت معطفه . . وتدفق الدم بغزارة من فتحة صدرى . . ورغم أننا كنا تحت ضوء النهار إلا أننى أحسست أن الدنيا أظلمت من حولى .
كانت هذه هى الإصابة التى ذكرتها من قبل .

وفى حوالى الساعة الثامنة إلا ربع ، أجبرت الدبابات الاسرائيلية على الانسحاب ، وتمكن النقيب جمال صابر بمساعدة اثنين منَ الجنود من الكتيبة السابعة ـ مشاة من إعادتى إلى عربتى الجيب . .

حاول الرجال حملى ، لكننى أصررت على المشى ، واضعا يداى على ظهرى ، لكى أخفى عن القوات مدى خطورة إصابتى ، ولرفع روحهم المعنوية ، وحتى لا يرى الجنود أن قائدهم حمل من أرض المعركة .
وفى مقر قيادتى شرحت ما حدث وأعطيت الأوامر للاستمرار فى المعركة .
وتولى اللواء محمد رفعت القيادة مكانى وفوجئت به يطلب منى أن أسامحه ، على ما بدا منه قبيل المعركة ، إذ قال لى :
ـ ربنا يرسل لك رصاصة لو أدخلتنا فى متاعب أكثر مما نحن فيها .
وبالرغم من الألم الشديد ، فقد حاولت إخفاء ما أشعر به ، وحاولت أن أبتسم ، وقلت له :
ـ أكتب وصيتى لأبنائى .
وكتب محمد رفعت ما أمليته عليه وكان :
ـ تذكروا يا أبنائى أن أبيكم مات بشرف . وكانت رغبته الأخيرة أن ينتقم من الهزيمة فى فلسطين ويجاهد لوحدة وادى النيل . .
ولكنى لم أمت ، كما رويت .
وعندما جاء اللواء صادق لزيارتى ، سألته :
هل أحرزنا انتصارات على العدو ؟
فقال والدموع فى عينيه :
ـ إننا أجبرنا العدو على الجلاء عن التبة ـ ٨٦ وخان يونس ودير البلح .
وعندئذ قلت له :
يمكننى الآن أن أموت سعيدا .

وبعد أسابيع نقلت إلى مستشفى العجوزة فى القاهرة . . وفى أبريل ١٩٤٩ كنت فى تمام الصحة والعافية ، وتركت المستشفى لألحق بأسرتى فى البيت الصغير الذى استأجرته زوجتى فى حلمية الزيتون . .
انتهت حرب فلسطين بالنسبة لى . . بعد هذه الإصابة . .
وعدت إلى القاهرة ، قائدا لمدرسة الضباط العظام ، مرة أخرى . .

لكن . .

تأثير ما حدث لنا فى فلسطين ظل فى صدرى كالرصاصة التى تستقر فى اللحم ولا تخرج منه ابدا . .

ففى فلسطين اكتشفت ان العدو الرئيسى لنا ليس اليهود وانما الفساد الذى ينخر كالسوس فى مصر ، والذى كان يتمثل فى الملك وفى كبار القواد والحاشية والاقطاع وباقى عناصر النظام ودعائمه فى مصر .

وكنت اول من قال : إن المعركة الحقيقية فى مصر وليست فى فلسطين . . وهى العبارة التى نسبها جمال عبدالناصر لنفسه بعد ذلك .

وكنت لا اتردد فى ان اقول هذا الكلام لكل من آثق فيه من الضباط .

كنت احرضهم على القتال فى فلسطين والانتباه لما يدور فى مصر

وكنت اوحى اليهم بضرورة عمل اى شىء لانقاذ البلد مما هى فيه .

وفى فترة من الفترات كان الصاغ اركان حرب محمد عبدالحكيم عامر اركان حرب للوائى . . ويبدو ان كلامى عن الفساد فى القاهرة اثر فيه ، فذهب الى صديقه البكباشى أ.ح . جمال عبدالناصر وقال له ـ كما ذكر لى بعد ذلك :

لقد عثرت فى اللواء محمد نجيب على كنز عظيم .

وخلال حلقات النقاش تعرفت على جمال عبدالناصر والصاغ كمال الدين حسين والبكباشى انور السادات ، وصلاح سالم وغيرهم من الضباط الذين كانوا يؤمنون بما اقوله .

وفى خلال شهور الحرب لم يلفت جمال عبدالناصر انتباهى .

لكنى اتذكر انه كان يحب الظهور ويحب ان يضع نفسه فى الصفوف الاولى والدليل على ذلك ما حدث فى الفالوجا .

كنا نلتقط صورة تذكارية فى الفالوجا ، ففوجئت بضابط صغير ، يحاول ان يقف فى الصف الأول مع القواد ، وكان هذا الضابط جمال عبد الناصر ، ولكنى نهرته وطلبت منه ان يعود لمكانه الطبيعى فى الخلف .

وعرفت عنه ، بعد ذلك ، انه لم يحارب فى عراق المنشية ، كما ادعى ، ولكنه ظل طوال المعركة فى خندقه لا يتحرك . . وفى الحقيقة كان الجنود السودانيون هم الذين حاربوا فى هذا المكان ونجحوا فى الاستيلاء على ١٣ دبابة من اليهود . . والمعروف ان السودانيين مغرمون بكتابة الشعر . . وقد سجل بعضهم تفاصيل القتال الذى دار فى عراق المنشية فى قصائد طويلة ، وصفوا فيها عبدالناصر وصفا

غير لائق بضابط مصرى .

وفى اثناء الهدنة مع اليهود ، جاء ضابط يهودى اسمه « كوهين » يسأل عنه . . ولم يكن موجودا . . فكتب له خطابا وتركه مع ضابط كان من الاخوان المسلمين اسمه معروف الحضرى .

ولم اعرف ما فى الخطاب ، لأن اخلاقنا لم تكن لتسمح بقراءته .

وفى الحقيقة ، لم اعر مثل هذه الامور اهتماما ، فى ذلك الوقت ، وكان هذا خطأ كبيرا من اخطائى ، التى اعترف بها . . لكنه اعتراف جاء بعد فوات الاوان .

فبعد ان نقلت الى مستشفى العجوزة بالقاهرة كان عبد الحكيم عامر يزورنى كثيرا . . وزارنى اكثر من مرة بعد ذلك فى مدرسة الضباط العظام . . وفى هذه الزيارات ، كان يقول لى :

- اننى وبعض زملائى من الضباط نريد ان نمحو الهزيمة التى بلينا بها فى حرب فلسطين . . ونحن نطلب منك النصيحة .

ووعدته بذلك . .

لكننى لم انفذ وعدى بسرعة . . لأن بعضا من الضباط الكبار ، من أقرانى ، كانوا يسعون وأنا معهم ، لارغام الملك على تطهير الجيش من العناصر الفاسدة . . وكان علينا ان نضع خطة عمل ، وننفذها . . وللأسف ، هذا لم يحدث . . لانهم كانوا يتكلمون اكثر مما يرغبون فى الفعل وبدأ صبرى ينفذ . .

وفى يوم من الايام جاء عامر ومعه جمال عبدالناصر . .

وعرفت يومها انه زعيمهم لتنظيمهم ، وانه جاء ليرى ويزن تقدير عامر لى ، ولشخصيتى . .

وكان هذا شيئا غريبا . . ان تقوم الرتب الصغيرة بفحص وطنية الضباط العظام ومع ذلك لم اعترض . . لاننى كنت مقتنعا بان خلاص مصر يقع على عاتق الضباط الاحرار الصغار . . فقد كان ينقص ضباطنا العظام الجرأة . . كنا نريد حيوية واصرار وحرارة الصغار وعقول وحكمة وخبرة الكبار . .

وكان عامر وعبدالناصر يوافقانى على هذا الرأى . .

ولم يمض وقت طويل حتى أصبحا يزورانى بالليل . . واحيانا كنت اتأخر لارتباطات ما ، واصل الى بيتى لاجد سيارة عبد الناصر الاوستن السوداء تقف فى زاوية قريبة من بيتى الذى كان يقع فى شارع سعيد ، فى آخر شارع جانبى من

شارع طومانباى .

فى الميدان كان يقع ملهى ليلى يسمى « حلمية بالاس » . . وعندما كنت اتأخر ، وحتى يبعد عبد الناصر الشبهات عن نفسه ، كان يتظاهر هو وعامر بانهما ينتظران شخصا ما فى النادى الليلى . .

واحيانا كان يأتى معهما صلاح الدين سالم ، وكان رائدا صغيرا ، وان كانت صلعته تعطيه سنا اكبر من سنه الحقيقى ، وهو ٣٠ عاما .

وقد كنت لا استريح لصلاح سالم ، وكان فى قلبى بعض الشكوك فيه ، لصلته الوثيقة بالفريق محمد حيدر ، لكن تبين لى ان شكوكى ليست فى محلها .

كان عبدالناصر ايامها ، أسمر اللون ، ذا أنف كبير ، ومستقيم ، وكان أضخم الثلاثة .

أما عامر فكان طويلا ونحيفا ودائم القلق .

بينما كان صلاح سالم فى نفس وزنى وحجمى تقريبا . . وكان يلبس نظارة سوداء لتعب فى عينيه .

وكان ثلاثتهم من اصحاب الشوارب . . مثلى .

وبعد لقاءات عديدة ، اتفقنا على الخطوط العريضة . . ودعانى عبد الناصر الى تنظيم الضباط الاحرار . . وهو تنظيم سرى كان هو مؤسسه ، ورئيسه . . ووافقت على ذلك .

ومن بين الضباط التسعة الذين كانوا فى مجلس القيادة بعد الثورة ، كنت اقابل خمسة منهم قبل الثورة : عبد الناصر ، عامر ، حسن ابراهيم ، صلاح سالم ، وزكريا محيى الدين .

وبعد حرائق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ كان عبدالناصر يأمل ان يضع اللواء صادق رئيسا للتنظيم ، لكن اللواء صادق تنحى واعتذر عن هذه المهمة ، وان كان لم يتوقف عن مساعدتنا بين الحين والآخر .

وفى تلك الايام كان كل شيء يدفعنا الى الاسراع بقيام الثورة .

الفصل الرابع

العد التنازلى

- الملك فاروق يبيع مخلفات الحرب العالمية الثانية للجيش المصرى .
- رفض عبد الناصر أن استقيل وقال : سيكون تنظيما بلا غطاء .
- قدمت للوفد مذكرة تشرح أسباب هزيمتنا فى فلسطين لم يأخذ بها .
- كنت أول من أطلق عبارة « تنظيم الضباط الاحرار » .
- احترقت القاهرة وانتهى الوفد والنحاس والملك فاروق أيضا .
- كاد عبد الناصر أن يكشفنا بحادث اغتيال حسين سرى عامر .

بدأت سنوات العد التنازلى للثورة من عام ١٩٤٩ .

فى اغسطس ١٩٤٩ ، عينت مديرا لسلاح الحدود . . وحمدت الله اننى لم انقل الى قيادة الجيش ، لان ذلك معناه اننى يجب ان اكون قريبا من الملك رغم ارادتى .

لكن . . هذا لا يعنى اننى لم اكن قريبا من فساد الملك ورجاله . . على العكس . . كان الفساد قريبا منى . . وكانت رائحته على مرمى انفى . . كان الفساد فى سلاح الحدود الذى كنت رئيسه .

فقد كان حسين سرى عامر وكيل السلاح . . وكان وجوده عارا على الجيش المصرى كله . . فقد ارتبط اسمه اكثر من مرة ، بتهريب المخدرات وبيع الاراضى بالطرق غير المشروعة ، واتهم بشراء الاسلحة المتخلفة من الحرب العالمية الثانية فى الصحراء الغربية ، وبيعها للجيش المصرى باسعار خرافية . . بخلاف اتهامات اخرى مثل سرقة ونهب اموال البدو ، ومصوغات نسائهم . . ومثل جرائم الرشوة والتزوير .

وكان الملك يشترك شخصيا فى مثل هذه العمليات ، خاصة عمليات بيع السلاح ، لكننى لم اعرف ذلك الا عام ١٩٥٠ ، وقبل ذلك التاريخ ، كنت بدون فهم ، ابلغ الملك بهذه الانحرافات .

فى عام ١٩٥٠ شكلت لجنة تحقيق فى الانحرافات والمخالفات التى ارتكبت داخل الحدود ، ووصلت الى ٦٠٠ جريمة ، كان اغلبها من فعل حسين سرى عامر . . وانتهى التحقيق بادانته . . وعندما رفعت نتيجة التحقيق الى اسماعيل شيرين ، تمهيدا لرفعها الى الملك ، قال :

ـ الملك لن يفعل له اى شىء ، لان حسين سرى صديقه ، وانت ستكسب عداوته وعداوة الآخرين بلا طائل .

فقلت :

ـ أنا أصر على رفع التقرير للملك .

وفعلا رفع التقرير للملك .

لكن . . الملك بدلا عن ان يعاقب حسين سرى على جرائمه ، طلب منى ان يرقى ترقية استثنائية .

ورفضت . .

فصعد الملك الموقف ، فأمر بترقيته استثنائيا ، وبتعيينه مديرا للسلاح بدلا منى .

فقررت الاستقالة . . وكتبتها فعلا . .

لكن اصدقائى الذين اثق فيهم اقنعونى بان الاستقالة ستضاعف من انتصار الملك على . . وطلب منى جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر ان اتريث فى هذا الموقف . . وقالا لى :

ـ انك فى حالة الاستقالة ستجعل تنظيم الضباط الاحرار بلا غطاء .

وفى ذلك الوقت كنت مريضا ، ولم ارغب فى مزيد من الجدل ، فقررت قبول المنصب الجديد الذى عرضه على حيدر باشا ، وهو مدير سلاح المشاة .

وبعد ايام سألنى حيدر باشا :

ـ هل قبلت المنصب الجديد ؟

فقلت :

ـ أنا غير راض عنه !

واقترحت عليه ان اكون مديرا للمخابرات . . فضحك . . وقال :

ـ انت تعرف ، كما اعرف انا ، ان الملك لن يسمح لك بهذا المنصب ، لانه للمقربين منه فقط ، وهو يعتبرك عدوا له .

قلت :

ـ ولماذا لا أبقى فى سلاح الحدود كما أنا !

قال :

ـ أنت لا تعرف صلة حسين سرى بالملك . . انه أقرب منى . . أنا لا أستطيع أن اقابل الملك بالسهولة التى يقابله بها حسين سرى . . يانجيب ، اسمعنى . . لا داعى للاستقالة ، لانك ستدخل فى متاعب اكبر . . اقبل المنصب الجديد . . على الاقل لمدة شهرين . . واعدك ان اتخلص من حسين سرى قبل انتهاء المدة .

كان حيدر باشا يفعل المستحيل حتى اقبل عرضه . . لان الملك كان غاضبا منه ، وقال له :

ـ لن أرى وجهك حتى تنفذ تعليماتى . . ويعين حسين سرى مديرا لسلاح الحدود .

وقبلت أن أكون مديرا لسلاح المشاة ، ليس من اجل خروج حيدر من ورطته ، وانما نزولا على رغبة الضباط الأحرار .

وفى نفس الوقت كنت قلقا مما قاله حيدر عن عداوة فاروق لى . . هل كان

يعلم بصلتى بالضباط الاحرار ؟ . . ام ان هناك سببا آخر وراء هذه العداوة ؟ .

وتذكرت واقعة ، جرت معى أنا والملك فى سلاح الحدود . .
فى رأس الحكمة ، على شاطىء البحر المتوسط ، بين الاسكندرية ومطروح اتخذ الملك لنفسه قصرا صيفيا ، بناه من الخامات المسروقة ، على أرض مسروقة وبعمال لم يدفع لهم أجورهم .
وعندما كنت مديرا لسلاح الحدود ، أمرت بعدم استخدام الجنود كخدم فى القصر . . وطلبت من وزارة الحربية عدم بيع الأراضى المملوكة للدولة . .
ولهذه الأسباب اعتبرنى الملك عدوا له . . وعين بدلا منى رجلا مثل حسين سرى لينفذ له رغباته . .

ولهذه الأسباب كان الملك يصفنى بدون كيشوت الذى يزحف إلى الهاوية .

وفى ذلك الوقت ، حصل الوفد على أغلبية ساحقة فى البرلمان ، وشكل مصطفى النحاس حكومة جديدة له . . فقررت أن أمد الجسور بينى وبينه . . فأبلغته عن طريق فؤاد سراج الدين وزير الداخلية الذى أصبح فيما بعد وزيرا للمالية ، بضرورة الإسراع فى بدء الإصلاح الضرورى ، لينقذ مصر من الكارثة التى تعيش فيها .

وكان يشاركنى فى هذا الرأى جمال عبدالناصر وأعضاء اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار . .
وكنا نرى أنه لا ضرورة اطلاقا للقيام بالثورة إذا ما تمت الاصلاحات المطلوبة .
لقد حاولنا الاصلاح قبل أن نلجأ الى القوة
وكنا نوزع المنشورات السرية التى تطالب بذلك .

وكتبت مذكرة من تسع صفحات للنحاس باشا ، شرحت له فيها ما حدث لنا فى فلسطين ، وما يحدث لنا على يد حيدر ، والنهب الذى يتعرض له تموين الجيش ، ونقص الأسلحة والعتاد الذى نعانى منه . . شرحت له أسباب تذمر الجيش فى ١٢ بندا . . ذكرتها له فى المذكرة .
وسلمت المذكرة لصديق وفدى عضو فى البرلمان ، فرفعها لفؤاد سراج الدين ، ليتولى رفعها إلى النحاس .

طلب منى فؤاد سراج الدين أن أشطب توقيعى من على المذكرة . . فرفضت وقلت له :
ـ المزور المزيف هو الذى لا يضع اسمه . . وأنا متحمل كل ما يترتب على هذه المذكرة . . من يزمر لا يغطى ذقنه .

ورفعت المذكرة الى النحاس . .
ولكنى . . لم اتلق ردا عليها . .
فعلى ما يبدو لم يؤخذ الكلام الذى جاء فى المذكرة مأخذ الجد . . واعتبرونا أطفالا . . لا يجوز ان نعمل بالسياسة .

وعلى ما يبدو ، كانت العلاقة بين الوفد والسراى فى اسوأ حالاتها . . ولم تكن فى حاجة الى مذكرتى ليقع الاشتباك بينهما . . فقد قرر النحاس اجراء تحقيق فى وزارة الحربية . . اسفر عن اتهام ١٣ شخصا ، من بينهم الامير عباس حليم ، ابن عم الملك ، الذى اتهم بانه تقاضى رشاوى وعمولات وصلت الى ٤٠٠ الف دولار . . وتمكن بوللى خادم الملك من سحب أرصدته من البنك قبل أن يفحصها المدعى العام ، الذى امر بمراجعة حسابات المتهمين فى البنوك . . أما أدمون جلاد الرجل الخطير والمهم فى عمليات بيع السلاح مع الملك ، فلم يكن محظوظا ، لانه كان بالمصيف مع الملك على شواطىء فرنسا . . ولم يتمكن من العودة الى القاهرة ليمنع المدعى العام من فحص حساباته .

وكان ادمون قد تمكن من ان يحصل على حوالى نصف مليون دولار عمولات من بيع الاسلحة الفاسدة . . وهو اصلا ، كان وكيلا لبيع اقلام الحبر الامريكية فى مصر .

لكن التحقيق لم يستمر . . فقد اقترب الملك من دائرة الاتهام . . وكان امام المدعى العام اما ان يتهمه ويحقق معه واما ان يقفل التحقيق . . وخشى المدعى العام ان يتهم بالعيب فى الذات الملكية ، فقرر على مضض اقفاله . . وسمح لجلاد بالهروب الى فرنسا واللحاق بالملك هناك .
ورغم انهاء التحقيق قبل ان يكتمل ، فقد اصبح معروفا ان الملك واقرانه حولوا كارثة فلسطين الى ثروات .

واذا كان النحاس قد فجر بالتحقيق الذى طلبه هذه الفضيحة . . فإنه لم تمر عليه اسابيع قليلة الا وكان بطلا لفضيحة اخرى . . كانت الفضيحة الجديدة هى فضيحة القطن ، التى شملت زوجته الشابة زينب الوكيل . . وشملت فؤاد سراج الدين وعائلة زوجته . . واتهموا جميعا بافلاس بورصة الاقطان بالاسكندرية لصالحهم .
كانت الفضيحة فى خريف ١٩٥٠ .
وفى نفس الفصل ، قمت بالحج لاول مرة الى مكة .

كنت فى حاجة الى العون الروحى . . فقد كانت ابنتى « سميحة » مريضة بسرطان الدم « لوكيميا » . . وكان قلبى يتمزق عليها . . وعلى شبابها وحيويتها ونبوغها . . فأحسست اننى فى حاجة الى زيارة بيت الله الحرام ، حتى استجمع شجاعتى من جديد .

كانت سميحة طالبة متفوقة فى ليسانس الحقوق . . وكانت محبوبة من الجميع . . وكان لها نشاط بارز فى الجامعة ، فى وقت كان دخول البنت فيه الجامعة امرا مرفوضا من المجتمع .

فى البيت الحرام ، طلبت من الله ان يشفيها . . او ينقذها من عذاب ذلك المرض اللعين . . وطلبت من الله ان ينهار عرش فاروق على يدى . . وطلبت من الله ان يظهرنى على العالم اجمع ، ويحقق آمالى فى تحرير بلادى .

وبعد عودتى الى القاهرة ، ماتت سميحة ، واستراحت من هذا العالم . وساعة ان كنت اتقبل العزاء فيها ، ابلغت بنبأ ترقيتى الى رتبة أعلى . فى ذلك الوقت كان الوفد فى قمة نجاحه الحزبى والسياسى . .

كان الوفد ، فى ذلك الوقت يشن حرب الكفاح المسلحة على الانجليز فى منطقة القناة . . وكان يساعده جنود بلوكات النظام ، وبعض اعضاء تنظيم الضباط الاحرار . . لكننا كجيش منظم لم نشترك فى هذه العمليات . وكان لهذا الموقف انعكاسات هامة فى صفوف الجيش . . تمثلت فى سيل المنشورات التى بدىء فى توزيعها باسم « الضباط الاحرار » وهو الاسم الذى اخترناه لتجمعنا الموحد بعد حرب فلسطين .
ولا أريد أن أنسب لنفسى ما هو ليس لى . . ولكن . . الحقيقة تقتضى أن أقول ، اننى أول من اطلق عبارة « الضباط الاحرار » على التنظيم الذى اسسه جمال عبدالناصر . .

وأنا الآن أعتذر عن هذه التسمية ، لأنها لم تكن اسما على مسمى . . فهؤلاء لم يكونوا أحرارا وإنما كانوا أشرارا . . وكان أغلبهم ، كما اكتشفت فيما بعد ، من المنحرفين أخلاقيا وإجتماعيا . . ولأنهم كذلك كانوا فى حاجة الى قائد كبير ، ليس فى الرتبة فقط ، وإنما فى الاخلاق أيضا ، حتى يتواروا وراءه ، ويتحركوا من خلاله . . وكنت أنا هذا الرجل للأسف الشديد .

لا أريد أن أبدو غاضبا أو ساخطا أو منفعلا ، بسبب ما حدث لى على

أيديهم ، بعد الثورة ، فهذه انفعالات ذابت مع السنين ، وتلاشت مع الشيخوخة ، التى تجعل الانسان معلقا بين الموت والحياة . . بين السماء والارض . . بين الوجود والعدم .

كانت منشورات « الضباط الاحرار » تملأ وحدات الجيش . . وأحيانا كانت تخرج الى المدنيين . . وكانت تتكلم عن فساد الحكم وتفضح عيوبه ، وتصرخ فى وجه انحرافات قادة الجيش ، وتطالب بالاصلاح والتغيير .

صدر المنشور الاول للضباط الاحرار فى اكتوبر ١٩٥٠ ، تحت عنوان : « نداء وتحذير » . . جاء فيه :

« إن الضباط جزء لايتجزأ من الشعب ، واذا كان الشعب يحكم حكما ملكيا مستبدا ، فان الجيش هو الآخر يخضع لنفس الظروف منذ سيق الى مجزرة فلسطين ، دون رأى ودون استعداد ، وفرضت عليه الخطط الفاسدة والاسلحة الفاسدة » .

وخرج هذا المنشور من جماعة او خلية الضباط الاحرار فى سلاح الفرسان ، والتى كان مسئولا عنها ملازم اول اسمه جمال منصور . .

ومن المهم ان اقول ان خلايا الضباط الاحرار لم تكن لتعرف بعضها البعض . . وكان من الطبيعى ان تصل منشورات البعض الى البعض الآخر طمعا فى اثارة وطنيته .

وبعد أن وجد المنشور الأول صدى كبير . توالت المنشورات الاخرى . . كان هناك منشوراً فى كل مناسبة تمر على البلاد ، تقريبا . .

فى عام ١٩٥١ استدعى الوفد جميع العمال المصريين الذين يعملون فى معسكرات الجيش الانجليزى فى منطقة القناة . . طلب منهم ان يتركوا هذا العمل ، فاستجابوا له . . كان عددهم حوالى ٤٠٠ الف عامل . . ووعدتهم حكومة الوفد بتدبير وظائف واعمال بديلة لهم .

فى اكتوبر من نفس العام ، دعت الامم المتحدة مصر للدخول مع بريطانيا وفرنسا وتركيا فى مشروع للدفاع عن الشرق الأوسط ، لكن الوفد قام بالغاء معاهدة ـ ١٩٣٦ ، واعلن فاروقا ملكا على مصر والسودان .

كان الوفد فى عز قوته . .

وظل على هذا النحو حتى احترقت القاهرة . . فاحترق معها . . فى ٢٦ يناير ١٩٥٢

فقبل حريق القاهرة بيومين ، رفض جنود بلوكات النظام انذار القائد البريطانى المقيم فى فايد ، على شاطىء القناة ، بتسليم انفسهم . .
وأذاع فؤاد سراج الدين وزير الداخلية ، بيانا من خلال الراديو طالب فيه الجنود أن يقاتلوا حتى اخر طلقة ، وهدد من يتراجع عن ذلك بالمحاكمة العسكرية .

فى فجر اليوم التالى قام ١٥٠٠ جندى بريطانى ، تساعدهم الدبابات باحاطة محافظة الاسماعيلية بصفوف من السلاح . . كان بداخل مبنى المحافظة ٢٥٠ جنديا من قوات الشرطة وبلوكات النظام . . يقودهم اليوزباشى مصطفى ابراهيم رفعت . . وقد طلب مصطفى رفعت مهلة ربع ساعة لكى يسلم نفسه ويسلم قواته . . وكان فى الحقيقة يريد مهلة للاتصال بفؤاد سراج الدين فى القاهرة . . وفعلا اتصل به . . وسأله :
- ماذا نفعل ؟
فقال له فؤاد سراج الدين :
- قاتل حتى آخر رصاصة !
قال مصطفى رفعت :
- لكننا لا نملك سوى بنادق قديمة وقنابل يدوية ، بينما الانجليز مسلحون بالرشاشات الآلية والمدافع الكبيرة .

فصرخ فيه فؤاد سراج الدين :
- نفذ الأوامر !
ونفذ القائد المصرى الشاب الاوامر . . وقاتل بشجاعة وصبر تسع ساعات ، حتى نفدت ذخيرته . . فاضطر الى الاستسلام .
كانت نتيجة المعركة ٤٦ قتيلا ، و ٧٢ جريحا .
وبعد الاستسلام عبر البريجادير اكسهام القائد الانجليزى عن اعجابه واحترامه لمصطفى رفعت ورجاله .

وفى صبيحة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . . اليوم التالى للاستسلام ، احترقت القاهرة . . تجمع الغوغاء فى أربعة أنحاء القاهرة ، واشعلوا النيران فى المؤسسات ودور السينما والفنادق والمحلات التجارية والمقاهى والمطاعم والبنوك ومكاتب الطيران . . ودمرت الحرائق هذه المحال تماما . . ومات فيها حوالى ٥٠ مصريا و٩ اجانب . . وذلك قبل ان يتدخل الجيش وينزل الشوارع ، ليفرض النظام .

وبينما كانت القاهرة تحترق ، كان الملك يحتفل بالمولود الجديد من زوجته ناريمان صادق .

كان ضيوف الملك من كبار قادة الجيش والبوليس فى قصر عابدين . . ورغم معرفة الملك بما يجرى فى القاهرة ، خارج قصره ، فانه لم يلغ الاحتفال ، ولم يأمر رجاله بالانصراف لمواجهة الحرائق . . بل انه استمر فى الكلام حتى الساعة الرابعة من بعد الظهر . . وما ان غادر الملك القاعة حتى طلب رئيس الاركان من الضباط ان يستخدموا الشوارع الجانبية فى طريق عودتهم ، لان الحرائق تملأ قلب المدينة .

وفى الساعة الرابعة من بعد الظهر ، اعلنت الاحكام العرفية . . ونزل الجيش الشوارع . . وتمكن بصعوبة من إخماد الحرائق وتفريق المتظاهرين ، ولكنه لم يتمكن من معرفة : من حرق القاهرة ؟ . . وحتى الآن لا أعتقد أن أحدا قد عرف الاجابة .

لقد كان هناك من يعتقد ان حريق القاهرة مثل حريق « بوجوتا » عاصمة كولومبيا ، تم بتدبير من الشيوعيين . . وكان هناك من يعتقد انها مؤامرة بريطانية . . وكان هناك من يعتقد أنها مؤامرة وفدية . . ولازال آخرون يعتقدون أنها مؤامرة من القصر .

على أن السؤال الأهم كان هو :

- لماذا لم يستدع الجيش لفرض النظام فى الحال ؟

وربما كانت اجابة السؤال الاخير تنير لنا الطريق امام اجابة السؤال الاول .

فهناك من قال ان الملك هو الذى عطل قواده فى مأدبة الاحتفال التى اقامها فى قصر عابدين حتى تحترق القاهرة .

وهناك من اتهم فؤاد سراج الدين بخداع الملك وافهامه ان البوليس يسيطر على الموقف تماما . .

وهناك من اعترض على هذا الكلام وقال : ولماذا صدق الملك وزير داخليته فؤاد سراج الدين ، الذى كان مكروها منه ، فى حين ان مخابراته كانت اولى بالتصديق .

وبعد طرد النحاس والقبض على فؤاد سراج الدين ، لم تكن لدى الحكومة اى وثائق تدين الرجل ، او الوفد .

كذلك قبض على احمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى وأخلى سبيله لقلة الأدلة . .

ماذا حدث اذا ؟ !

أنا أعتقد أن الملك وحاشيته بالاشتراك مع عملاء الانجليز حاولوا خلق موقف حرج للوفد حتى يتمكنوا من طرد النحاس وحكومته ويعطلوا البرلمان ، وتعين وزارة تطيع الملك .

وهذا ما حدث فعلا . .

فقد كان يوم حريق القاهرة . . يوم السبت الاسود ، هو يوم نهاية الوفد والنحاس وسراج الدين . . ولكنه . . كان ايضا يوم نهاية الملك فاروق .

فيوم الحريق كان بداية العد التنازلى لانهيار حكمه . . والذى انتهى بطرده من البلاد فى ٢٦ يوليو من نفس العام . . اى بعد ٦ شهور بالضبط من حريق القاهرة . .

وبين ٢٦ يناير و٢٦ يوليو كانت هناك سلسلة من الاحداث المخزية التى كان الملك بطلها . . فبعد طرد النحاس ، عين على ماهر مكانه . . لكن على ماهر طرد هو الآخر بعد شهر واحد ، وعين مكانه احمد نجيب الهلالى . . والهلالى كان وزيرا سابقا للمعارف . . وكان عضوا بارزا فى الوفد ، حتى طرد منه عام ١٩٥١ ، لمعارضته فساد زعمائه . . وبمجرد ان تولى الهلالى رئاسة الحكومة ، عطل البرلمان ، وفتح ملف التحقيق فى قضية الأسلحة الفاسدة ، وفى قضية بورصة القطن ، وقبض على السياسيين المتطرفين ، وحاكم بعض زعماء الوفد وأقام علاقة طيبة مع الانجليز .

وكان الملك يشجع الهلالى على كل ما يفعله ، لكنه عندما اقترب من جلالته شخصيا ، ومن حاشيته ، الذين اتهموا فى شراء الاسلحة الفاسدة لم يعجبه ذلك ، ووقف ضده ، حتى باءت محاولات الهلالى الاصلاحية بالفشل .

ويوم تولى الهلالى الحكومة فى اول مارس ١٩٥٢ ، اصدر الضباط الأحرار منشورا ، جاء فيه .

« . . دبر الاستعمار واذنابه انقلاب ٢٦ يناير الماضى ، وجاءت حكومة على ماهر وبدأت المفاوضات من جديد ، وكان الاستعمار والخونة المصريون يأملون كثيرا فى تسليم مصر تسليما كاملا بمطالبهم بقبول الحلف الرباعى ، وحل البرلمان ، واعتقال الآف الوطنيين واستعمال الاحكام العرفية للتنكيل تنكيلا واسعا بالشعب ، ولكن خاب رجاؤهم ولم يجبهم على ماهر الى كل مطالبهم . .

« فكان لابد من انقلاب جديد لتحقيق الاهداف الاستعمارية السابقة وتحويل الحركة الى الداخل ، والقيام بحركة تطهير واسعة بالبلاد بحجة تقوية الصفوف قبل محاربة الاستعمار ، وهكذا وصل الهلالى الى الحكم بعد تدبير سابق . . وقد جاء الهلالى واعلن برنامج الوزارة بصراحة ، وقال ان مهمتها الاساسية هى التطهير والقضاء على الفساد وقد تناسى أن الفساد الأكبر مصدره الاستعمار وانه لايمكن القضاء على الفساد الا اذا قضى على اسبابه ومصدره .

« ان من اهداف الضباط الاحرار الكفاح ضد الفساد . . ضد الرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ ، ولكنا لايجب ان نتجه الى ذلك الا بعد القضاء على الاستعمار . » .

وبعد اقل من اسبوعين . . وفى ١٢ مارس صدر منشور آخر ضد الهلالى بمناسبة بدء المفاوضات التى يجريها مع الانجليز . . وجاء فى المنشور :

« ايها الضباط . .

« ان حريتكم رهينة بحرية الشعب فكافحوا من اجل الحرية فى كل مكان واعلموا ان الخونة من قادة الجيش هم الذين يعتمد عليهم الاستعمار . . استديروا لاعداء الوطن . . واجبروهم على احترام حريتنا وكرامتنا ووطننا » . .

« يسقط الاستعمار . . يسقط التحالف مع الاستعمار . . يسقط الدفاع المشترك . . تسقط الاحكام العرفية » .

وفى تلك الايام ، قام حسين سرى عامر ، ببيع البترول والذخيرة ، ومخلفات الحرب العالمية بالصحراء الغربية الى جماعة من اليهود فى غزة ، وارتكب بذلك جناية تستحق العقاب وتصل الى حد الخيانة العظمى .

ووصلت الينا هذه المعلومات . . وقررنا التحرك . . فوزع صلاح سالم منشورا سريا يدعو الى اتهام حسين سرى . . وعندما لم يحدث اى رد فعل لهذا المنشور ، وزعوا منشورا آخر ، طالبوا فيه بتعيينى وزيرا للحربية . . وعندما لم يجدوا رد فعل من ورائه ايضا . . قرروا اغتيال حسين سرى . دبر محاولة اغتيال حسين سرى ونفذها جمال عبد الناصر وحسن التهامى وحسن ابراهيم وكمال الدين رفعت . . تربصوا له بالقرب من منزله فى حى الزيتون . . وماكادت سيارته تقف امام

البيت ، حتى حاول اثنان منهم اغتياله بفتح نيران مدفعي رشاش . . ولكن المحاولة فشلت . . ونجا الرجل ، واصيب سائق سيارته .

فى هذه العملية كان عبدالناصر يجلس فى عربته الاوستن فى شارع جانبى . . وكان حسن ابراهيم يقوم بالمراقبة . . أما اللذان أطلقا النيران فكانا حسن التهامى وكمال رفعت .

والغريب أن أصابع الاتهام فى هذا الحادث أشارت الى . . وكان على ان اذهب الى زيارته حتى ابدد كل شك حولى حتى لا ينكشف أمرنا . . كما أننى حمدت الله أن أحدا من الذين نفذوا العملية لم يقبض عليه ، فلو كان هذا حدث ، لكان التنظيم قد انكشف . . ولكانت الثورة قد خمدت قبل أن تشتعل .

وآمن الضباط الأحرار بعد فشل هذه المحاولة بأن اسلوب الاغتيالات السياسية اسلوب غير فعال . . فحتى لو تمكنوا من قتل حسين سرى عامر ، فإنه من المحتمل ان يكون الثمن هو القبض عليهم .

وعدنا الى اسلوب المنشورات . . خاصة واننا احسسنا انها قد جاءت بنتيجة ، ووقع الخلاف المطلوب بين الملك ونجيب الهلالى ، بعد المنشورات الساخنة التى هاجمنا فيها الأخير .

وفى الحقيقة كان هناك سبب آخر جعل الملك يعادى رئيس الحكومة . . فقد كان الملك يريد رئيسا للحكومة يمثل الاصلاح ولا ينفذه . . كان الملك يريد رئيس وزراء يحافظ على النظام القائم ولا يمسه . . ولم يكن الهلالى هذا الشخص المطلوب . . وفكر الملك فى حسين سرى عامر ليكون رئيسا للوزراء بدلا من الهلالى لكن الهلالى أفسد خطته وقدم استقالته . . واتهم مؤيديه احد رجال الاعمال البارزين فى مصر بانه دفع رشوة للقصر لتعيين حسين سرى عامر رئيسا للوزراء . . وانكر رجل الاعمال التهمة . . لكن حكومة الهلالى رفعت عليه دعوى لاعادة مبلغ ٤ ملايين جنيه مستحقة عليه للضرائب .

وفى هذا الجو الذى ارتفعت فيه رائحة العفن والفساد ، أحجم كثير من السياسيين المحترمين عن الاشتراك فى مثل هذه الحكومات الضعيفة ، التى تباع وتشترى . . والتى كانت تتم وكأنها صفقات تجارية . . صفقات كان سمسارها الاكبر كريم ثابت .

وكان كريم ثابت مكروها من المصريين الذين كان يسخر منهم بمناسبة او بدون مناسبة . . ووصلت سخريته منهم الى حد انه شجع فاروق على اعلان نفسه من الاشراف الذين ينحدرون من سلالة النبى محمد (ﷺ) . . على الرغم من ان الجميع كانوا يعرفون اصل فاروق الالبانى . .

وكانوا يعرفون ان عروقه وعروق اجداده لم تجر فيها نقطة دم عربية واحدة .

ومن بين الذين اشتركوا فى مؤامرة طرد الهلالى ، كان خادم الملك محمد حسن السلمانى ، الذى كان يوصل الاوامر من الملك للحكومة ، بعد حريق القاهرة .

لقد كان فاروق فى آخر ايامه لا يقبل مشورة احد ، سوى من حاشيته ، ومن بعض المغامرين والأفاقين الدوليين ، واشخاص مثل محمد حسن ، خادمه وبوللى ، وكريم ثابت ، وادمون جلاد ، والياس اندراوس الذى كان صاحب مكتبة واصبح فيها بعد المستشار الاقتصادى للملك . . وكذلك سائق الملك محمد حلمى الذى كان يلقب بمدير المركبات الملكية ، وساقى الملك عبد العزيز ، وطيار الملك الخاص ، ودكتور يوسف رشاد طبيبه الخاص ، ومحمد نجيب سالم ، وحافظ عفيفى وحسن يوسف .

وفى هذه الظروف اتفقنا ان مصر اصبحت ملائمة جدا لقيام الثورة .

بدأنا نتشاور بطريقة جدية لتغيير الاوضاع تغييرا جذريا . . احسسنا بضعف جهاز الحكم . . فبدأنا فى التدبير لمواجهته وتدميره واسقاطه .

لكن . . فى نفس الوقت كان جهاز الحكم قد عرف بامرنا وقرر التخلص منا . . ووقفنا وجها لوجه . .

وأصبح كل منا فى سباق مع الزمن . .

وجاءت لحظة الصدام بيننا والتى لم يكن هناك مفر منها .

كان أمامنا أحد أمرين : إما أن نحكم أو نموت .

الفصل الخامس

ساعة الصفر

- انتخابات نادى الضباط هى الرصاصة الأولى فى معركة الثورة .
- طلب رشاد مهنا نقله إلى العريش حتى لا يغضب منه الملك .
- لقاء ما بعد منتصف الليل مع وزير الداخلية فى بيت مصطفى أمين .
- ١٣ زنزانة جاهزة لقيادات الضباط الاحرار قبل ساعة الصفر .
- الملك يطلب تدخل الانجليز لانقاذه من الجيش .
- اعجبت بجمال عبد الناصر لأنه لم يوافق على ذبح فاروق .

كانت انتخابات نادى الضباط هى الخطوة الفعالة الأولى فى طريق ثورة يوليو . . .

وكانت أول تحدى علنى لتنظيمنا السرى . . .

وكانت الكلمة الأولى فى ملحمة ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . .

أن الحديث عن الثورة لابد أن يبدأ بما حدث فى فيللا على الطراز الانجليزى بالزمالك ، كان يسكنها سردار الجيش الانجليزى قبل الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وأصبحت فيما بعد نواة لنادى الضباط الكبير الذى نراه الآن ..

كان ذلك فى الأسبوع الأخير فى عام ١٩٥١ .

وكان هذا الأسبوع هو أسبوع المعركة الانتخابية فى النادى بين أنصارنا . . أنصار الضباط الأحرار . . وأنصار الملك .

ان انتخابات نادى الضباط كانت فعلا هى الثورة .. وعندما يكتب التاريخ الحقيقى لثورة يوليو سوف يقرر المؤرخون أن الملكية انتهت فى مصر بعد انتخابات نادى الضباط .

فقبل انتخابات النادى كانت اللجنة التنفيذية لتنظيم الضباط الأحرار ، تعتقد أنه ليس من الممكن القيام بالثورة قبل عام ١٩٥٥ . لقد غيرت الأنتخابات عقولنا . وأحسستنا بقوتنا .. وأكدت لنا مدى ضعف الملك ونظامه .

وانتخابات النادى كانت تجرى عادة فى هدوء .. ولم يكن لها أى أهمية خاصة .. ولم تكن تلفت انظار أحد من خارج ثكنات الجيش .. وفى داخل ثكنات الجيش ، كانت الانتخابات بالنسبة للضباط ، مباراة بين مجموعة منهم يتنافسون على خدمتهم وتوفير وسائل الترفية والرفاهية لهم . ولكن الأمر هذه المرة كان مختلفاً تماماً .

قررت أن أرشح نفسى رئيسا لمجلس ادارة النادى ، لجس نبض الجيش ، ولاختيار مدى قوة الضباط الاحرار وتحدى الملك الذى نقلنى من سلاح الحدود وجاء بدلا منى حسين سرى عامر .

عرضت الفكرة على الأميرالاى محمد كامل الرحمانى نائبى فى ادارة سلاح المشاة ، فرفض ، وقال :

ـ هذا الترشيح يعتبر تحديا للملك .

ويبدو أن الملك قبل التحدى .. فرشح حسين سرى عامر أمامى رئيسا لمجلس ادارة النادى .. واشعل نيران المعركة الانتخابية .. وألقى القفاز فى وجهى .

وضاعف من لهيب المعركة أن الجمعية العمومية للضباط رفضت قبول ترشيح حسين سرى عامر لأنه من الحدود .. والحدود ليست سلاحا مستقلا ، وإنما تضم ضباطاً من مختلف الأسلحة .

ويوم أعلنت الجمعية العمومية هذا الكلام ، أعلن وزير المعارف اغلاق الجامعة ، بعد أيام من المظاهرات المعادية للانجليز ، والهتافات المعادية للملك ، والتى طالبت بصراحة بسقوطه .. بل أن طلبة الجامعة ألقوا بصوره على الأرض وداسوها بأقدامهم .

ويوم الانتخابات نفسه (٣١ ديسمبر) كان يوما من أيام التوتر السياسى ف مصر .. الجامعات والمدارس مغلقة .. المظاهرات تهتف ضد الملك والانجليز .. والچنرال روبرتسون قائد القوات البريطانية ف الشرق الأوسط يصرح بتصريحات استفزازية ضد مشاعر المصريين .

ويوم الانتخابات والأيام التى قبلها ، كان الضباط يحتشدون ف النادى ويناقشون أوضاع البلد بصراحة .. وكانت نبرة الرفض والغضب تتصاعد ساعة بعد أخرى .. وكانت هذه المناقشات تختلف عن مناقشات الانتخابات السابقة والتى كانت تدور حول الأنشطة الاجتماعية ، والرياضية وأسعار المشروبات وأنواع الأطعمة .

ويوم الانتخابات كان ينافسنى على رئاسة النادى ، ثلاثة ضباط اخرين هم : اللواء حافظ بكرى مدير سلاح المدفعية ..واللواء إبراهيم الأرناءوطى مدير المهمات واللواء سيد محمد مدير الصيانة .

وكان اسمى على رأس قائمة مرشحى الضباط الأحرار .. وكانت تضم بكباشى ، رشاد مهنا (مدفعية) وأحمد عبيد ، وصاغ جمال الدين حماد (مشاة) وزكريا محيى الدين (مشاة) وقائد اسراب حسن ابراهيم (طيران) ، وقائد جناح صلاح سالم والبكباشى محمد فوزى .. وقد تولى حسن إبراهيم طبع هذه القائمة على الرونيو داخل سلاح الطيران ، ووزعت على أعضاء الجمعية العمومية .

لقد استغل الضباط الأحرار أسمى وسمعتى وشعبيتى ، أحسن استغلال ف اختبار قوتهم ، وف احساسهم بذاتهم . وكنت كما قال خالد محيى الدين بعد ذلك بسنوات طويلة (الأهالى : ٢٦ يوليو ١٩٧٨): « الواجهة التى تتحرك جماعة الضباط الأحرار ف اطارها » حتى أتحمل المسئولية تجاه السلطة عن

هذه المعركة وعن نتائجها .. وقال خالد : « وكانت هذه خطوة شجاعة أكسبت نجيب احترامنا وثقتنا ».

وفى منتصف الليل ، ومع خيوط فجر اليوم الأول من عام ١٩٥٢ ، أعلنت النتيجة ..

حصلت على أغلبية ساحقة ، شبه ، جماعية ، ولم يحصل الثلاثة الآخرون سوى على ٥٨ صوتا فقط .

ونجح من قائمة الضباط الأحرار : رشاد مهنا وزكريا محيى الدين وحسن إبراهيم وجمال حماد ، وخان الحظ جمال سالم ومحمد فوزى .

ولا أريد هنا أن أتكلم عن نفسى ، وأحدد مدى أهمية انتخابى رئيسا للنادى .. وأفضل أن أترك هذه المهمة لواحد من الضباط الأحرار الذين خاضوا معى هذه المعركة وشاركوا بدور فعال فى ليلة الثورة .. أفضل أن أترك هذه المهمة لجمال حماد ، والذى سجل تفاصيل ماحدث فى كتابه أطول يوم فى تاريخ مصر (كتاب الهلال - أبريل ١٩٨٣) وقال :

"كانت معركة انتخابات النادى ونتائجها الباهرة فرصة هيأها القدر لاعداد محمد نجيب للدور الذى قدر له القيام به بعد أقل من سبعة شهور من وقوعها ، فقد أستأثرت بأهتمام دوائر الجيش وطوائف الشعب لما أحاط جو الانتخابات من عوامل التحدى والاثارة ، واهتمت الصحف اليومية بإبراز نتائجها فى أعدادها الصادرة صبيحة ليلة الانتخابات ، أى فى أول يناير ٥٢ كما نشرت نبأ فوز اللواء محمد نجيب برئاسة مجلس الادارة بعناوين بارزة".

"وهكذا توافرت فى محمد نجيب ، فى أوائل عام ٥٢ افضل الصفات التى تؤهله لقيادة حركة عسكرية ناجحة يقوم بها الجيش .. فقد أصبح بالاضافة الى ما يتمتع به من سمعة وشهرة ، حائزا على ثقة الضباط مما يضمن معه سرعة . انضمام باقى الجيش الى القوات التى ستقوم بالحركة ، بمجرد الاعلان عن قيامها تحت قيادته".

انتهت معركة النادى بفوزنا وبهزيمة الملك .

لكن ..الملك لم يقبل هذه النتيجة بالطبع ، وكما توقعت .

استدعانى الفريق محمد حيدر الى مكتبه ، أنا ورشاد مهنا وقال لنا :

- إن أوامر مولانا أن يدخل حسين سرى عامر مجلس إدارة النادى :

فقلت لحيدر

- هذا ليس من حق مجلس الادارة وإنما من حق الجمعية العمومية .
قال :
- مولانا يصر على أوامره .
قلت :
- إذا .. سأعقد الجمعية العمومية وأعرض الأمر عليها .
وكان هذا الحوار هو خلاصة جلسة استمرت سبع ساعات ، حتى الثانية صباحا ، مع حيدر باشا وانتهت الى لا شيء .

وحاول الملك محاولة أخيرة لتعديل لائحة النادى عن طريق الجمعية العمومية ، حتى يدخل حسين سرى عامر ممثلا للحدود .. لكنه فشل فى هذه المحاولة أيضا .

ونفذ صبر الملك ..
واشتعل الدم فى عروقه ..
وفقد أعصابه ..
فأمر بحل مجلس ادارة النادى وتعيين مجلس مؤقت برئاسة شقيقى اللواء على نجيب وسحب الاعتمادات المخصصة لبناء مبنى النادى الجديد بالزمالك ..
فاشتعل غضب الضباط ، وزاد اصرارهم على تحدى الملك .

ووسط هذا الغضب المتبادل بيننا وبين الملك فوجئت بخبر غريب جدا ..
عرفت أن رشاد مهنا نقل من القاهرة الى العريش .. تصورت أنها مؤامرة لابعاده .. فأسرعت الى مكتب حيدر محتجا .. فقال لى :
- صدقنى يانجيب أنا لا أعرف شيئا عن هذا الخبر .
ورفع سماعة التليفون وطلب مدير سلاح المدفعية ليعرف منه الحقيقة .. وعندما وضع السماعة مكانها ، قال :
- رشاد مهنا نقل للعريش بناء على طلبه .

ولم أصدق هذا الكلام .. وقلت بينى وبين نفسى إنها ألاعيب كبار الضباط ..
ونزلت من عند حيدر إلى بيت رشاد مهنا .. وقابلته ..
وللأسف ، تأكدت أن الخبر صحيح ، وأن رشاد مهنا هو الذى طلب نقله ..
وكان تبريره هو أنه فضل الابتعاد عن القاهرة فى وقت يطاردنا فيه الملك ..
ويحاول سحقنا .

وأحسست بصدمة .. خاصة وأن رشاد مهنا كان رجلا له تاريخ مشرف .
ولم أقتنع بتبريره ..

ولم أقتنع بانفراده فى اتخاذ القرارات التى تهمنا كتنظيم ، بمفرده ، دون الرجوع الينا .

وفى تلك الأيام العصيبة .. قاتل الفدائيون الانجليز فى القناة .. واحترقت القاهرة .. وأخذ الملك وحاشيته يلهون بكراسى الوزارة .. ونخر الفساد فى كل مكان بمصر .

ولاحظت أننى موضوع تحت المراقبة .. فى كل مكان أذهب اليه كنت أشعر بمن يراقبنى .. فى الجيش .. فى الشارع .. وحول بيتى .. ولاحظت ان بعض الناس ممن لا أثق فيهم يستدرجوننى فى أحاديث عن مايجرى فى البلد .. أحسست أننى محاصر .. وأن الملك ومخابراته يريدون وضعى فى المصيدة . واتصلت بعبد الحكيم عامر وطلبت منه المزيد من الحذر والسرية فى اتصالاتنا بالضباط الأحرار .

وفكرنا فى القيام بالثورة فى ذلك الوقت ، مستغلين وجود القوات فى الشوارع بعد حريق القاهرة .. لكن الموقف بالنسبة لنا لم يكن مناسبا تماما .. لأن الأنجليز كان من الممكن أن يتدخلوا .. ولأن وجود الضباط الأحرار لم يكن ليغطى كل وحدات الجيش التى نريدها أن تتحرك .. فطردنا الفكرة من عقولنا .

لكن .. كان علينا فى نفس الوقت ، أن نفعل أى شىء لنرد به على الملك خاصة بعد أن حل مجلس ادارة النادى .. وفكرنا فى ارسال برقية احتجاج له ، لكن خشينا أن يعرف الملك أسماءنا ويقبض علينا ، وينكشف أمرنا .. وفكرنا فى احتلال مبنى النادى بالقوة ، لكن خشينا من صدام الجيش بعضه البعض .. وفكرنا فى اعتقال كبار الضباط والقادة فى أقرب فرصة يكونوا جميعا فيها ، لنفرض بعد ذلك شروطنا ومطالبنا على الملك ، ووافقنا على الحل الأخير ، وقررنا الإخذ به ، وانتظرنا اللحظة المناسبة التى يكون كبار الضباط والقادة معا فى مكان واحد .

وكان هذا الحل هو الخطة الأولى للثورة .

وبقى علينا تحديد الموعد .

فى ٢ يوليو تولى حسين سرى عامر رئاسة الحكومة ، وبعد ثمانية أيام استقبل الرجل د . حافظ عفيفى باشا ، رئيس الديوان ومعه مذكرة بالقلم الأحمر ، من الملك ، بخط خادمه ، جاء فيها : "إذا لم يتمكن حيدر باشا نقل ١٢ ضابطا يتآمرون على الملك فى ظرف خمسة أيام ، يطرد فوراً" .

وسأل حسين سرى رئيس الديوان عن من يكون أولئك الضباط ؟
فقال د . حافظ عفيفى :
ـ لا أعرفهم !
وإستدعي حسين سرى حيدر باشا بسؤاله عن هؤلاء الضباط ، فقال له حيدر :
ـ لا أعرفهم !
كان حسين سرى يعرف حالة التذمر التى تسود الجيش ، عن طريق صهره (زوج أبنتة) ووزير داخليته ، محمد هاشم باشا الذى التقى بى مرة ، وأحس بخطورتى ، قبل أن يكون حسين رئيس للوزراء .. وكان حسين سرى ، يوم شكل الوزارة يريد أن يضع الجيش فى جيبه ، فوضع اسمى فى كشف الوزارة ، لكن الملك شطب الاسم .

وفى تلك الأيام ، فوجئت باللواء أحمد فؤاد صادق يزورنى فى مكتبى ويقول لى :
ـ عرفت أنهم سيقبضون عليك بتهمة تزعم حركة ثورية داخل الجيش !
فسألت :
ـ كيف عرفت ؟
قال :
ـ كنت فى منزل الدكتور يوسف رشاد وتكلم أمامى فى التليفون ، وعرفت ذلك من المكالمة !
وبعد لحظات قال :
ـ لكننى نفيت هذا الكلام ليوسف رشاد ، ورغم أنه اقتنع بكلامى ،إلا أنه قال : المسألة خطيرة لأنها تتعلق بحياة الملك .

وكان كلام اللواء صادق سليما ، خاصة وأن مصدره د . يوسف رشاد ، الذى كون الحرس الحديدى ليكون فى خدمة فاروق .. وحدث أن استدعانى حيدر فى مكتبه ، وأتهمنى بتحريض الضباط ، وحملنى مسئولية تصرفاتهم ، فأنكرت ذلك ، وقلت له :
ـ إن الضباط يسلكون هذا الطريق لأنهم يصدمون بأشياء كثيرة لا يرضون عنها .. وأعتقد أن العلاج فى اصلاح الجيش لا فى اعتقال الضباط .

وخرجت من مكتب حيدر الى بيت جمال عبد الناصر .. أوقفت سيارتى بعيداً .. وسرت على الأقدام ... لكنى لم أجده فى المنزل .. واتصلت بحسن ابراهيم ، وقابلته فى النادى ، وطلبت منه أن يحذر زملاءه ، بعد أن رويت له ما

دار بيني وبين حيدر .. لكنى عرفت فيما بعد أن حسن ابراهيم لم يذهب لاحد وأنه خاف على نفسه من الاتصال بهم فى ذلك الوقت الحرج والصعب .
وفى ١٨ يوليو وقعت مفاجأة أخرى من هذه العينة ..
حضر الى بعد الغروب ، فى بيتى، شخص اسمه « غرس الدين » وهو رجل عرفته منذ كان يعمل مع محمود القيس باشا وكيل الداخلية ، وتربطنى به علاقة عائلية لأنه قريب زوجتى ، وقال لى :
ـ هاشم باشا يريد مقابلتك فى بيته !
ووافقت .. وذهبت معه الى شقة الوزير فى الزمالك .. دون أن أحمل طبنجة .. ودون أى احتياط .. لكننا لم نجد أحد فى الشقة ..كان على الباب شرطى .. وفتح لنا الباب شرطى آخر يرتدى الملابس المدنية .. وأنتظرت فى غرفة الصالون حتى الساعة الثانية الا ربع لأن الوزير كان فى اجتماع لمجلس الوزراء .. وبدأت الشكوك تلعب فى نفسى .. وتصورت أننى وقعت فى كمين لاغتيالى وللتخلص منى .. وحزنت لأننى لم أحضر مسدسى .. وانتقلت الى مقعد آخر بجوار « فازة » نحاس ، قد أضطر لاستخدامها فى الدفاع عن نفسى .. فى الساعة الثانية صباحا حضر الوزير .. وبعد السلامات والتحيات ، سألنى :
ـ لماذا يتذمر ضباط الجيش ؟
قلت :
ـ باختصار ، يتذمرون مما حدث فى النادى ومما حدث فى فلسطين ومن الأسلحة الفاسدة ومن الاعانة المخصصة للنادى والتى سحبها الملك
وفجأة سألنى :
ـ مارأيك فى منصب وزير الحربية ؟
ضحكت ..
قال :
ـ هل يعتبر ذلك كافيا لإزالة أسباب التذمر ؟
وقبل أن أرد، قال :
ـ هل تقبل هذا المنصب ؟
قلت :
ـ لو قبلت ، فسأكون سببا فى إقالة الوزارة فى ٢٤ ساعة .
وفى تلك الليلة علمت أن حسين سرى رشحنى ، مرة أخرى وزيرا للحربية ، لكن الملك رفض وأصر على أن يكون وزير الحربية هو اسماعيل شيرين .

ونشرت الصحف خبر احتمال تعييني وزيرا للحربية .
لكنها لم تنشر سبب رفضي لهذا المنصب بالطبع .

كان رفضي في الحقيقة سببة تمسكي بالبقاء في الجيش ، وتفويت الفرصة عليهم لابعادي عنه .

وخلال حديثي مع محمد هاشم باشا ، قال لي :

ـ إن هناك لجنة من ١٢ شخصا عرفت الجهات المسئولة أسماء ثمانية منهم .. قالها الرجل بطريقة عابرة .. ولم يصرح بأكثر من ذلك .. وحاولت قدر استطاعتي أن أبدو متماسكا أمامه وكأن الأمر لا يعنيني .. وفي الطريق من الزمالك الى بيتي في الحلمية ، أدركت أن الموقف خطير جداً ..

تناولت العشاء ونمت نوما متقطعا ..

في صباح ذلك اليوم ، عرفت أن جمال عبدالناصر وخالد محيي الدين زارا ثروت عكاشة في منزله بالعباسية وأبلغاه أن ساعة صفر الانقلاب ستكون ٥ أغسطس وليس في نوفمبر كما سبق الاتفاق .. ثم توجه الثلاثة الى حسين الشافعي لابلاغه بالموعد الجديد .. وصلى الأربعة صلاة الجمعة على صوت الراديو في شرفة فيلا الشافعي .

صباح اليوم التالي ، فوجئت بحضور جلال ندا الضابط السابق ، والذي كان يعمل محررا عسكريا بدار أخبار اليوم ، ومعه محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة ، وقتئذ ، لسؤالي عما دار في مقابلتي مع محمد هاشم باشا ، وزير الداخلية .. ودهشت لتسرب الخبر اليهما ..

على أن هذا يعني أن مصطفى أمين كان يعرف هذا الخبر .

بل انني أشك أن المقابلة التي تمت بيني وبين محمد هاشم ، لم تتم في بيته ، وإنما في بيت مصطفى أمين .

لكن في ذلك اليوم كان معرفة هيكل بهذا الخبر مثار دهشة لي .

وأنا عرفت هيكل عندما كان مراسلا حربيا في فلسطين ، عندما جاء يغطي أخبار المعارك بعد معركة أسدود .. وأنا الذي عرفته على عبد الحميد صادق المحامي الذي كان يقود العمليات الفدائية ضد الانجليز في القناة .. خاصة في الاسماعيلية .. عام ١٩٥١ ، ليعمل تحقيقا صحفيا عن الكفاح المسلح للفدائيين في القناة .

وأذكر أنني قابلته بعد ذلك ، وقال لي :

ـ أنا كنت فى سراى عابدين وعرفت أن هناك أمرا سيصدر بالاستغناء عن خدماتك .. وسينشر فى صحف الغد .

كان ذلك قبل الانقلاب بساعات .

قبل ظهر ذلك اليوم حضر إلى بيتى ، جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر .. يرتدى كل منهما بنطلونا رماديا وقميصا أبيض .. ووضح من حركاتهما أنهما يريدان أن يسرا إلى بشىء ما .. فتركت هيكل وندا فى الصالون وأخذتهما الى حجرة الطعام .. ولكن بعد أن طلب هيكل أن أقدمه لهما .. وكان لقاءه الأول بهما .

فى حجرة الطعام قالا :

ـ إننا وإخواننا نرغب فى تقديم العملية الى ٤ أو ٥ أغسطس ، لسببين : الأول اكتمال وصول الكتيبة ـ ١٤ مشاة القاهرة ، والثانى هو أن يكون الضباط قد قبضوا مرتباتهم فى أول الشهر .

ورفضت السببين .. وقلت لهما :

ـ القوات التى معنا كافية لانجاح مهمتنا .. وليس هناك مبرر لانتظار المرتبات ، فالثوار لاينبغى أن ينظروا الى الماديات ، ويضحوا باسبوعين فى سبيل الحصول على مرتب شهر .. لقد أصبح معروفا أسماء ٨ من الضباط ولن يمضى أكثر من أسبوع حتى يكونوا فى السجن .. وهناك ١٣ زنزانة جاهزة .. فيجب القيام بالحركة فى أسرع وقت .. بعد يومين أو ثلاثة على الأكثر .

واقتنعا بما قلته ..

واتفقنا على أن تكون ساعة صفر الانقلاب ليلة ٢١ ـ ٢٢ يوليو ..

واتفقنا على أن يعودا لى بعد الاتصال بزملائهما ليؤكدا الموعد ، اليوم أو الغد ..

وقلت لهما :

ـ لقد عرفت ان هناك مؤتمرا لرئيس الأركان حسين فريد الساعة العاشرة من مساء ٢٢ يوليو فى مقر القيادة ، وهذه فرصة ذهبية للقبض عليهم بسهولة .

وكنت قد عرفت ذلك من أخى اللواء على نجيب ، الذى عرفه من اللواء حسن النجار مدير المخابرات بالنيابة .

واقترحت محاصرة القيادة فى كوبرى القبة ، مع وضع قوات موالية على

بوابات الأسلحة : الفرسان ، والطيران ، والمدفعية ، مع التنبيه على الضباط أعضاء التنظيم بالموعد وبالمهام .

وقلت لهما :

- سأكون بجوار مبنى القيادة عند محطة البنزين القريبة منها داخل سيارتى الأوبل الخاصة ..

لكنهما قالا :

- لا .. أنت مراقب .. ولو قبض عليك فى الطريق ضاع كل شىء .. الأفضل أن تبقى فى بيتك بجوار التليفون حتى نبلغك بالاستيلاء على مبنى القيادة

فى اليوم التالى .. يوم الأحد ٢٠ يوليو .. قدم حسين سرى استقالة حكومته .. وتقرر عودة نجيب الهلالى الى الحكومة .

فى نفس اليوم كان حسين الشافعى يتناول طعام الغذاء فى بيت ثروت عكاشة ، عندما اتصل به زوج شقيقته أحمد أبو الفتح من الاسكندرية وأبلغه ان ١٤ ضابطا فى الجيش ، ينتظرهم التشريد والاعتقال .

فخرج الشافعى وعكاشة من البيت الى جمال عبد الناصر ، وأبلغاه ما قاله رئيس تحرير المصرى .. واتفق على أن يكون التحرك يوم ٢١ يوليو .. أى فى اليوم التالى :

لكنى اقترحت عندما جاء لى عبدالحكيم عامر ، أن يتأخر الموعد ٢٤ ساعة أخرى .

وقلت له :

- لا يجوز أن نتأخر عن ذلك لأن هناك اشاعة تتردد بأن حسين سرى سيتولى رئاسة الأركان بدلاً من حسين فريد الذى سيصبح قائدا عاما بدلا من حيدر وحسين سرى يعرفنا جيداً ولن يتردد فى القبض علينا .

وفكرت فى تضليل أجهزة الأمن التى تراقبنى ، بأن أسافر الى قرية النحارية .. مسقط رأس عائلتى .. على أن اتسلل عائداً ليلة الحركة .. لكنى تراجعت عن هذه الفكرة ، لان الذى يراقبنى فى القاهرة ليس صعبا عليه أن يراقبنى فى النحارية .. كما أن وجودى فى القاهرة أصبح ضروريا للرجوع الى عند أى ظرف طارىء .

يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو .. كان اليوم الأخير فى عمر نظام الملك فاروق أصبح مقررا أن تتحرك القوات فى منتصف الليل ..

وأطلق على اسم الحركة أسم كودى هو :نصر ..

كان الجو حارا جدا .. لدرجة جعلتنى أعتقد أن أحدا غيرنا كان لا يمكن أن يفكر فى أمكان حدوث انقلاب ..

وكان معظم الذين لهم صلة بالسياسة اما فى الخارج ، أو فى الأسكندرية ، حيث يقيم الملك فى قصر المنتزه ، أما اتباعه فكانوا اما فى بيوتهم الصيفية ، أو فى فندق سيسل .

وكان هذا اليوم فى الواقع هو اليوم المناسب للقيام بضربتنا ، قبل أن يتمكن الملك من تعيين وزارة جديدة وقبل أن يتمكن جواسيسه من القبض علينا .

فى صباح ذلك اليوم ، ذهبت فى سيارتى العسكرية الى بيت جمال عبدالناصر وكان شقة فى الدور الأول بشارع والى ، فوق دكان مكوجى ، خلف محطة بنزين كوبرى القبة ، ومن سرعة دخولى البيت ، أمسكت حديدة فى السلم ، ببنطلونى ، فمزقته .. طرقت بابه فلم أجده .

أسرعت الى كلية الأركان ، فوجدته هو وعبدالحكيم عامر .

كنت أريد أن أتأكد من أن كل شىء سيسير حسب أتفاقنا .

وقال لى جمال عبدالناصر :

ـ كله تمام .. وأنا أرسلت أستدعى أنور السادات من العريش ، ليستولى ، بصفته ضابط اشارة ، على الاذاعة والتليفونات .

عدت الى منزلى ..

بعد الظهر جاء الى بيتى محمد أحمد محجوب (رئيس وزراء السودان فيما بعد) وطلب منى أن أذهب معه الى نادى التجديف .. وقبلت على الفور دعوته .. فقد كنت أريد أن أفك من حصار المراقبة الذى حولى .. وكنت أريد أن أعرف ما يحدث فى البلد .. وكنت قلقا وأريد أن يمر الوقت .. وفى نادى التجديف قابلت محمد حسنين هيكل ، وقال لى خبر الاستغناء عنى .. وحاولت أن أجس نبضه وأعرف منه الى أى مدى يعرف من أخبار عن تحركاتنا .. خاصة وأنا أعرف صلته بالأمريكان والسراى لكنه لم يكن يعرف أكثر مما قاله .

كان كل شىء قد تم ترتيبه .. وكنت أخشى أن يربك أحد ما خططنا . كان يعرف خطة الانقلاب عشرة من أعضاء اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار .. أما الباقى فقد حددت لهم مهام معينة .. وقد كنت أعرف كل أعضاء اللجنة التنفيذية للتنظيم قبل الثورة ماعدا جمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وأنور السادات وخالد محيى الدين .

وفى ليلة الثورة أضيف الى هذه اللجنة زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبدالمنعم أمين ويوسف منصور .. وهذه اللجنة هى التى أصبحت فيما بعد مجلس قيادة الثورة .

وحسب الخطة الموضوعة ، كان على بغدادى الاستيلاء على القاعدة الجوية فى الماظة ، وكان على الشافعى وخالد محيى الدين الاستيلاء على سلاح الفرسان ، وكان على عبدالمنعم أمين الاستيلاء على المدفعية ، وكان على الأخوين سالم الاستيلاء على قوات العريش .

بعد نادى التجديف ، عدت الى منزلى فى المساء .

كان على ان أبقى فى منزلى حتى ينتهى الجزء الأول من الخطة وهو الاستيلاء على مقر القيادة ثم أنضم الى الآخرين ..

وكانت ساعة الصفر هى الساعة الواحدة من صبيحة الأربعاء ٢٣ يوليو ..

ومرت الدقائق على ، فى مساء ذلك اليوم ، وكأنها أعوام .. وقطعت الوقت بقراءة آيات من القرآن الكريم .. وتذكرت فى ذلك الوقت ما قاله صديقى السودانى أحمد المدثر .. وهو رجل تقى .. أعرفه من أيام الدارسة فى غوردن .. قال لى ذات يوم :

ـ صليت العصر بمسجد سيدنا الحسين ، وتمددت ونمت .. حلمت أننى أقف أمام ضريح الحسين ، فرأيت شعاعا من نور ينبعث من الضريح ، واذا بهذا الشعاع يتحول الى يد تمسك بورقة ، واذا بصوت يقول لى : اعط هذه الورقة لمحمد نجيب ، ليقرأها ، ولينفذ ما بها .. وعندما فتحت الورقة وقرأت ما بها عرفت أن عليك أن تقرأ الآية المكتوبة فيها ٤٥٠ مرة وكانت هذه الآية الكريمة هى : « الذين قال له الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

تذكرت هذا الكلام .. فصليت العشاء ورحت أتلو هذه الآية عشرات المرات .. وعينى على التليفون .. الجهاز الوحيد الذى يربطنى بالعالم الآن ..

عند منتصف الليل اتصلت زوجة شقيقى « على » لتسأل عنه .. قالت :

ـ أنا مشغولة عليه ، فليس من عادته أن يتأخر دون أن يقول لى :

طمأنتها .. وقلت لها :

ـ اطمئنى .. سأبحث عنه .

لم يكن على يعرف شيئا عن الحركة .. ورغم ثقتى المطلقة به الا أننى لم أحدثه عنها مطلقا .. خشيت أن يتعارض ذلك مع واجبه العسكرى .. فقد كان قائد حامية القاهرة والمسئول عن أمنها وحمايتها .. وإن كنت نصحته ، بصورة غير

واضحة وغير مباشرة أن يجرى بعض التدريبات لجنوده فى أماكن بعيدة عن مسرح الأحداث .

بعد دقائق ، طلبنى على فى التليفون .. ربما ليتأكد من وجودى فى البيت .. ثم أخبرنى ان بعض قوات الجيش تتجه نحو قصر عابدين .. فطمأنته هو الآخر ، وطلبت منه أن يتجه بنفسه الى قصر عابدين ليرى بنفسه ما يجرى هناك لعلمى أن قصر عابدين كان خارج خطة التحركات فى هذه الليلة ..

وأعدت السماعة إلى مكانها .. دون أن أرفع عينى من على التليفون .. ودون أن أعرف كيف ستمر هذه اللحظات دون أن أنفجر من القلق .. فكرت فى أن أرتدى ملابسى وأنزل الى القيادة .. لكننى رجعت فيما فكرت فيه لأن الالتزام بأى خطة هو السر الوحيد وراء نجاحها .. وخشيت أن يقبض على قبل أن أصل الى القيادة ، فينتهى كل شىء .

بعد قليل ، اتصل بى من الاسكندرية محمد مرتضى المراغى ، وزير الداخلية ، وقال لى :

ـ يانجيب بك ، أتوسل إليك كضابط وطنى أن توقف هذا العمل !

قلت له :

ـ ماذا تقصد بالضبط ؟

قال :

ـ إنك تعرف ما أعنى .. فأولادك بدأوا شيئا فى كوبرى القبة وإن لم تمنعهم فسيتدخل الانجليز .

قلت :

ـ أنا لا اعرف ما تتحدث عنه !

قال :

ـ يانجيب انت تعرف جيدا ما أقوله .. فتحرك قبل فوات الأوان .

قلت :

ـ هل تشك فى اننى ادبر انقلاب .. هل تريد ان تلصق بى هذه التهمة الخطيرة .. الا يكفى اننى مراقب وأنا فى بيتى !!

قال :

ـ اقصد أن لك سيطرة على ضباطك وجنودك .. اذهب الى كوبرى القبة واصرفهم .

قلت :

ـ كيف أعرف أن المتحدث هو مرتضى المراغى ؟
قال :
ـ يانجيب .. رئيس الوزراء سيستدعيك قريبا !
وأقفل الخط .
بعد أقل من ربع ساعة ، اتصل بى فريد زعلوك ، وزير التجارة والصناعة ، وقال :
ـ ولادك يانجيب عاملين دوشة فى كوبرى القبة قوم شوف الحكاية !
قلت له :
ـ أنا ماعنديش ولاد .
قال :
ـ إذا لم توقف الانقلاب فسوف يعود الانجليز لاحتلال مصر .
قلت :
ـ هذا اتهام أرفضه !
فأغلق الخط .
ثم .. تلقيت مكالمة من رئيس الوزراء ، نجيب الهلالى شخصيا .. قال لى :
ـ يانجيب .. أنا أستاذك فى مدرسة الحقوق .. ما يحدث الان مسألة عواقبها وخيمة .. وتفتح الباب لتدخل الانجليز ..لكنى عدت للمرة الثالثة أنفى معرفتى بما يجرى .
وانتهت المكالمة .
وتضاعف ارتباكى وقلقى ووصلت حيرتى الى القمة .. وظللت فى هذه الحالة الى أن جاء الفرج .
رن التليفون .. وعندما رفعت السماعة ، جاء صوت الصاغ جمال حماد ، يهنئنى بنجاح المرحلة الأولى .. قال :
ـ مبروك يافندم .. كله تمام .
استولى أولادى على القيادة العامة .. مركز الاتصالات الحيوية .. وتحركت المدرعات ودخلت القاهرة .. وتجمع الجنود بعرباتهم المدرعة فى شارع الخليفة المأمون ..
أى ان الخطة نفذت تقريبا كما رسمناها .
لكن بسبب خيانة أحد الضباط ، عرف المسئولون عن أمن القيادة خبرا بالحركة

فأستعدوا للمقاومة .. ولم يكن هناك مفرا من الاستيلاء على المقر بالقوة ، فمات اثنان من الجنود .. وجرح اثنان آخران فى القاعدة الجوية بألماظة .

وفى نفس الوقت قامت جماعات الأمن التابعة لزكريا محيى الدين بالقبض على اللواء أحمد طلعت قائد البوليس واللواء عبد المنصف محمد نائب وزير الداخلية ، واللواء محمد امام رئيس قلم البوليس السياسى ، واللواء حسن حشمت قائد القوات المدرعة .. وقبض على الباقى وهم فى منازلهم .

لم يكن هناك لواء عامل واحد فى الجيش ، فى ذلك الوقت ينعم بحريته سوى حتى شقيقى على دخل المعتقل مع زملائه .

كان ذلك فى الساعة الثالثة صباحا .

وقال لى جمال حماد :

- ان قولا من ثلاث عربات مدرعة يقوده اليوزباشى سعد توفيق فى طريقه الى الزيتون لاحضارك .

لكنى أخبرته أننى سأركب فورا سيارتى الأوبل الصغيرة التى يقودها سائقى الخاص ، توفيرا للوقت .

وتحركت سيارتى الأوبل فى طريقها الى كوبرى القبة .. ولكن قبل أن أصل الى مقر القيادة وجدت جمعا من الضباط والجنود فى إنتظارى ، فتركت سيارتى المدنية وركبت سيارة چيب ، دخلت بها مبنى رئاسة الأركان .

كان أول من استقبلنى على مدخل القيادة اليوزباشى إسماعيل فريد ، الذى أصبح ياورى الخاص بعد ذلك .. وعندما صعدت الى غرفة رئيس الأركان وجدت البكباشى يوسف صديق يتحدث الى بعض الضباط منهم القائمقام أحمد شوقى ، والبكباشى جمال عبدالناصر ، والبكباشى زكريا محيى الدين ، والبكباشى عبدالمنعم أمين ، وقائد أسراب حسن إبراهيم ، وقائد اسراب عبداللطيف البغدادى ، وقائد جناح على صبرى وكان البكباشى محمد أنور السادات متمددا فى غفوة قصيرة .

وللتاريخ اذكر أن يوسف صديق كان أشجع الرجال فى تلك الليلة ، وكان هو الذى نفذ عملية الاقتحام والسيطرة على مقر القيادة ، رغم أن دوره كان حسب الخطة حماية قوات الهجوم والوقوف كصف ثانى وراءها .

وللتاريخ أيضا ، اذكر أن جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر لم يقتربا من القيادة إلا بعد الاستيلاء عليها .. كانا يقفان فى مكان جانبى قريب ، أمام سيارة

عبدالناصر الأوستن السوداء ، وقد ارتديا الملابس المدنية ، ووضعا ملابسهما العسكرية وطبنجتين داخل السيارة .. وبمجرد أن احسا بنجاح الاقتحام ، ارتديا الملابس العسكرية ودخلا القيادة .

أما أنور السادات فكان أكثر منهما ذكاء ، اذ دخل ليلتها السينما ، وتشاجر مشاجرة مفتعلة ، وحرر محضرا بالواقعة ، حتى اذا ما فشلت الحركة نجح فى الخروج منها كالشعرة من العجين .

على مكتب رئيس الأركان اللواء حسين فريد وجدت مفكرته الخاصة .. وفى هذه المفكرة كان حسين فريد قد سجل أسماء ثمانية من أسمائنا تمهيدا للقبض علينا أو تشريدنا ، فى نفس اليوم .. يوم ٢٣ يوليو .

وعلى هذا المكتب بدأت بعد دقائق من وصولى ارد على المكالمات التى تلقيتها من الاسكندرية .. من الفريق حيدر ، ومن وزير الداخلية ، ومن رئيس الوزراء وكانوا جميعا يطلبون تأجيل اذاعة البيان الأول ، الذى عرفوا أنه سيذاع مع افتتاح الاذاعة ..

فقلت لوزير الداخلية :

ـ نحن مصرون على اذاعة البيان فى موعده .. ونأسف لعدم اجراء أى تعديل فى برنامجنا ..

ثم قلت له :

ـ نحن حركة لا هم لها سوى اصلاح الفساد فى الجيش ، فلا تنزعجوا .. وبعد خمس دقائق ، اتصل بى رئيس الوزراء فكررت عليه نفس العبارات تقريبا .. وأضفت :ـ لقد أستولينا على السلطة لمساعدة الحكومة فى تطهير الأمة من الفساد .

واتصل بى حيدر ، وقال :

ـ ان الملك سوف يعينك وزيرا للحربية ، ويغفر كل شىء ، اذا أوقفت الانقلاب !

فقلت له :

ـ سوف أدرس الأمر :

لكننى لم أعده بشىء .

فى نفس الوقت ، قام أحد ضباطنا بشرح الأهداف العامة للحركة للملحق بالسفارة الأمريكية كان يعرفه وكان السفير الأمريكى جيفر سون كافرى ومساعدوه فى الأسكندرية مع الحكومة . . كذلك أتصل نفس الضابط بالمستر كرزويل القائم

بأعمال السفارة البريطانية ،لغياب مستر رالف ستيفنسون .

ولوكان المستر كافرى موجودا بالقاهرة لكنا قد اتصلنا به مباشرة ، لأننا كنا نعتقد ساعتها أنه أحد القلائل بين الدبلوماسيين الأجانب الذى يستحق أن نثق فيه .

وكان على صبرى هو الوحيد بين الضباط الذى كان يعرف أحدا فى السفارة الأمريكية .. فكلف بإيقاظ الكولونيل دافيد ايفانس مساعد الملحق العسكرى الأمريكى وأبلغه بنوايانا .. وطلب منه أن يبلغ السفير الأمريكى والقائم بالأعمال البريطانى أن الانقلاب مسألة داخلية بحتة ، تخص المصريين وحدهم .. وأن حياة وممتلكات الأجانب سوف تحترم .. وطالما لايتدخل الانجليز فسوف يعاملون معاملة الأجانب الآخرين .. وحذر على صبرى ، مستر إيفانس بأنه إذا تدخل الانجليز فسوف يتحملون وحدهم مسئولية سفك الدماء .. وكان صبرى حريصا على ألا يبلغ خطتنا فى خلع الملك عن العرش لأحد .

وفى الحقيقة كنا نخشى من تدخل القوات البريطانية المرابطة فى منطقة قناة السويس ، واحتلال وسط الدلتا بحجة حماية أرواح وممتلكات الأجانب .. لكنهم لم يتدخلوا .

وكان علينا ، قبل أى شىء آخر ، أن نعد البيان الأول ونجهزه قبل أن تفتح الاذاعة إرسالها .

كنا نريد صياغة بيان موجز ومؤثر فى وقت قصير جداً .

وانتهينا إلى الصيغة التالية :

« اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش ، وتسبب المرتشون ، المغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين »

« وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا ، وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ، ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب .

أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين ، فهؤلاء لن ينالهم ضرر ، وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب .

وإننى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجردا من أية غاية ، وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب الا يسمح لاحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف ، لأن هذا ليس فى صالح مصر وأن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال ، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس .

وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم .

والله ولى التوفيق .

القائد العام للقوات المسلحة

لواء أ . ح. محمد نجيب

ووقعت البيان بعد أن قام بتبييضة الصاغ جمال حماد ، وأرسل على وجه السرعة مع مخصوص إلى دار الاذاعة ، وكانت فى شارع علوى وسلمه إلى اليوزباشى محيى الدين عبد الرحمن ، الذى دخل به إلى المذيع ، الذى كان يستعد لقراءة النشرة فأذاعه دون اعتراض . . وان كان قد ترك الضابط يقراه بنفسه .

لكن عندما سمعت البيان بصوت ذلك الضابط ، لم يعجبنى فقد كان يتعثر فى النطق وكان مرتبكا . . مهزوزا . . ونظرت إلى بغدادى أو السادات وطلبت أن يتولى أحدهما مهمة إعادة البيان بطريقة أفضل . . فتحمس السادات ، وانطلق إلى مبنى الأذاعة ، وبعد نصف ساعة كان البيان يذاع بصوته المعبر .

كان البيان يذاع كل نصف ساعة تقريبا .

لكنه عندما أذيع أول مرة ، كنا نتحكم فى الموقف تماما . . وكانت طائراتنا ومقاتلاتنا تطير فى سماء القاهرة والاسكندرية وبعض مدن الدلتا . . واتخذت الدبابات أماكنها أمام المبانى العامة ، وفى الميادين الهامة بالعاصمة . . ولم تكن هناك أى مقاومة ، على العكس ، كان هناك ترحيب شعبي هائل .

وقبل أن تدق الساعة تمام الثامنة ، جاء للقيادة أول وسيط بيننا وبين الملك ، وكان عم الملكة ناريمان ، مصطفى صادق بك ، وقال :

ـ الملك مستعد لاجابة جميع مطالب الجيش بشرط أن تتوجه إليه وتستعطفه لتلبية هذه الطلبات .

وعندما رفضت ، عاد مرة أخرى وقال :

ـ الملك موافق دون أستعطاف !
وعندما رفضت ، عاد مرة ثالثة ، وقال :
ـ يمكنك أن تؤلف حكومة عسكرية والملك موافق على ذلك .
ثم غادر مصطفى صادق القيادة فى هذه المرة ، واستقل طائرته إلى الاسكندرية .
بعد ساعة ، خرجت للجماهير، فى سيارة مكشوفة وطفت بوسط المدينة .

وفى الظهر إتصلنا بعلى ماهر ، بواسطة إحسان عبد القدوس ، ليشكل حكومة جديدة . . وتوجه أنور السادات لمقابلته . . وفى نفس الوقت توجه بعض الضباط إلى بعض السياسيين الآخريين لجس نبضهم ، لتشكيل الوزارة ، فى حالة رفض على ماهر . وقبل على ماهر ، تشكيل الحكومة من حيث المبدأ . . وبشرط أن يصدر التكليف من الملك .

وأعتقد أنه كان أصلح سياسى مصرى فى ذلك الوقت ، للقيام بما نطلبه . . فهو يعرف الملك منذ كان طفلا . . ثم هو الذى وضعه على العرش ، وهو قد خدم كرئيس للديوان الملكى وكرئيس الوزراء ، قبل ذلك .

وكنت أشعر أن على ماهر سيساعدنا فى خلع الملك لأنه كان يشعر تجاهه بالاحتقار . . ولم يكن مدينا له بشىء .

فى هذه الأثناء اتصل فريد زعلوك بى تليفونيا وسألنى :
ـ ماهى مطالب الجيش ؟

فقلت له :
ـ نحن نطالب بتكليف على ماهر بتشكيل الوزارة . . وبتعيينى قائدا عاما للقوات المسلحة . . وبطرد محمد حسن وحلمى حسين وأنطوان بوللى من حاشية الملك .
وقد قدمت هذه الطلبات للملك لجس نبضه واختبار قوته فلو قبلها عرفت أنه فى مركز ضعيف . . وأنه لايستند إلى قوات انجلترا فى مصر كما سمعت .
وعندما شرحت مطالب الجيش لعلى ماهر ، تساءل :
ـ انتوا ناويين توصلوها لغاية فين ؟
فقلت مداعبا :
ـ الى حد أن تصبح أول رئيس جمهورية لمصر !
فى الساعة الثانية والنصف أعلن عن قبول استقالة أحمد نجيب الهلالى ، بعد يوم واحد فى الحكم .

وبعد ثوان اتصل بى على ماهر ، وقال :
ـ الملك كلفنى بتشكيل الوزارة .
ثم طلب منى أن أزوره فى بيته .
وذهبت اليه بعد أقل من ساعة ، أنا وستة من ضباط القيادة ، فى موكب تسير أمامه وخلفه سيارات الحراسة .

كان على ماهر مشرقا . . يتمتع بحيوية زائدة . . وأخذ يحاورنى طوال الجلسة لمعرفة موقفنا من الملك . . فقلت له :
ـ اطمئن . . اذا أستجاب الملك لمطالبنا ، أنتهى كل شىء بسلام .
ويبدو أنه اقتنع ، وقال لى :
ـ سوف أشكل وزارتى من نفس الوزراء الذين ألفوا معى الوزارة بعد حريق القاهرة .

وفى صباح اليوم التالى . . ٢٤ يوليو . . خرجت من مقر القيادة الذى قضيت فيه ليلتى ، فى السادسة والنصف ، ومعى جمال عبدالناصر وإسماعيل فريد لنلحق بعلى ماهر فى بيته بالجيزة قبل أن يسافر الى الاسكندرية ، ليقابل الملك . . وقابلت على ماهر ، ثم أخذته الى المحطة ، وودعته هناك . .

وعند عودتى للقيادة ، ذهبت لزيارة كبار الضباط المقبوض عليهم فى معتقل الكلية الحربية . . ووعدتهم بالافراج عنهم فى أقرب وقت وفعلا . . فى نفس اليوم قررنا الافراج عنهم جميعاً ، ما عدا ٣٤ شخصاً ، من بين ٢٣٦ سجينا ، كانوا من ذوى الميول الشيوعية .
وفى العصر عقدت مؤتمرا صحفيا لوكالات الأنباء العالمية .
وبعد العشاء اذعت أول بيان بصوتى . . قلت فيه :
« اخوانى أبناء وادى النيل ! .

لشد مايسرنى أن أتحدث اليكم مع ما أتحمله فى هذه اللحظات من مسئوليات جسام لا تخفى عليكم ، فقد حرصت على ان أحدثكم بنفسى لأقضى على ما ينشره خصومكم وخصوم الوطن من شائعات مغرضة ، لهذا أعلنا منذ البيان الأول أغراض حركتنا التى باركتموها من أول لحظة ذلك لأنكم لم تجدوا فيها غنما لشخص ولا كسبا لفرد بل أننا ننشد الاصلاح والتطهير فى الجيش وفى جميع مرافق البلاد ، ورفع لواء الدستور والمواقع . إن أشد ما أسفت عليه ان بعض ذوى

النفوس الضعيفة لايزالون ينشرون الشائعات المغرضة عن حركتنا . . ان حركتنا نجحت لأنها بأسمكم ومن أجلكم وبهديكم وما يملأ قلوبنا من إيمان إنما هو مستمد من قلوبكم .

بني وطني :

« إن كل شيء يسير على مايرام ، وقد أعددنا لكل شيء عدته فاطمئنوا الى نجاح حركتنا المباركة ولا تنصتوا الى الشائعات واتجهوا بقلوبكم الى الله العلى القدير وسيروا خلفنا الى الأمام ، الى رفعة الجيش ، وعزة البلاد ، والله نسأل أن يسدد خطانا وأن يطهر نفوسنا . وأنتهز الفرصة لأؤكد لكم أن كل شيء يسير على مايرام مرة أخرى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ظهر ذلك اليوم قابل الملك على ماهر فى قصر المنتزه . . واستمرت المقابلة ٣ ساعات . . أبلغ فيها على ماهر الملك بمطالبنا . . التى وافق الملك عليها . لكن . . جاءت موافقة الملك على مطالبنا متأخرة . . فقد كنا قد اتفقنا فى اجتماع اللجنة القيادية على عزل الملك . . وقررنا أن لا يعرف على ماهر هذا القرار الآن . وفى هذا الاجتماع قررنا إرسال بعض المدرعات والمدافع الى الاسكندرية تمهيدا لعملية عزل الملك .

وكلفت البكباشي زكريا محيى الدين باعداد خطة تحرك القوات الى الاسكندرية لحصار قصرى الملك ، وذلك امتدادا للخطة التى وضعها لتحريك القوات ليلة ٢٣ يوليو .

وتحركت القوات الى الاسكندرية . . وتحرك معها القائمقام أحمد شوقى والبكباشي يوسف صديق والبكباشي حسين الشافعى والبكباشي عبدالمنعم أمين .

وكانت الخطة التى وافقنا عليها تتلخص فى حصار قصرى المنتزه ورأس التين بالدبابات . . وان تقوم القوات البحرية بدوريات مستمرة ، وكذلك الطيران والمشاة .

وعلمنا ان الملك اتصل بالسفير الامريكى ، وطلب منه أن يبلغ الانجليز أنه فى حاجة الى عونهم ، لكن السفير الأمريكى اعتذر بحجة عدم تدخل حكومته فى الشئون الداخلية . . لكنه وعد الملك بحمايته وحماية أرواح عائلته اذا احتاج الأمر ذلك . . وغضب الملك من رد كافري ، وطلب قائد القوات البريطانية فى مصر وطلب منه أن يضع خطة لتهريبه هو وأعوانه خارج مصر ، لكن القائد البريطانى

تراخى فى الاستجابة لطلب الملك ، فإذا بالملك يطلب منه احتلال القاهرة ، وضرب الأسكندرية بالاسطول . . وفى هذه المرة رفض طلبه تماما .

ولم ييأس الملك . . فأتصل بأيدن وكرر عليه نفس المطالبة . . فعرض ايدن الأمر على حكومته ، التى عرضتها على الرئيس ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت . . الذى عارض بشدة أى تدخل فى شئون مصر الداخلية . . وأحبط محاولات الملك الأخيرة .

فى يوم الجمعة ٢٥ يوليو ، سافرت بالطائرة الى الأسكندرية . . وسافر معى أنور السادات وجمال سالم وزكريا محيى الدين وتوجهت الى معسكر مصطفى باشا . . وعلى طول الطريق من مطار النزهة الى مصطفى باشا كانت جموع المواطنين على الصفين ، يهتفون لنا وكان على ان اسلم انذار الملك الى على ماهر فى بولكى . . وفى الانذار مايكفى لتنازل فاروق عن العرش . . وساعتها تمنيت أن يقبل فاروق الانذار وينزل من على عرشه دون اراقة دماء أو قتال بين جنودنا وجنود الحرس الملكى .

لكن . . زكريا محيى الدين طلب أن نؤجل العملية الى اليوم التالى ، حتى يستريح الجنود الذين لم يناموا منذ قامت الحركة . . ورفض جمال سالم . . لكنى حسمت الأمر وأمرت بتأجيل العملية الى السبت ٢٦ يوليو حتى يستريح الجنود . . وقررت أن لا أفاتح على ماهر فى حكاية الانذار اليوم . . وتناقشنا فى بعض الأوضاع القانونية وانضم لنا المستشار سليمان حافظ ليوضح وجهة نظره ، وتذكرت أننى كنت عضوا معه فى محكمة عسكرية ، كان يرأسها اثناء الحرب العالمية الأخيرة .

وعندما عدت الى ثكنات مصطفى كامل فوجئت بجمال سالم يثير مشكلة فى غاية الأهمية عن مصير الملك فاروق بعد خلعه عن العرش . .

ماذا سنفعل به ؟ . . هل نحاكمه ؟ . . هل نطلق سراحه ؟ . . أم نرسله الى المنفى ؟

وقال جمال سالم :

ـ اننا قررنا عزل فاروق ، لكننا لم نقرر شيئا عن مصيره !

وقبل أن يتركنا نرد على سؤاله ، قال :

ـ من رأيى أن نحاكمه على جرائمه التى ارتكبها فى حق مصر وفى حق فلسطين .

قلت :

ـ من رأيى أنه مهما كانت جرائم الملك فاننا لا يجب أن نحاكمه او نسجنه . . لنتركه يقرر مصيره . ونلتفت نحن الى مستقبل البلاد .

فصاح جمال سالم :

ـ لا يجوز أن نترك الملك حرا .

وقال آخر :

ـ ان ثورتنا بيضاء ولا يجب أن تلوث بدماء أحد حتى ولو كان الملك .

فعاود جمال سالم الصراخ وقال :

ـ تذكروا شهداء فلسطين . . تذكروا أن عليكم الانتقام لهم .

فقلت فى حدة :

ـ ياجمال . . لقد قلت لك إنى لا اهتم بمعاقبة فاروق أم لا ، لكن إهتمامى الان بمستقبل مصر .

وامتد النقاش الى ما بعد منتصف الليل دون أن نصل الى نتيجة . . وفجأة لاح لى خاطر سرعان ما أعلنته . . قلت :

ـ اننا نشكل نصف أعضاء مجلس القيادة وفى مثل هذا القرار الخطير يجب أن نأخذ رأى الجميع .

قال جمال سالم

ـ ماذا تقصد بالضبط :

قلت :

ـ عليك أن تركب الطائرة وتسافر الى القاهرة وتعرض الأمر على جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وعبداللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وتعود لنا برأيهم . . هل يسجن أم يعدم أم يطرد من البلاد ؟

قال :

ـ ولماذا لا نسألهم بالتليفون ؟

قلت :

ـ لان ذلك مستحيل فى هذه الظروف . . توكل على الله وسافر ياجمال .

وعاد جمال سالم بعد ساعات وسلمنا رسالة من جمال عبدالناصر تقول :

« ان حركة التحرير يجب أن تتخلص من فاروق بأسرع ما يمكن لكى نتفرغ الى ما هو أهم ، وهو القضاء على الفساد فى مصر ، ويجب علينا أن نمهد الطريق

لعهد جديد ، يتمتع فيه الناس بالحرية والكرامة والعدل ، واننا لا يمكن ان نضع فاروق أمام محكمة ولا نضعه أيضا فى السجن ، ونشغل أنفسنا بالخطأ والصواب وننسى أغراض الثورة . دعنا نترك فاروق يذهب الى المنفى ، ونترك التاريخ يحكم عليه بالموت » .

فجر ذلك اليوم . . السبت ٢٦ يوليو . . أمرت القوات بمحاصرة قصرى الملك بأسرع ما يمكن . . وأعطيت أوامرى بالهجوم عند الضرورة . . كنا نتصور ان الملك فى قصر المنتزه ، فقررت أن يحاصر القصر حسين الشافعى . . وتوجهت الى هناك أكبر القوات . . لكننا اكتشفنا أن الملك غادر قصر المنتزه سرا بالأمس ، ويقيم فى رأس التين الآن . . فقررت أن تحاصره القوة الكبيرة التى وصلت توا من القاهرة بقيادة عبدالمنعم أمين . . وبعد صدام خفيف جرح فيه ٦ أشخاص فقط استسلم حرس رأس التين .

فى الساعة التاسعة صباحاً قابلت على ماهر فى مقر الحكومة فى بولكلى ، وكان معى جمال سالم وأنور السادات . . وبمجرد أن رأيته أخرجت ورقة كبيرة عليها الانذار الموجه للملك . فأخذها أنور السادات وقرأ ما فيها بصوت مرتفع . . وطلبت منه أن يوقع الملك وثيقة تنازله عن العرش قبل الثانية عشرة ظهرا . . ومغادرة البلاد قبل السادسة مساء .

وارتجفت شفتا على ماهر وشحب وجهه وقال :

ـ هل قدرتم كل شىء ؟

قلت :

ـ نعم !

قال :

ـ زى ماتشوفوا !

وغادر مقر الحكومة الى قصر رأس التين ليعرض على الملك مطلبنا فى تنازله عن العرش ، وتسليم الانذار الأخير له . . وكان نصه :

« من الفريق أركان حرب نجيب . . باسم ضباط الجيش ورجاله . . الى جلالة الملك . .

« انه نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وأمتهانكم لإرادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته . ولقد ساءت سمعة مصر

بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير .

« ولقد تجلت آية ذلك فى حرب فلسطين وماتبعها من فضائح الاسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسم هذا الخطأ فأثرى من أثرى ، وفجر من فجر وكيف لا والناس على دين ملوكهم .

« لذلك قد فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الأمير أحمد فؤاد على أن يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة سنة ١٣٧١ ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه .

« والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج .

فريق أركان حرب

محمد نجيب

الاسكندرية فى ٢٦ يوليو١٩٥٢

٤ من ذى القعدة ١٣٧١

وعدنا الى ثكنات مصطفى كامل فى انتظار رد الملك الذى سيحمله لنا على ماهر .

بعد نصف ساعة من المناقشات مع على ماهر قبل الملك الانذار ووافق على التنازل عن العرش ومغادرة البلاد حسب الموعد المحدد فى الانذار . . لكنه اشترط :

١ ـ أن تكون وثيقة التنازل عن العرش التى سيوقعها مكتوبة على ورق لائق وبصيغة تحفظ كرامته كملك .

٢ ـ أن يبحر الى نابولى على اليخت « المحروسة »

٣ ـ أن نقدم له التحية الملكية والتى تطلق فيها المدفعية ٢١ طلقة .

٤ ـ أن أحضر أنا شخصيا لمقابلته قبل مغادرة البلاد .

٥ ـ أن تصحب المحروسة حراسة من المدمرات حتى المياه الاقليمية .

ووافقت على الشروط الأربعة الأولى ورفضت الخامس .
وأسرعنا بكتابة صيغة التنازل عن العرش التى سيوقعها فاروق كالتالى :
« أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ .
« نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان
لما كنا نتطلب الخير دائما لامتنا ، ونبتغى سعادتها ورقيها ، ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنب البلاد المصاعب التى تواجهها
فى هذه الظروف الدقيقة ونزولا عن ارادة الشعب :
« قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه »
التوقيع :
فاروق

والذى أعد هذه الوثيقة كان الدكتور عبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة وسليمان حافظ وكيل المجلس . . وكنت قد وافقت على هذه الصيغة بعد أضافة عبارة اقترحها جمال سالم وأيده فيها الدكتور السنهورى وهى عبارة : « ونزولا عن ارادة الشعب ».

ووقع فاروق على هذه الوثيقة مرتين من الارتباك . . مرة أسفلها وأخرى أعلاها .

وشعرت بالراحة لأول مرة منذ ليلة ٢٣ يوليو وأنا استمع لحديث على ماهر وهو يروى لى ما حدث بينه وبين الملك قبل أن يقدم الانذار له . .
قال على ماهر :

ـ أحسست أن الانذار المكتوب شديد اللهجة ، فرفضت ان أقدمه له ، وأبلغته أهم ما فيه شفاهة مع نصيحتى بقبوله . . لكن الملك قال لى اننى لست جبانا . . والقوات الموالية لى أكبر من القوات الموالية للثائرين فقلت له : إن ذلك يعرض البلاد الى خطر الحرب الأهلية . .
واقتنع الملك دون نقاش طويل وطلب أن أكون أنا وأنت والسفير الأمريكى فى وداعه .

وأيقنت فى هذه اللحظة ان اختيارى لعلى ماهر رئيسا للوزراء فى هذه الفترة الحرجة كان اختيارا موفقا تماما .

وأتذكر فى ذلك اليوم أننا قررنا أن يأخذ الملك ملابسه وأمتعته ومجوهراته ومتعلقاته الشخصية .

وكان فى نيتى أن أكون فى وداعه عند مغادرته قصر رأس التين لكن ازدحام الناس حولى ، عطل مرورى ، كما أن سائقى ضل الطريق وتوجه الى ميناء خفر السواحل بدلا من أن يتوجه للميناء الملكى . . ولما عدنا الى الميناء ، الصحيح كان الملك قد توجه الى المحروسة منذ أربع دقائق ، أى فى السادسة تماما حسب الانذار ، ووجدت على ماهر وكافرى واسماعيل شيرين وبعض ضباط الحرس وقد بدا عليهم الصمت والوجوم وكأن الزمن توقف فعلا .

وكانت والدة ناريمان السيدة أصيلة صادق قد حضرت لوداع الملك ، ومعها اثنتان من أخواته : فايزة وفوزية وأزواجهن .

كان الملك يرتدى حلة أدميرال بحرى .

وكانت ناريمان قد سبقته الى المحروسة ومعها الأمير أحمد فؤاد تحمله مربية انجليزية ، ومعها أيضا بنات فاروق من زوجة سابقة :

فريال وفوزية وفادية .

وعزف السلام الملكى ، وتقدم الملك الى المحروسة . . واختلطت أصوات المدافع بصوت بكاء الخدم والحاشية .

وسألنى على ماهر :

- ماذا ستفعل الان بعد أن وصلت متأخرا .

قلت :

- سأذهب الى وداعه على ظهر المحروسة كما وعدت .

وأخذت لنشا حربياً دار بنا دورة كاملة كما تقضى التقاليد البحرية ... وحذرنى زملائى من الصعود الى اليخت ، إذا ربما أطلق على أحد أتباع الملك الرصاص . . فقلت :

- قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

كانت المحروسة فى عرض البحر ، وأثناء مرور اللنش حولها رأيت الملك واقفا على سطحها ينظر إلينا ، فحييته التحية العسكرية أنا ومرافقى من الضباط ، لكنه لم يرد التحية . . وأعتقد أنه لم ينتبه الينا . . أو عاكسه ضوء الشمس عند الغروب .

وصعدت الى المحروسة ، يتبعنى أحمد شوقى وحسين الشافعى وجمال سالم

واسماعيل فريد . . وكان الملك ينتظرنى . . اديت له التحية فرد عليها . . ومضت فترة سكون . . سكون ثقيل ، كأنه جبل .

فمن الصعب إنسانيا أن تودع ملكا كان يملك الكل ويحكم كل شيء قبل أيام قليلة ، وكان من الممكن ان يعتقلنى ، أو يقتلنى . . أحسست أن هزيمة فاروق فى المباراة التى بدأت بيننا فى نادى الضباط ، كانت قاسية جدا . . وكان ثمنها غاليا . . انهيار السلطة . . والنفى بعيدا عن الوطن .

كانت مشاعرنا بالتأكيد فى هذه اللحظة متناقضة .

ومر الصمت الذى كان يسيطر علينا ويحكمنا ويربك أنفسنا ويجعل الكلمات عاجزة عن الحركة على شفاهنا ، وقلت له :

ـ أفندم . . أنت تعرف أننى كنت الضابط الوحيد الذى قدم استقالته فى عام ١٩٤٢ .

قال :

ـ نعم اتذكر .

قلت :

ـ لقد كنت خجولا للمعاملة التى لقاها الملك فى ذلك الوقت .

قال :

ـ أعلم !

قلت :

ـ كنا مخلصين للعرش فى عام ١٩٤٢ ولكن أشياء كثيرة تغيرت منذ ذلك الوقت .

قال :

ـ نعم أعرف أن أشياء كثيرة تغيرت .

قلت :

ـ أنت تعرف يافندم أنك السبب فيما فعلناه .

وجاءت اجابة فاروق محيرة جدا ، وشغلتنى طيلة حياتى . .

قال :

ـ أنتم سبقتونى بما فعلتموه ، فيما كنت أريد أن أفعله .

كنت مندهشا لهذا الرد . . ولم أجد شيئا أقوله له . . وقدمت له التحية ، كما فعل الآخرون ، وسلمنا بأيدينا على بعضنا البعض .

وقال فاروق :

ـ أرجو أن تعتنى بالجيش فهو جيش آبائى وأجدادى .

قلت :
ـ أعرف أن الكولونيل سليمان الفرنساوى هو الذى أسسه . . والجيش الآن فى يد أمينة .
ولاحظ فاروق أن جمال سالم يحمل عصاه وهو يقف أمامه فتوقف عن الحديث ، وأشار اليه قائلا :
ـ ارم عصاك .
وحاول جمال سالم أن يعترض لكنى منعته من ذلك ، فألقى عصاه ووقف بصورة تنم عن اللامبالاة .
وعاد الملك للحديث معى فقال :
ـ إن مهمتك صعبة جدا ، فليس من السهل حكم مصر
وكانت هذه آخر كلمات فاروق .
وأنتهى الوداع فى احترام ووقار ثم وقف الملك مع على ماهر وجيفرسون كافرى ، وقال :
ـ الان يجب أن أمشى .
ومشى فاروق دون أن يرجع .
وشعرت ان صفحة جديدة قد فتحت فى تاريخى وتاريخ مصر .
فى السادسة والنصف أذيع بيان تاريخى كان قد سجل بصوتى عن هذا الحدث . . قلت فيه :

« بنى وطنى . . اتماما للعمل الذى قام به جيشكم الباسل فى سبيل قضيتكم قمت فى الساعة التاسعة من صباح يوم السبت ٢٦ يوليو ١٩٥٢ الموافق ٤ من ذى القعدة ١٣٧١ بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وسلمته عريضة موجهة الى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل مطلبين على لسان الشعب :
« الأول : أن يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولى عهده قبل ظهر اليوم .
« الثانى : أن يغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة .

« وقد تفضل جلالته فوافق على المطلبين وتم التنفيذ فى المواعيد المحددة دون حدوث ما يعكر الصفو . وإن نجاحنا الى الأن فى قضية البلاد يعود الى تضافركم معنا بقلوبكم وتنفيذكم لتعليماتنا وأخلادكم الى الهدوء والسكينة وأنى أعلن أن

الفرح قد يفيض عن صدوركم لهذا النبأ غير أننى اتوسل اليكم أن تستمروا فى التزام الهدوء حتى نستطيع مواصلة السير بقضيتكم فى أمان ولى كبير الأمل فى أنكم ستلبون ندائى فى سبيل الوطن . وفقكم الله لما فيه خيركم ورفاهيتكم والسلام »

وعدت الى ثكنات مصطفى باشا ، وأنا لا أفكر سوى فى العبارة الأخيرة التى قالها فاروق :

ـ ليس من السهل حكم مصر .

ساعتها كنت اتصور أننا سنواجه كل ما نواجهه من صعوبات الحكم باللجوء الى الشعب لكننى الأن أدرك أن فاروق كان يعنى شيئا آخر . . لا أتصور أن أحدا من الذين حكموا مصر أدركوه ، وهو أن الجماهير التى ترفع الحاكم الى سابع سماء هى التى تنزل به الى سابع أرض . . لكن . . لا أحد يتعلم الدرس .

الفصل السادس

اللحظة الحرجة

- نجحت الثورة تماما يوم رحل الملك فاروق عن مصر .
- السنهورى وسليمان حافظ يصيغان وثيقة تنازل الملك عن العرش وجمال سالم يعدل عليها .
- فاروق وقع الوثيقة مرتين لأن يده كانت ترتعش .
- الملك السابق يتهمنا بالفساد والدموية والفاشية رغم أننا كنا كرماء معه حتى اللحظة الأخيرة .

لازلت حتى اليوم أعتبر رحيل الملك ، أهم عناصر نجاح الثورة ، التى اعتبرها أهم حادث وقع فى تاريخ مصر الحديث .

ان كل الذين كتبوا عن الثورة لم يعطوا رحيل الملك ، ولا تنازله عن العرش ، الاهتمام المناسب لاهمية مثل هذه الحوادث التاريخية .. حتى أن الأجيال الشابة التى لم تعش أحداث الثورة ، أحست أن ما فعلناه لم يكن يستحق كل ما يقال عنها .

ولأننى بطل هذه الأحداث .. ولأن ما يمكن أن أضيفه عنها سيعد إغراقا فى النرجسية ، فإننى سأخرج من خزانة وثائقى التى لازلت أحتفظ بها ، بعض الأوراق والمخطوطات النادرة ، التى كتبها شاهد عيان ، عاصر هذه الأحداث ، وعاش تلك الساعات . شاهد العيان هو سليمان حافظ ، وكيل مجلس الدولة ، ومستشار الرأى لرياسة مجلس الوزراء .. أما الأوراق التى بخط يده فهى ، فى الحقيقة ، ورقتين .. الأولى : صفحة من مذكراته .. والثانية : التقرير الرسمى الذى قدمه لرئيس الوزراء على ماهر عن تنازل فاروق عن العرش .

أترك لكم أوراق سليمان حافظ ، واسترح أنا قليلا :

فى صفحة مذكراته الخاصة يقول سليمان حافظ :

« اويت الى فراشى ليلة ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٢ وأنا مرهف الحواس ، أتوقع حدثا قبيل الفجر . ولم أكد أنم الى أن طلعت الشمس ، فساءلت نفسى ، هل كذبنى ذلك الشعور الخفى الذى تملكنى عندما غادرت معسكرات مصطفى باشا فى منتصف الليل بعد مقابلة طويلة مع القائد وضباطه ؟

« وساورنى قلق مبهم وأنا أرتدى ثيابى وأستعد للافطار بيد أنه لم يدم إلا قليلا إذ سمعت جلجلة الدبابات على طريق الكورنيش فى سبيلها الى قصر المنتزه ، وشاهدتها تسير على بعد ، فزال القلق وحل محله الهدوء الكامل . واسرعت بتناول لقيمات ثم انطلقت مسرعا الى دار الوزارة ببولكلى ومنها أبلغت بالتليفون ما رأيت الى الرئيس على ماهر بفندق سان استيفانو فوعدنى بالمجىء الى فورا .

وماكدت أستقر حتى تحدث بالتليفون من قصر رأس التين من أخبرنى ان الجيش يحاصر القصر وقد أخذ يطلق نيرانه عليه طالبا منى أن أبلغ ذلك الى رئيس مجلس الوزراء ، وفجأة انقطعت المحادثة . ثم تكرر هذا الحديث من السفارة الأمريكية

، فأبلغت فحوى الحديثين الى الرئيس وفهمت منه أنه سيقصد قصر رأس التين على الفور ثم يعود إلى .

وبعد دقائق وصل المستر سبارك من السفارة الأمريكية وأخبرنى فى لهجة يخالطها كثير من الانفعال أن الجيش يحاول اقتحام القصر بالقوة وأن ذلك ليس فى مصلحة أحد ، فأفهمته أننى لست من رجال السياسة بل اننى المستشار القانونى لرئيس الوزراء فيجدر به ان يستبقى حديثه له عن حضوره ودعوته الى تناول القهوة معى فأمسك عن الكلام مستنكرا ما بدا له من هدوء منى ظنه برودا ثم اجاب دعوتى .

« وجاء القائد لموعد سابق مع الرئيس فتقابلا على خلوة ، وعلى أثر ذلك عهد إلى الرئيس أن أعد وثيقة لنزول الملك عن العرش فاشتركت مع الدكتور السنهورى رئيس مجلس الدولة فى أعدادها .

وفى هذه الأثناء كان القائد قد عاد إلى دار الوزارة بصحبة قائد الجناح جمال سالم وبعد تعديل فى صيغة النزول ، طلب منى التوجه الى قصر رأس التين لتوقيعه من الملك السابق .

ولم أقبل ان يصاحبنى فى أداء هذه المهمة أحد من العسكريين تفاديا لاى أحتكاك يمكن أن يحصل بينه وبين فاروق ، بل وأصررت على الذهاب بمفردى .

وقد استقللت احدى سيارات حرس الوزارة منطلقا إلى غايتى وأنا أتأمل فى تصاريف القدر وعدالة السماء . وكيل مجلس الدولة ـ وهو الجهة التى يبغضها فاروق أشد البغض وعمل على تقويض أركانها الى آخر يوم من أيام ملكه ـ هو الذى يقع عليه أختيار القدر وتندبه عدالة السماء لاستيقاعه وثيقة النزول عن العرش .

ورأيت فى طريقى الى القصر مدافع الميدان مصوبة عند ثكنة خفر السواحل بالانفوشي ، الى القصر وهى على أهبة الضرب ، كما رأيت نطاقا من المدفعية والدبابات تحاصر ساحته الخارجية .

« وبعد أن اجتزت نطاق الحصار دخلت القصر فإذا به يبدو كالمهجور فيما عدا بضعة من جنود الحرس يحملون المدافع السريعة الطلقات مبعثرين فى مختلف أنحائه .

أما الضباط فقد رأيتهم محتشدين فى الصالة الخارجية لتلك الفيلا الأنيقة التى تم فيها نزول الملك السابق عن العرش وكانوا جميعا فى حالة وجوم وذهول .

وقد وقع فاروق الوثيقة على الصورة التى تناولها تقريرى المؤرخ ١١ أغسطس سنة ١٩٥٢ الى حضرة رئيس مجلس الوزراء وقد ضمنته تفصيلا دقيقا لما شاهدت وسمعت فى ذلك اليوم المأثور .

« ولم يبق الا ان أسجل هنا حادثة بسيطة فى ذاتها ، خطيرة الدلالة لمن يتأمل فيها وقد أثرت فى نفسى أبلغ تأثير .

ذلك أننى عدت الى معسكرات مصطفى باشا لابلاغ القائد نتيجة مهمته ، شاركته وضباطه طعام الغداء فى عصر ذلك اليوم وهو غداء لن أنساه ما حييت ، جلس اليه ستة أو سبعة رجال يقتسمون رغيفاً صغيرا من الخبز الأفرنكى وسلطانية صغيرة من اللبن الزبادى ، وقبل ان يفرغوا منه أرسل الله اليهم بفتى من الضباط يحمل سمكة مشوية ورغيفين صغيرين أو ثلاثة من الخبز البلدى حمد الجميع الله على نعمة الشبع بعد جوع .

« أما أنا فأحمده سبحانه وتعالى على نعمة هى من أعظم ما أنعم به على ، اذا أرانى فى آخريات حياتى ما لم أكن أطمع أن أعيش لأراه ومكننى من ان أسهم بجهدى القليل فى ثورة مباركة » .

أما تقريره الرسمى عن تنازل فاروق فكان نصه :

« القاهرة فى ١١ أغسطس سنة ١٩٥٢

حضرة الرئيس على ماهر رئيس مجلس الوزراء

طلبتم منى تقريرا مفصلا عن المهمة التى كلفتونى بها فى خصوص تنازل الملك السابق عن العرش والى سيادتكم هذا التقرير مراعى فيه الدقة بقدر المستطاع .

فى ضحى السبت ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ وفى مصيف الوزارة ببوكلى عهدتم الى بصياغة وثيقة تنازل الملك فاروق عن العرش فأثرت ألا أنفرد بهذا الأمر واشتركت مع حضرة الدكتور السنهورى رئيس مجلس الدولة فى إعدادها .

وكنا بين أن تصاغ فى صورة كتاب من الملك الى رئيس الوزراء أو فى صورة كتاب ملكى فأثرت الأخرى واستلهمنا أسباب الأمر من مقدمة الدستور ثم عرضنا المشروع عليكم بحضور اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة والبكباشى جمال سالم من سلاح الطيران الملكى وبعد مناقشة وتعديل قليل بناء على طلبهما أقررتم المشروع وأمرتم بنسخه على الورق المعد للمراسيم . وطلبتم منى

التوجه الى قصر رأس التين لتوقيع الأمر من الملك وقد وعد القائد العام بالاتصال بالقوة التى تحاصر القصر للسماح لى بدخوله .

وقد طلب البكباشى جمال سالم أن يكون فى صحبتى ضابط من القيادة العامة يحضر التوقيع ، فصرفناه عن ذلك واستقللت سيارة من حرس الوزارة منفردا الى قصر رأس التين . وفى طريقى اليه شاهدت بطارية من مدفعية الميدان الثقيلة أمام ثكنة خفر السواحل بالانفوشى مصوبة مدافعها الى القصر وعلى استعداد تام للعمل وعند وصولى الى ساحته الخارجية رأيت نطاقا من مدافع الميدان والدبابات المسلحة والمدافع الرشاشة مضروبا على الساحة . وطلب منى الملازم المنوط بهذا الموقع أن أستحضر له من القيادة العامة اذنا مكتوبا بالمرور فأبلغته أنى فى مهمة يعلمها القائد العام للقوات المسلحة وأنه كان قد وعد باصدار هذا الأذن اليه مباشرة وكلفته بالاتصال به تليفونيا فى هذا الشأن فقصد الضابط الى قائد القوة المحاصرة وظللت حوالى ثلث ساعة حتى جاء البكباشى أنور السادات فى عربة چيب فأمر بافساح الطريق لى معتذرا من عدم وصول أوامر القيادة الى القوة المحاصرة لعطل مفاجىء فى آلة اللاسلكى وتبعنى بعربته الى الباب الخارجى للقصر وكان مقفلا ثم انصرف .

طرق سائق السيارة التى كنت اركبها الباب فانفتح جزئيا واطل منه حارس طلب منى أن أترك السيارة فى الخارج واستصحبنى الى ضابط فى مبنى للحراسة الى جانب الباب ، كلفته ان يبلغ الأميرالاى احمد كامل حضورى ، وبعد قليل قادنى أحد الحراس الى فيلا أنيقة فى الجهة الغربية من الديوان الملكى ، علمت من سيادتكم ، فيما بعد انها مخبأ للوقاية من الغارات الجوية كان قد اعد فى قصر رأس التين أثناء الحرب العالمية الثانية ولاحظت أثناء ذلك ان القصر يبدو مهجورا فيما عدا بضعة حراس مسلحين بالبنادق السريعة الطلقات .

وعلى باب الفيلا استقبلنى سيد يرتدى الملابس المدنية قال انه الأميرلاى أحمد كامل وادخلنى الى صالة فسيحة مستديرة فى وسطها منضدة كبيرة من الرخام الاسود المموه باللون الأبيض ، وفى محيط الصالة مقاعد كبيرة تتخللها آخرى صغيرة وإلى يمين الداخل اليها طرقة عريضة ، فاجلسنى على أحد المقاعد الكبيرة وغاب داخل الطرقة برهة

ثم عاد الى بعد قليل وأخبرنى ان الملك قادم لمقابلتى ، ثم عاد ليغادر الحجرة لبرهة أخرى ، وجاء ليقول ما محصلتة أن لملك له أمنيه يريح خاطره ان تتحقق ،

فقد أعتقل رجال الجيش بوللى والاميرالاى محمد حلمى حسين عند خروجها من القصر صباح ذلك اليوم وبوللى عزيز على الملك اذ يلازمه منذ الطفولة وهو سيسر فى هذا الظرف العصيب اذا أمكن بتوسطى ان يسمح لبوللى بالرحيل معه اليوم لغير رجعة وكذلك الأمير الاى محمد حلمى حسين لوكان هذا مستطاعا والا فيكفى الافراج عن بوللى ، وتحدث فى هذا الشأن طويلا فكنت أعده أن أتوسط فى ذلك .

ومر حوالى ربع ساعة وأنا جالس فى مكانى ، والى جانب الطرقة اجتمع بعض الضباط وبينهم قليل ممن ظننتهم من المدنيين وعلمت فيما بعد انهم من ضباط الحرس الخاص ، ثم خرج الملك من الطرقة وهو يرتدى اللباس الصيفى لادميرال فى البحرية ، وقصد المنضدة التى فى وسط الصالة فنهضت عند رؤيته وقصدتها كذلك حتى التقينا فى جانب منها فصافحنى وأخرجت وثيقة التنازل من غلافها وقدمتها له فتناولها سائلا عما اذا كانت محكمة الوضع من الناحية القانونية ، فقلت : نعم والقى عليها نظرة عاجلة ثم سألنى عن أسباب النزول عن العرش فقلت أننا استلهمناها من مقدمة الدستور . وكان الملك يبدو هادئا لكننى لاحظت من سرعة خطواته ومن سعلات قصيرة سريعة كانت تنتابه عند مجيئه انه كان فى حالة انفعال عصبى يعمل جهده للسيطرة عليه .

وعاد الى قراءة الوثيقة مرة ثم تناول قلما من جيبه وقرأها مرة أخرى كلمة فكلمة وقال : الا يمكن أضافة كلمة « واراد تنا » بعد عبارة « ونزولا على ارادة الشعب » قلت لقد وضعنا نزولكم عن العرش فى صورة أمر ملكى قال تريد أن تقول أن الأمر الملكى ينطوى على هذا المعنى ، قلت : نعم ، قال : فليس اذن ما يمنع من أضافة تلك الكلمة ، فقلت : أننا لم نصل الى الصيغة المعروضة عليه الابصعوبة ، قال فى اهتمام : اذن فقد كانوا يريدون منى ان اوقع ورقة آخرى ، قل لى يابيك ماذا فيها، قلت لم أطلع عليها . قال : أنت تمسك عن ذكر ما فيها حتى لا يجرح شعورى لكننى أعدك الا أتأثر مما أسمع ، فاكدت له بشرفى أننى لم أطلع عليها ، فوقع الأمر الملكى ، ثم قال : لعلك تقدر الظروف فتلتمس لى العذر فى ان التوقيع لم يكن كما اود ولذا سأوقع مرة آخرى ، ثم وقع فى اعلا الوثيقة ، وهنا اعتذرت من عدم امكانى الحضور بغير الملابس البيضاء التى كنت ارتديها وحاولت ان اهون عليه الامر مشيرا الى قضاء الله والرضاء به فقال لابأس

لابأس ، بلهجة فيها من الأسى والاسف بقدر مافيها من حزن لاح على وجهه وقتئذ .

واقترب الاميرالاى احمد كامل منا وقال للملك على مسمع منى انه حدثنى فى شأن بوللى والاميرالاى أحمد على حسين فكرر الملك الرغبة فى الأفراج عنهما باهتمام شديد كان من أثره أننى وعدته بالسعى لدى سيادتكم ولدى القائد العام لتحقيق رغبته .

« وسألته : هل من رغبة أخرى ، فقال : إن لديه فى الخارج من المال ما يكفيه ليعيش عيشة . بسيطة ولكنه يرجو لو بقيت أمواله فى المملكة المصرية على حالها حتى تؤول بالميراث الى أولاده فإن تعذر ذلك فإنه يود أن توزع عليهم من الآن بنسبة حصصهم الميراثية فوعدته كذلك بالعمل بقدر المستطاع على تحقيق هذه الرغبة . .

ثم صافحنى وعاد الى الطرقة التى قدم منها واتجهت أنا نحو باب الصالة الخارجى وقبل وصولى اليه أحسست بوقع أقدامه راجعا فوقفت عسى أن يكون يريد ابلاغى فى رغبة اخرى ، والتفت الى جهته فوجدته يحدث أحد ضباطه فانصرفت عائدا الى رياسة مجلس الوزراء وسلمتكم الأمر الملكى موقعا من الملك السابق وأبلغتكم رغبته فى خصوص بوللى ومحمد حلمى حسين فأبديتم أنها عسيرة التحقيق إذ أن رجال الجيش لن يسلموا بهما .

لكنى ذهبت الى القيادة العامة برا بوعدى وحادثت القائد العام والموجودين من ضباطه فى رغبة الملك هذه فاعتذروا من عدم امكانهم اجابة هذه الرغبة

أما الرغبة الأخرى فأظن أنها تحققت بالمرسوم بقانون رقم ١٣٦ لسنة ١٩٥٢ فى شأن الحراسة على أموال الملك السابق .

وتفضلوا بقبول عظيم احترامى .

وكيل مجلس الدولة
ومستشار الرأى لرياسة مجلس الوزراء
وديوانى المحاسبة والموظفين
سليمان حافظ

وبمناسبة رحيل الملك فاروق أيضا ، أريد أن أضيف الى الوثيقتين السابقتين ، وثيقة ثالثة . . كتبتها بخط يدى ، فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٢ ، لأرد فيها على ما قاله الملك فاروق من مغالطات لصحافة العالم ، وهو يروى لها قصة خروجه من مصر .

وقد تحولت هذه الوثيقة الى بيان اذيع فى نفس اليوم الذى كتبتها فيه . . قالت الوثيقة ـ البيان :

« كنت أربأ بالملك السابق وقد اعتز بماضيه الذى لايحسد عليه أن ينزل الى مستوى المتهم الذى لم يجد أمامه سوى ان يقول أى شيء خشية اتهامه بالرضى والسكوت عن مخاز يخجل لها هذا الماضى حياء وتأدبا .

« يقول صاحب الجلالة السابق أنه يتكلم لصالح المخلصين الطيبين الذين ماتوا وسيموتون دفاعا عنه ، ونسى ان العالم كله قد بهره نجاح حركتنا بدون أن تزهق روح لبرىء كأحد هؤلاء الأبرياء الذين كان يأمر هو باغتيالهم غدرا وافتئاتا اذا ما احس أنهم يأبون ان يكونوا من العبيد ، أما الذين اعتقلهم الجيش فهؤلاء لا ينتظرون الموت كما يقول ولكنهم ينتظرون أن تقول العدالة كلمتها فى تصرفاتهم السابقة وهؤلاء جميعا ـ ومنهم بطانته ذاتها وحاشيته ـ ليس بينهم واحد يذكر فاروق بالخير فكلهم يلعنونه ويلعنون الظروف التى جمعتهم به .

وانى لأعجب لتمسك فاروق بحبه لمبدأ حظر الحريات فيظن أننا سنمنع نشر قصته هذه فى مصر وكنت أتمنى أن يكون دفاعه دفاعا لا يزيده اتهاما ولكننا لم نمنع نشر القصة ، فنشرتها الصحف لكى تكتمل أمام عيون الشعب تلك الصورة البشعة لذلك الماضى الذى حطمه الشعب بيده وبإرادته ممثلا فى جيشنا الحر الأمين .

ولعل أحدا لم ينس كيف كان فاروق يمنع صحف العالم من دخول مصر خشية أن يعلم الشعب أنباء الفضائح والمخازى التى كان يرتكبها والتى أساءت الى مصر فكان العالم كله يعلمها والشعب لا يعلم إلا فئة آلت على نفسها ألا تسمح بنور المعرفة يصل الى أعين الشعب .

أما اليوم فليطمئن على الحريات التى لم تكن فى الماضى ممنوعة الا لمعاول الهدم الاجتماعى وشياطين الفساد الخلقى الذين يصلى الان من أجلهم كما كان يصلى لموائد الميسر والشراب فى شهر رمضان يوم كان ملكا لأمة اسلامية لها مكانتها المرموقة بين شقيقاتها فى العروبة والدين ، فأولئك الذين يصلى الآن من أجلهم

ليسوا فى حاجة الى هذه الصلاة لأن مصر كلها تصلى من أجل رجولتهم التى قدموها قربانا على مذبح شهواته وجبروته ونسوا أن الوطن ابقى من الأشخاص فاشتروا الضلالة بالهدى ولذلك كانوا عنده فى مقام المخلصين الذين يتحتم عليه حمايتهم والدفاع عنهم ونسى أن العدالة الآن ـ بعد أن زال هو من أمامها ـ قد وجدت طريقها حرا منيرا الى كل مظلوم ، فأفرجنا عن المعتقلين الذين كان يرمى بهم خلف القضبان ويأمر بارتكاب أبشع أنواع التعذيب البدنى والأدبى معهم ومع ذويهم الأبرياء .

« وأعود فأربأ بفاروق أن ينزل الى ميدان الاستجداء السياسى فيتملق دول الغرب بفرية يظنها سترضيهم ، ويصف حركتنا بأنها شيوعية ، ونسى أن ساسة الدول وحتى أبواق أذنابه لم تجد فى حركتنا سوى روحا نموذجية من الوطنية المخلصة .

وأختلط الأمر من هول الواقع على فاروق فوصف رجالى بأنهم من الأخوان المسلمين وهم براء من أى لون سياسى خاص ، كما نسى ان العداء معروف بين الشيوعية .والاسلام وبالتالى يصبح من غير المعقول أن يصدق العالم أن سفارة روسيا تمدنا بالأموال . إننا لسنا فى حاجة الى تلك الأموال مادمنا أغنياء بثروة الايمان بحقوق الشعب .

أما الخوف من حرب كورية ثانية فى مصر فأنى اشفق على خوفه هذا بالسياسة التى تتبعها حكومتى وهى توفير الحياة الكريمة لكل مواطن صالح بدلا من ترك الشعب على أبواب السفارة الروسية كما يقول الملك السابق كذبا . وهذا للأسف اعتراف منه بسوء الحالة التى وصلت اليها رعيته تحت ظل عهده الاقطاعى الذى كان يدفع الجماهير دفعا الى الشيوعية فجاءت ثورتنا لاقرار مبادىء الديمقراطية الصحيحة وهى هدفنا الذى قررنا أن نصل اليه بهذه الأمة التى زال عن صدرها كابوس الحكم الاستبدادى الذى كان يتستر خلف دستور لم يحترمه مطلقا .

« ومما يدهش أيضا أنه يدعى ان رجال الحرس دافعوا عنه مع أن الواقع انهم انضموا الى قوات الجيش التى كانت تطوق قصره لحراسته خوفا من بطش الجماهير ، أما الدبابات فلم تخرج من ثكناتها الا بعد وصوله الى قصر رأس التين كما لم يصدر أى قرار بحظر التجول ومن عجب أن يلجأ فاروق الى اختلاق وقائع تدل على تفاهة الخيال ثم ينسبها الى الضباط الأحرار فيقول أنهم قتلوا كلاب بناته وفقأوا عين المهرة ، وقد وصف الضباط الذين قاموا بالحركة بأنهم فئة قليلة من

رتب صغيرة تطمع فى الترقى مع أن العالم كله يشهد أنه لم يرق ضابط من ضباط القيادة الى رتبة أعلى من بدء الحركة حتى الأن فانكار الذات دستورنا .

وقد كنا كراما فى معاملته وتوديعه حتى آخر لحظة غادر فيها البلاد والسفير الأمريكى نفسه قد شهد هذا الموقف المشرف لرجال يقدرون الواجب عندما يطالبون بالحقوق .

ولما كنا فى شغل بما هو أجدى وأهم من تتبع كل قصة خيالية ينشرها فاروق استجداء لعواطف الدول فاننا من أجل الصالح العام سوف نجعل صالح أعمالنا خير رد على قصة كاذبة لأن مصر الآن أولى بأوقاتنا لنوفر لها حياة حرة كريمة فى نظام ديمقراطى سليم بدلا من الاهتمام بالرد على الاكاذيب التى تكذب نفسها بنفسها .

« والله ولى التوفيق .

الرئيس اللواء (أ . ح)
محمد نجيب

الفصل السابع

مابعد الانقلاب

- ما حدث فى ليلة ٢٣ يوليو هل هو ثورة أم انقلاب ؟
- أول مهمة لى فى القاهرة كانت زيارة الرتب التى اعتقلناها فى الكلية الحربية .
- أراد رشاد مهنا أن يصبح ملكا فتخلصنا منه فورا .
- اخترق العسكريون كل المجالات وصبغوا الحياة المدنية باللون الكاكى .
- كان أجر الفلاح أقل من تكلفة اطعام الحمار فى اليوم الواحد .
- فى مشروع الاصلاح الزراعى كسبت السياسة وخسرت الزراعة .
- الأزمة الأولى بين الثورة والاخوان سببها رفضهم الوزارة العسكرية .

قبل أن أسترسل فى رواية ما حدث بعد خروج الملك فاروق من مصر ، أريد أن أحسم قضية هامة لاتزال تثير الحوار والجدل ، كلما جاءت سيرة ما فعلناه فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

هل ما فعلناه فى تلك الليلة ثورة أم انقلاب ؟

إن من يؤيدنا ويتحمس لنا ، يقول :

- ثورة !

وكأنه يكرمنا .

ومن يعارضنا ويرفض ما فعلناه يقول :

- إنقلاب !

وكأنه يحط منا .

وفى الحالتين لايجوز ان نأخذ بمثل هذه الانفعالات العاطفية .

وأنا لن أدخل فى مناقشات ومتاهات التعريفات والمصطلحات الاكاديمية حول الثورة والانقلاب . . ولن أتوه فى صحارى الخلافات النظرية . . لكننى سأقول رأيى فيما عشته ، وفيما رأيته ، وفيما صنعته .

ان تحركنا ليلة ٢٣ يوليو ، والاستيلاء على مبنى القيادة كان فى عرفنا جميعا إنقلابا . . وكان لفظ انقلاب هو اللفظ المستخدم فيما بيننا . . ولم يكن اللفظ ليفزعنا لأنه كان يعبر عن أمر واقع . . وكان لفظ الانقلاب هو اللفظ المستخدم فى المفاوضات والاتصالات الأولى بينى وبين رجال الحكومة ورئيسها للعودة الى الثكنات . .

ثم . . عندما اردنا ان نخاطب الشعب ، وان نكسبه الى صفوفنا ، او على الاقل نجعله لايقف ضدنا ، استخدمنا لفظ الحركة . . وهو لفظ مهذب وناعم لكلمة انقلاب . . وهو فى نفس الوقت لفظ مائع ومطاط ليس له مثيل ولا معنى واضح فى قواميس المصطلحات السياسية . . وعندما أحسسنا أن الجماهير تؤيدنا وتشجعنا وتهتف بحياتنا ، اضفنا لكلمة الحركة صفة المباركة ، وبدأنا فى البيانات والخطب والتصريحات الصحفية نقول :

- حركة الجيش المباركة .

وبدأت الجماهير تخرج الى الشوارع لتعبر عن فرحتها بالحركة . . وبدأت

برقيات التأييد تصل الينا والى الصحف والاذاعة ، فأحس البعض ان عنصر الجماهير الذى ينقص الانقلاب ليصبح ثورة قد توافر الان ، فبدأنا احيانا فى استخدام تعبير الثورة ، الى جانب تعبيرى : الانقلاب والحركة .

على انني اعتبر ماحدث ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ انقلابا . . وظل على هذا النحو حتى قامت فى مصر التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فتحول الانقلاب الى ثورة .

تحول الانقلاب الى ثورة من ساعة ان وضعنا عيوننا على الشعب قبل الجيش . . وعلى الصغير قبل الكبير .

وهذا ما كنت احلم به ، والجماهير تكاد تحمل سيارتى ، التى تنقلنى من راس التين ، بعد وداع الملك ، الى ثكنات الجيش فى مصطفى باشا . .

وكان اول مافكرت فيه فى تلك اللحظات التاريخية . الجنود الذين قتلوا ، واصيبوا من ليلة الثورة الى ليلة خروج الملك

فساعة ان اقتحم البكباشى يوسف صديق مبنى القيادة ، فوجىء بمن يطلق عليه النار . . وبعد ربع ساعة من الاشتباك ، اصيب احد رجاله ، وهو الاومباشى عبدالحليم محمد احمد ، من منقباد - اسيوط ، وقتل فى الحال .

وفى أثناء صعود يوسف صديق الى الدور العلوى ، صوب مكتب حسين فريد ، اعترضه الاومباشى عطية السيد دراج من نهطاى - الغربية ، فأطلق عليه يوسف صديق النار ، فأصابه اصابة قاتلة .

وفى الاشتباكات التى وقعت صباح اليوم بين قواتنا وقوات الحرس الملكى ، جرح ستة من جنود الحرس الملكى . . وكان من الممكن ان يكون عدد المصابين اكبر لولا حكمة الضابط الذى أصدر أوامره بوقف اطلاق النار واعتقد ان دماء الجنود الستة الذين اصيبوا جعلت الملك يشعر بعدم جدوى المقاومة . . وبالخوف من الحرب الاهلية . . وكانت أحد أسباب الاسراع بتنازله عن العرش .

فكرت فى اولئك الجنود . . وامرت بإرسال الحلوى لهم مع بطاقة خاصة منى ، تحمل لهم امنيات الشفاء . . وامرت بصرف مبلغ عاجل كأعانة لاسرتى الجنديين القتيلين .

كان على ان اعطى كل انسان حقه . . حقه المادى ، وحقه المعنوى . وكانت هذه أنسب ساعة لذلك . . الساعة الثامنة من مساء ٢٦ يوليو ١٩٥٢ . . بعد خروج الملك بساعتين .

فى تلك الساعة ألقيت بيانا فى الاذاعة ، قلت فيه :

« بنى وطنى . .

« ان ما ينسب الى من عمل مجيد ان هو فى الحقيقة الا مجهود وتضحيات لرجال الجيش البواسل من جنود وضباط ، لم يكن لى الا شرف قيادتهم . . وان هذا العمل الذى قمنا به ما هو الا استمرار لجهاد مصر المقدس من عشرات السنين ، وقد ساهم فيه المصريون على اختلاف درجاتهم ، فان كان لنا اليوم ان نفخر بما نفخر به الآن فإنما نفخر بأبناء هذا الوادى الذين ساهموا فى حركتنا ، بقلوبهم وبأرواحهم . . ولا يفوتنى ان اقر بمزيد الشكر والاعجاب ذلك المجهود الرائع الذى قام به رفعة على ماهر فى اللحظات الحرجة التى تقرر فيها مصير الوطن .

وقد امر جلالة الملك فاروق عندما طلب الجيش إسناد منصب القيادة العامة الى بأن ينعم على برتبة الفريق ، بدرجة الوزير فلم أعلن رفضها حتى لا يعرقل غرضا أسمى وهو تنازل الملك عن العرش .

والآن وقد انتهت الأمور فإنى اعلن تنازلى عن هذة الرتبة قانعا برتبة اللواء ، مراعاة لحالة الدولة المالية ، وكفانى ما أسبغه على زملائى من شرف قيادتهم وما أسبغته على الأمة من ثقة وتكريم

وبهذا انتهت مأموريتى فى الأسكندرية .

وظهر اليوم التالى ، عدنا الى القاهرة . .

وعادت معنا الحكومة من المصيف . . بعد أن كانت تضيع الوقت والمال هناك . . على حساب أموال الدولة .

وأخلينا مبنى الحكومة فى بولكلى وأعطى للجامعة التى سميت باسم جامعة الأسكندرية ، بعد ان كانت تسمى بجامعة فاروق . . تماما كما غيرنا اسم جامعة فؤاد الى جامعة القاهرة .

فى القاهرة ، قبضنا على كل حاشية وأتباع الملك . . ومنهم حسين سرى عامر الذى قبض عليه اثناء هروبه فى عربة مسروقة الى ليبيا . . ومنهم كريم ثابت . . . وعباس حليم . . وغيرهم .

وفى القاهرة ، زرت فى نفس يوم وصولى اليها ، معسكر الاعتقال بالكلية الحربية ، وقابلت زملائى القدامى من لواءات الجيش ، لأطمئن على حالتهم . . وبعد أن أمضيت نصف ساعة من المرح معهم ، قلت لهم :

ـ لا أحد سيصيبه أى ضرر أبدا إلا إذا كان هناك مبرر قانونى لذلك . . لقد

تحفظنا عليكم من أجل سلامتكم وسلامة الحركة فى نفس الوقت .
وأمرت الحرس أن يعاملوهم بالذوق وان يقدموا لهم ما يحتاجون إليه ، وان لا ينسوا انهم كانو قادتهم .
وقررت الإفراج عن بعضهم فى نفس اليوم ..
وقد افرج عنهم جميعا ، بعد ذلك ، ماعدا ثلاثة ..
كذلك افرج عن ٢٦٤ شخصا من الذين قبض عليهم اثناء حريق القاهرة ، واصدرنا عفوا شاملا عن المساجين السياسيين ، الذين اتهموا فى قضايا قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بما فيهم الشيوعيين ..

أردنا أن نبدأ حياة جديدة .. نعطى فيها الفرصة لكل سجين سياسى لكى يعيشها معنا ، دون اضطهاد أو قهر سياسى .. كان هذا احد أحلامى ، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .. فقد اعتقلت الثورة ، ألفا مقابل كل فرد أفرجت عنه .. وهذه على كل حال قصة أخرى .. قصة كنت انا شخصيا واحدا من أشهر أبطالها ومن أشهر ضحاياها .

كانت الأيام الأولى التالية لطرد فاروق أياما تزدحم بالمقابلات واللقاءات والاجتماعات بيننا وبين الزعماء والسياسيين وكبار رجال الدولة .
وفى تلك الأيام قابلت مصطفى النحاس باشا ..
كان ذلك فى الساعة الثانية من صباح ٢٨ يوليو .. فى مقر القيادة العامة .. وكان معه فؤاد سراج الدين .. وكانا قد وصلا لتوهما من اوروبا حيث كان يستشفيان .. ومرا على وهما فى طريقهما من المطار الى البيت .

كنت قد آويت إلى سريرى السفرى الذى فرشته فى مكتبى .. فقمت وارتديت ملابسى .. وطلبت من الاعضاء الموجودين ان يحضروا المقابلة .. ورحبت بهما .. وتبادلنا عبارات المجاملة .. ولم نتحدث فى اى شى لانهما فضلا العودة للمنزل .. وعلى الباب وانا اودعهما قال مصطفى النحاس :
- انى اؤيدك وادعو الله ان ينصرك ويوفقك على الدوام .
وظللت طوال الايام التالية استقبل وفود المهنئين من جميع الهيئات والطوائف والطبقات .

وفى تلك الأيام اجتمع ضباط القيادة بكاملهم ، لأول مرة ، تحت رئاستى .. وأصبح عبدالناصر مديرا لمكتبى .

ويشهد الله ، أننى أزلت حاجز العمر والرتبة والخبرة ، بينى وبين الضباط فى مجلس القيادة ، وأزلت كل الحساسيات بينى وبينهم ، وكنت اناقشهم فى كل صغيرة وكبيرة ، واستشيرهم فيما يعرض على من امور وفيها نفكر فى اتخاذه من قرارات .

فى ٣٠ يوليو ألغيت الألقاب الرسمية . . من بك الى باشا . . ومن صاحب السعادة . . إلى صاحب السمو وهذه الالقاب هى فى الأصل ألقابا تركية . . وكانت تمنح ولا تورث . . وكانت منحة من الملك . . وغالبا ما كانت تمنح لمن لا يستحقها مثل سائق الملك محمد حلمى حسين ، الذى كانوا يقولون له : محمد بك .

لكن . . إلغاء هذه الألقاب بقرار حكومى لا يكفى . . فالناس تعودت عليها . . ولابد من ابتكار القابا بديلة لها . .

كان من السهل اختيار لقب بديل للقب مستر . . اخترنا كلمة حضرتك لكنها لم تكن ملائمة للمصريين . . فاستقر الرأى على لقب السيد .

واعترف اننا نجحنا فى الغاء لقب باشا من حياتنا ، ولم تعد هذه الكلمة تستخدم فى الشارع المصرى للاحترام انما للسخرية . . لكننى اكتشفت فى الأيام الأخيرة وفى عصر المليونيرات الجدد فى السبعينات ، ان هناك محاولة لإعادة الاحترام لهذا اللقب . . وفى نفس الوقت لا أتصور اننا نجحنا فى التخلص من كلمة بك واصبحت الكلمة هى اشهر لقب فى حياتنا حتى الان ، سواء كنا نعنيه او لا نعنيه .

وفى ذلك الوقت كان أديب الشيشكلى يحكم سوريا ، هو ومجموعة من الضباط ، وكان علينا أن نختار ضابطا عظيما ليمثل حكومتنا هناك . . فأخترنا على نجيب لهذه المهمة . . وقد وافقت على ذلك بناء على طلب الآخرين . . ودون اى اضافات فى مرتبه .

كان على مؤهلا جدا لهذه الوظيفة . . فقد خدم لمدة ١٠ سنوات فى السودان كسكرتير للحاكم العسكرى الانجليزى هناك .

وتصورت ان هذا الاختيار سيفتح النيران على . . لكن . . هذا لم يحدث . . فلا أحد حاول الطعن فى كفاءة على نجيب . لكن . . ما أن مر هذا القرار على خير ، حتى فوجئت بشقيقتى نجية تأتى لى ومعها أوراق منحة حصلت عليها

لدراسة الطب فى الولايات المتحدة وعرفت منها ان شقيقى الأصغر محمود حصل هو الآخر على منحة أخرى لتكملة دراسة الطب البيطرى فى انجلترا . . وفزعت من هذه الأخبار . .

وحاولت جهدى لمنعهما من قبول هذه المنح . .

فبالرغم من ثقتى انهما يستحقانها ، الا اننى كنت اعرف اننى وهما سنتعرض للنقد الشديد ، إذا قبلا المنحتين .

وقد نجحت فى اقناع نجية برفض المنحة ، وقررت ان تبقى فى القاهرة ، وتتزوج . . ولكنى فشلت مع محمود، الذى أصر على أن يكمل دراسة الدكتوراة ، فى الطب البيطرى من مدرسة جابى ميديكل بلندن . . فأصدرت قراراً بمنعه من استخدام المنحة ، فرفع قضية ضد وزارة التربية والتعليم ، وكسبها ، وسافر فعلا .

كانت مشكلة محمودونجية هى اول مشكلة خاصة اقابلها بعد نجاح الثورة .

اما اول مشكلة عامة اقابلها بعد نجاح الثورة ، فكانت مشكلة الوصاية على العرش .

لقد تنازل الملك فاروق عن العرش لابنه الأمير أحمد فؤاد الثانى . . ولم يكن ممكنا أن يحكم مصر طفل طرد أبوه الى المنفى . . فماذا نفعل فى هذا الوضع ؟ معظم اعضاء مجلس القيادة طالبوا بأقامة الجمهورية . . لكننى اقنعتهم ان التحضير للجمهورية التى ستحل محل الملكية يحتاج الى وقت .

وكان من رأى الاخوان المسلمين إسقاط الملكية وإعلان الخلافة الأسلامية فوراً .

وكان من رأيى تشكيل مجلس الوصاية على العرش .

ووافق الجميع .

لكن . . كانت هناك عقبة دستورية كبيرة أمام تشكيل هذا المجلس . . فالدستور ينص (مادة ٥١) على ألا يتولى أوصياء العرش عملهم إلا بعد أن يؤدوا أمام مجلس النواب والشيوخ مجتمعين اليمين الذى يؤديها الملك امامها قبل مباشرة سلطته الدستورية .

وللملك حسب ، أحكام الأمر الملكى رقم ٢٣ لعام ١٩٢٢ اختيار هؤلاء الأوصياء على أن يقر المجلسان اختيارهم .

والدستور ينص (مادة ٥٢) على انه عند وفاة الملك يجتمع البرلمان بحكم القانون خلال عشرة ايام من الوفاة ، فإن كان المجلس منحلا وكان الموعد المعين لاجتماعة بعد انتخاب اعضائه يجاوز اليوم العاشر وجب ان يعود المجلس المنحل للعمل حتى يجتمع المجلس الذى يخلفه .

والدستور ينص (مادة ٥٥) على ان يتولى مجلس الوزراء بصفة مؤقتة ، سلطات الملك الدستورية حتى يؤدى أوصياء العرش اليمين أمام البرلمان .

على أنه رغم كل هذه النصوص ، فإن الدستور لم يذكر لنا أى شيء عن حالتنا التى نحن فيها الآن . . حالة ملك معزول . . تنازل عن عرشه لابنه الطفل

هل ننفذ نصوص الدستور التى ذكرتها على هذه الحالة .

أم أن الثورة تجب كل شيء ؟

وحدث جدل دستورى ومناقشات لانهاية لها حول هذة النقطة ، غير ان الرأى السائد لدى الفقهاء الرسميين وغيرهم ان الدستور مازال قائما رغم استبدال ملك بملك ، ورغم عنصر القهر الذى لازم ذلك التغيير لشخص الجالس على العرش .

لم أتدخل ، رغم دراستى القانونية العليا ، فى هذا الموضوع وتركته لاهل القانون حتى قالوا لنا هذا الكلام .

وبهذه الفتوى ، كان امامنا ثمانية أيام قبل أن تنتهى المدة الدستورية . . وكان مفروضا أن يدعى البرلمان الأخير ، المنحل ، وكان برلمانا وفديا للانعقاد ، قبل هذه المدة .

وتوقعت أن يصل مجلس الدولة الى هذه النتيجة . . وتوقعت أن يلتزم مجلس الدولة بالدستور . . لكن . . للأسف لم يحدث .

ففى أول أغسطس أصدر مجلس الدولة قرارا لم يوافق عليه الدكتور وحيد رافت فقط ـ ينص على عدم جواز دعوى مجلس النواب المنحل

فى حالة نزول الملك عن العرش ، ويجب اجراء انتخابات جديدة .

وخرجنا من حفرة لنقع فى حفرة اخرى . . .

وهنا قال مجلس الدولة (ماعدا د. وحيد رأفت) :

ـ طالما ان الانتخابات ستأخذ وقتا غير قصير ، فالحل يمكن ان يكون فى ايجاد نظام للوصاية المؤقتة ، وهذا يستدعى اضافة الى الأمر الملكى رقم ٥٢ لسنة ١٩٢٣ ، تنص على انه فى حالة نزول الملك عن العرش وانتقال وصاية الملك الى خلف

قاصر يجور لمجلس الوزراء ، إذا كان مجلس النواب منحلا ، أن يؤلف هيئة للعرش من ثلاثة تتولى بعد حلف اليمين أمام مجلس الوزراء سلطة الملك إلى أن تتولاها هيئة الوصاية الدائمة .

ولا أعرف ماذا دفع مجلس الدولة لإستصدار هذه الفتوى ؟

هل هو الخوف من الضباط ؟

هل هى محاولة من البعض لتقديم خدماته إلى السلطة حتى ولو كان الدستور هو الثمن ؟

لا أعرف بالضبط . .

كل ما أستطيع أن أجزم به أنى لم أكن مستريحا لصحة هذه الفتوى ، وكنت أميل الى رأى د . وحيد رأفت ، لكن ماذا أفعل ، وماذا أقول ، أمام أغلبية قانونية فى مجلس الدولة أيدت هذه الفتوى ، التى وافقت عليها الحكومة ايضا ، ورحب بها أغلب ضباط القيادة وتحمسوا لها .

ثم . . أن الدكتور عبدالرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة هو الذى رأس الاجتماع بنفسه ، بينما كان يترأسه عادة وكيل المجلس سليمان حافظ . . وفى ذلك الاجتماع ركز د . السنهورى بوجه خاص على أحكام دستور سنة ١٩٢٣ فى شأن الوصاية على العرش لانها واجهت فقط حالة وفاة الملك ولم تتناول الحالات الاخرى لانتهاء حكمه مثل خلعه او تنازله عن العرش . . وعقب د . السنهورى على ذلك قائلا :

ـ لا محيص ازاء هذا القصور من استنباط الحل المناسب وهو اصدار تشريع جديد بتعديل أحكام الأمر الملكى الصادر فى ١٣ ابريل ١٩٢٣ بوضع نظام لتوارث عرش المملكة المصرية ، وذلك بإضافة نص جديد يعالج خصيصا الحالة المعروضة ، حالة نزول الملك عن العرش وإنتقال ولاية الملك إلى خلف قاصر ، وفى وقت يكون فيه مجلس النواب منحلا .

لقد فصلوا قانونا حسب الحاجة .

فبركوا القانون .

وبعد أقل من أسبوع على رحيل الملك كنا نسير فى طريق تكييف القوانين الذى انتهى بنا الى هاوية اللاقانون بعد ذلك .

وأنا الآن أعتبر هذا الخطأ الصغير بداية مشوار طويل من الأخطاء التى لم نكن مسئولون عنها . . وانما كان مسئولا عنها الخوف من الضباط .

وقد انتقدت الصحف هذه الواقعة الجسيمة ، فقال أحمد أبو الفتح فى جريدة المصرى (عدد ٧ سبتمبر ١٩٥٢) :

فى اعتقادى ان الخطأ قد بدأ يوم أن أفتى قسم الرأى فى مجلس الدولة فتواه فى مجلس الوصاية المؤقت ، وتلاه خطأ آخر يوم ان استمسك على ماهر بهذه الفتوى ، ويوم نادى بعض الكتاب بالفقه الثورى ، وأقول فى اعتقادى أن فى تلك الأيام بدأت الأخطاء فقد جانب الجميع نص الدستور الذى أعلن الجيش أنه عماد ثورته . . وبدأت الأخطاء وأخذ كل خطأ برقبة خطأ آخر واذا بأعاصير الأخطاء تهب ذات اليمين وذات الشمال ومن فوق ومن تحت ، والمرء وسط كل ذلك ذاهل ، تائه ، يحاول أن يصد هذا فيصرعه ذاك . . .

وأحمد أبو الفتح وغيره عندهم حق .

لكن . . ماذا نفعل وهذا رأى اهل الفقه والقانون ؟

قضى الأمر . . إذا . . واصبح علينا اختيار أسماء مجلس الوصاية .

اقترحوا الأمير محمد عبد المنعم . .

فوافقت .

واقترحوا بهى الدين بركات . .

فوافقت .

واقترحوا رشاد مهنا . .

فاعترضت .

وكان لإعتراضى مايبرره . .

فرشاد مهنا خشى مواجهة الملك ، بعد صدام النادى ، وطلب أن ينقل الى العريش ، وهو موقف لازلت أذكره له ، ولايزال عالقا فى نفسى .

ورشاد مهنا ضابط وأنا لا أريد أن أزج بالجيش فيما لم يخلق له .

ثم . . اننى خشيت عليه ان لايعرف حدوده فى هذا المنصب ، الذى يحل فيه محل الملك .

وحدث ماخشيته بالضبط . .

فبعد أن ألح زملائى فى المجلس على قبول تعيين ، رشاد مهنا كوصى ، وافقت . . وعين رشاد مهنا وزيرا للمواصلات ، بصفة شكلية ليستحق عضوية مجلس الوصاية دستوريا .

ولم تمر عشرة اسابيع على هذا القرار حتى وقع الخلاف بيننا وبينه .

فقد تجاوز رشاد مهنا حدود سلطته الدستورية ، بالتدخل فى شئون تطهير

الأحزاب والهيئات السياسية ، وبالاتصال بالوزراء وإقحام نفسه فى شئونهم ، وبالاتصال برجال الصحافة ومناقشة الامور معهم والأعتراض عليها .

كما أنه كان أيضا يسعى لإحياء الخلافة الإسلامية ليكون هو على رأسها .

لقد اعتدى رشاد مهنا على نصوص الدستور التى حددت سلطاته فى صراحة ووضوح ، ونسى أنه مجرد عضو فى هيئة تمثيل الملك ، الذى يملك ولا يحكم .

وفى يوم من أيام شهر أكتوبر ١٩٥٢ ، اتصلت به فى مكتبه بقصر عابدين ، لتهنئته بمولود رزق به ، ولتحديد موعد أراه فيه ، لتكون التهنئة مباشرة . . وجها لوجه . . فإذا به يصرخ فى وجهى ، ويقول :

ـ أريدك أن تأتى إلى مكتبى فى القصر ومعك السيد سليمان حافظ نائبك لمقابلتى .

كنت أيامها رئيسا للوزراء . .

وتعجبت من هذا الاستدعاء ، ورغم ذلك ، قررت أن أستجيب له ، لأنه صادر من أحد الأوصياء ، الذين لهم بحكم مناصبهم اتخاذ مثل هذه الخطوة .

وتوجهت فعلا ، انا وسليمان حافظ إلى القصر ، وقابلت رشاد مهنا فى مكتبه اكثر من ساعة .

كان رشاد مهنا ثائرا جدا . . يتحدث إلينا فى عنف . . ويضرب المكتب بقبضة يده . . ونحن نسمع ولانعلق .

قال رشاد مهنا :

ـ إننى أحب أن تعرف أن رشاد مهنا ليس بصمجيا . . إننى لا أقبل أن أجلس هنا أوقع المراسيم التى ترسلونها إلينا فحسب . . انى الأحظ أن الوزارة تتخذ خطوات كثيرة لا أعرف عنها شيئا ، ولايعرض على من أمرها أية تفصيلات . . انك يانجيب تستقبل ستيفنسون (السفير البريطانى) وكافرى (السفير الامريكى) وتستدعى من السودان اقطابه ، وتتباحث مع الجميع دون علمى مع اننى واحد منكم ولابد أن يؤخذ رأيى فى كل شىء .

قلت له فى هدوء :

ـ أنت ثائر الآن ، وأنا افضل أن أتركك بضعة أيام حتى تستعيد هدوءك .

لكنه ازداد انفعالا وقال فى ثورة شديدة :

ـ اعلموا اننى لن اكون طرطورا .

لا اعرف ما الذى دفع رشاد مهنا إلى أن يقول مثل هذا الكلام .

ورغم ذلك ، حاولت أن أوضح له الأمر ، عندما انتقلت الى مكتب الامير محمد عبد المنعم ، ومعنا بهى الدين بركات ، لكنه اصر على موقفه ، وشاركه بهى

الدين بركات . . حاولت توضيح الموقف الدستورى لهم ، لكنهم لم يقتنعوا . . وأصر رشاد مهنا على ان يقدم استقالته . . وبقى الامير محمد عبد المنعم صامتا . . وأعلن بهى الدين بركات انه سيستقيل هو الآخر .

لقد أوصل رشاد مهنا الامر الى سكة مسدودة . .

فاتخذنا قرارا بإقالته وتحديد أقامته .

واقترحت على مجلس الوزراء أن نكتفى بوصى واحد هو الأمير محمد عبد المنعم ، بعد أن أصر بهى الدين بركات على الإستقالة . . ووافق سليمان حافظ ، وقال :

ـ لا مانع من الناحية القانونية إذ أن من السهل تعديل الأمر الملكى رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٣ ، والذى يقضى بأن يكون مجلس الوصاية مشكلا من ثلاثة أعضاء . . وفى جلسة واحدة أخذنا الموافقة على اعفاء رشاد مهنا . . وتعديل الأمر الملكى .

وفى ١٤ اكتوبر ١٩٥٢ اذعت البيان الخاص باعفاء رشاد مهنا والذى جاء فيه :

ـ لقد قام الجيش بثورته وكان اول اهداف الثورة القضاء على الطغيان ، فأقصت ملكا طاغيا لايحترم السلطات ودائب التدخل فى شئون الحكم ، ويؤسفنا وقد رشح الجيش احد ضباطه ، القائمقام أ . ح . محمد رشاد مهنا فى مجلس الوصاية المؤقت ، وطلب منه ان يلتزم حدود وظيفته كوصى لادخل له بشئون الحكم . فأخذ تارة يتصل بالوزراء طالبا اجابة مطالب شتى اكثرها وساطات ومحسوبيات وتارة اخرى يتصل برجال الادارة ، وتمادى الى ان حدث يوما أن أمر بمباشرة ايقاف اصدار احدى الصحف ، بل وسحب رخصة أخرى وقد نبه المرة تلو المرة ، ولكنه تجاهل ما كان يوجه اليه من نصح وارشاد ، فحدث ان سمح لنفسه بأن يعارض علنا قانون تحديد الملكية (الزراعية) رغم علمه التام بأن القانون هو حجر الزاوية فى الاصلاح الشامل الذى تريده الأمة والجيش وقيادته التى قامت بتوجيه الحركة . بل وبلغ به التمادى فأخذ يدلى بالتصريحات العامة للصحف والمجلات المصرية والأجنبية ، وبعض هذه التصريحات من صميم سياسة الدولة وهذا ما لا يجوز بحال أن يصدر من وصى على العرش . فتناول موضوع السودان ومواضيع شتى داخلية ، وأخذ يتصل بدور الصحف موحيا إليها القيام بدعاية واسعة النطاق له ، ودأب على بث روح التفرقة حتى خيل للبعض ان هناك جملة اتجاهات للجيش وليس اتجاها واحد قويا نحو غاية مرسومة . ولقد تحملت القيادة العامة تصرفاته هذه على مضض اسبوعا تلو الاسبوع الى ان تقدم حضرته رسميا لنا بطلب تدخله الفعلى فى كل امر من امور الحكم ومن ذلك ظهر لنا بوضوح ان حضرته لم يستطع التمشى مع اهداف الحركة والسير على مبادئها

المرسومة . لذلك قررنا اعفاءه من منصب الوصاية على العرش ، وليعلم الجميع ان هذه الحركة قائمة على المبادىء ولن تقف فى سبيلها نزوات اشخاص ، أو أطماع أفراد . والله ولى التوفيق »

واختفى بهذا البيان رشاد مهنا نهائيا من الحياة العامة .

وعلى ان ذلك كله ، لايمنع من ان اذكر اعجابى واحترامى لرشاد مهنا . . لايمنع ان اذكر انه كان ضحية مثلى . . فقد اراد جمال عبد الناصر ومجموعته ابعاده فى منصب شرفى (منصب الوصى) عن القيادة وعن السلطة الفعلية ، وعندما غضب ، سارعوا بابعاده . . اكلوه لحما ورموه عظاما ، كما فعلوا بى بعد ذلك تماما .

عموما . .

كان تعيين رشاد مهنا فى منصب كبير خارج الجيش فاتحة لتعيين ١٨ من اللواءات وكبار الضباط ، فى وظائف مدنية ودبلوماسية .

وتولد فى داخلى احساس بأننا فتحنا بابا أمام باقى الضباط ليخرجوا منه ، الى المناصب المدنية ، ذات النفوذ القوى والدخل الكبير ، وحاولت قدر استطاعتى اغلاق هذا الباب ، وابتعاد الجيش عن الحياة المدنية ، وعودته الى الثكنات ، وترك البلد للسياسيين .

لكن . . كان الوقت ، على ما أعتقد ، قد فات .

فقد اخترق العسكريون كل المجالات وصبغوا كل المصالح المدنية باللون الكاكى .

فمن العسكريين كونا لجان تطهير الجيش ، التى طهرت حوالى ٨٠٠ ضابط فى المشاة والبحرية والطيران ، والشرطة ايضا . واحالت بعضهم الى الاستيداع ، وقدمت البعض الآخر الى محكمة الثورة .

ومن العسكريين كونا لجان تقصى الفضائح ، مثل فضيحة الاسلحة الفاسدة ، وفضيحة بورصة القطن ، وفضيحة بيع اراضى الحكومة بطرق غير قانونية .

ومن العسكريين كونا محكمة الثورة ، التى صادرت اموال الذين اثروا بطرق غير مشروعة ، وامرت بانفاق هذه الاموال على بناء المدارس ، والمستشفيات ، والاسكان الشعبى .

ومن انجازات العسكريين ، ايضا فى تلك الفترة ، كان قانون الاصلاح الزراعى .

وأنا أريد أن أتوقف قليلا عند هذا القانون ٠٠ أريد أن أشرح ضرورته . . وأهميته . . والملابسات التى أحاطت به .

فى عام ١٧٩٨ ، عندما غزا نابليون مصر ، كانت مستعمرة تركية ، متخلفة ، يصل تعداد سكانها الى نحو ٢,٥ مليون نسمة ، يعيشون على ٣ ملايين فدان . . تزرع على ضفاف النيل .

عندما قامت الثورة . . بعد ١٥٦ عاما كان يقطن مصر حوالى ٢٢ مليون نسمة ، يعيشون على انتاج ومحاصيل ٦ ملايين فدان . . وباستثناء حوالى ٣ ملايين شخص كانوا يعيشون حياة معقولة فى مصر ، فإن باقى السكان كانوا يعيشون عند أدنى مستوى من مستويات المعيشة فى العالم كله .

ولأنه لم يعد يجدى أن نلقى اللوم على الأنجليز ، أو على الغرب ، أو على الشعب المصرى ، فإن البديل الوحيد هو أن نصلح أنفسنا بأنفسنا . . وذلك بزيادة الحد الأدنى فى الأجور . .

فلم يعد مقبولا أن يدفع للاجير ، فى تلك الأيام ، أقل من ١٨ قرشا يوميا ، ولا للنساء والأطفال أقل من ١٠ قروش .

وكان ملاك الاراضى قبل الثورة يدفعون للفلاح الاجير ٨,٥ قروش فى اليوم ، فى حين ان التكاليف اليومية للحيوانات كانت اكثر من ذلك . . كانت تكاليف البغل ١٢ قرشا . . والجاموسة ٢٢ قرشا . . والحمار ٩ قروش .

على أن زيادة الحد للاجور لم يكن ليكفى لاصلاح أحوال الريف . . وكان لابد من اتخاذ خطوة اكثر جرأة . . وكانت هذة الخطوة هى قانون الاصلاح الزراعى .

كان جمال سالم هو اول من تبنى المشروع ، وكان وراء جمال سالم الدكتور راشد البراوى . الذى كان على علاقة ببعض ضباط الجيش قبل الثورة ، خاصة ذوى الاتجاهات اليسارية منهم ، فهو من قدامى اليساريين الذين كتبوا عن الاشتراكية فى مصر ، وله ترجمة لكتاب كارل ماركس الشهير رأس المال كما أنه له كتب أخرى عن مشكلة البترول ، واقتصاديات الشرق الاوسط .

كان جمال سالم من أنصار تحديد الملكية ، وكان بلسان صديقة راشد البراوى ،

يطالب بمصادرة أراضى كبار الملاك على قدر استطاعتنا . . دون أى تعويض . .

وكان من رأى رشاد مهنا التعويض ، وعدم تفتيت الملكية بتوزيع الأراضى على الفلاحين فى حدود الخمسة افدنة .

وكان على ماهر أميل الى فرض الضرائب التصاعدية بدلا من تحديد الملكية .

وعرض المشروع على لجنة من مجلس الدولة ، يرأسها د . عبد الرازق السنهورى ، فصاغة صياغة قانونية مناسبة ، إلا أن على ماهر ظل مترددا أكثر من سبعة أسابيع لكى يوقع على القانون .

وبسبب هذا التأجيل وقعت أول أزمة بيننا وبين على ماهر . .

فقد عقد على ماهر مؤتمرا موسعا حضره الأوصياء على العرش ، والوزراء فى حكومته ، وبعض من مجلس القيادة ، وعدد من مستشاريه ، واعضاء مجلس الدولة . .

كان الاجتماع فى مبنى مجلس الوزراء .

وكان من بين الحاضرين جمال سالم ، وصلاح سالم ، ود . راشد البراوى ، و د . السنهورى ، ورشاد مهنا ، وعبد الجليل العمرى ، وبهى الدين بركات ، وسليمان حافظ .

وفى هذا الاجتماع استمرت المناقشات لساعات طويلة ، حول مايتبناه على ماهر ، وحول مايطالب به جمال سالم ، وانتهى الاجتماع بالتصويت لصالح تحديد الملكية . . بحد اقصى ٢٠٠ فدان .

وبالمناسبة . . صوت رشاد مهنا مع تحديد الملكية ، بعد ان كان مع الضرائب التصاعدية ، فقد تنازل مهنا عن رأيه وقال :

ـ انا انزل على رأى الاغلبية واوافق على المشروع .

وأعد سليمان حافظ المشروع فى صيغته النهائية ، لكنه ما أن دخل الى مجلس الوزراء ، حتى بقى هناك وكأنه جثة هامدة . . ورغم اننى عارضت المشروع عندما قدم فى مجلس القيادة ، الا اننى ايدته ، انا الآخر نزولا على رأى الأغلبية ، وكان على أن أقف معه . . وكان على أن أتشكك فى موقف على ماهر من المشروع . . لكن رغم ذلك ، أعطيناه مهلة أخرى وأخيرة لاخراج القانون . . لكنه لم يستجب .

وأحسسنا أن على ماهر قد وقع تحت ضغط قوى من رجال الأحزاب ، وكبار

السياسيين ، والملاك ، لتعطيل القانون ، فقررنا اقالته ، واقيل فعلا ، وتوليت رئاسة الوزراء بدلا منه .

كان ذلك فى ٧ سبتمبر ١٩٥٢ .

وبعد أن أقسمت اليمين القانونية أمام هيئة الوصاية المؤقتة بقصر عابدين ، قلت للصحافيين :

ـ إن سياسة وزارتى هى تحديد الملكية وتطهير البلاد والعمل على خفض تكاليف المعيشة ، وكل ما من شأنه أن يعود على أبناء البلاد بالخير . ولقد كثر التحدث عن مشروعات الاصلاح ولم يبق إلا العمل وغدا تظهر أعمالنا .

وبعد ٤٨ ساعة صدر القانون .

وقد صدر ، كما قلت ، رغم معارضتى ، ونزولا على رأى الاغلبية . . فقد كنت مع الضرائب التصاعدية ، ومع إعادة توزيع الأرض ، بصورة تدريجية ، وليست فجائية . . وكنت أرى أن الضرائب التصاعدية ستجبر الكثير من الملاك على التخلص من ارضهم التى تخضع لشرائح الضريبة العليا . . وكنت أرى أننا سنعلم الفلاح الذى حصل على الارض بلا مجهود او تعب ، الكسل والنوم فى العسل . . وكنت أرى أن تطبيق القانون سيعرض علينا إنشاء وزارة جديدة لمباشرة تنفيذه (هى وزارة الاصلاح الزراعى) وهذا سيكلفنا اعباء مالية وادارية لامبرر لتحملها .

وكان من رأيى ان وجود الملاك الجدد بجانب الملاك الاصليين سيثير الكثير من المتاعب والصراعات الطبقية ، وهو ماكنت احاول قدر استطاعتى ان اجنبه البلاد .

كما ان توزيع الاراضى على عدد اكبر من الملاك سيفرض علينا عيوب تفتيت الملكية ، وسنخفض من الانتاج الزراعى ، وسيؤثر بالتالى على اقتصادنا القومى .

وقلت هذا الكلام لاعضاء مجلس القيادة ونحن نناقش المشروع . .

لكنهم ، قالوا :

ـ أنت تنظر الى المشروع من الزاوية الاقتصادية ، ونحن ننظر اليه من الزاوية السياسية . . اننا نرى ان سرعة الاستيلاء على الاراضى سيدعم مركزنا . . فنحن سنجرد ملاك الاراضى من ثروتهم ونفوذهم . . وسنحولهم من خانة المعارضة لنا الى خانة الاهمال والظلام .

وكسبت السياسة وخسر الاقتصاد وإقر مشروع الاصلاح الزراعى .

وكان هذا القانون هو اول قانون يصدر بعد ان اصبحت رئيسا للوزراء .

وقد اعتبرت هذا القانون جزء من سياستي الداخلية ، حتى انى قلت ساعتها لمستر كولينز مدير وكالة اليونايتد برس فى الشرق الاوسط ، عندما سألنى عن الخطوط العامة لسياسة حكومتى :

ـ ان الخطوط الرئيسية للسياسة الداخلية تقوم على اساس تحديد الملكية الزراعية ، وتقريب الفوارق بين الطبقات باعداد التشريعات والمشروعات المحققة لذلك والتى تتركز فى تخفيف اعباء الحياة عن كاهل المواطنين للحد من الغلاء ومكافحة التضخم ورفع مستوى العمال وتشجيع الصناعة والتجارة واصلاح نظام الضرائب .

وسألنى مستر كولنز عن الفوائد التى ستجنيها مصر من وراء قانون الاصلاح الزراعى . .

فقلت :

ـ يعود هذا القانون على البلد بفوائد اقتصادية واجتماعية وسياسية ، اما الفوائد الاقتصادية فهى عدم تجميد الثروة القومية فى الزراعة دون الصناعة ، لأن تحديد الملكية سيجبر أصحاب رؤوس الاموال على الالتجاء إلى إستغلال اموالهم فى الصناعة والتجارة . . والفوائد الاجتماعية تبدو واضحة فى القضاء على الفروق الشاسعة بين اصحاب الملكيات الكبيرة والمعدمين . . اما الفوائد السياسية فسنجنيها من ارتباط الملاك الجدد ، بارضهم وتحريرهم سياسيا من اصحاب الاقطاعيات الكبيرة اثناء ممارستهم حق الانتخاب .

وفى الحقيقة . . لم يكن هذا الكلام سوى محصلة للحوار الذى دار فى منزلى ، قبل ساعات من الادلاء به ، بينى وبين الاقتصادى الالمانى الكبير ، د . شاخت ، صاحب الشهرة العالمية ، الذى ساعد الاقتصاد الالمانى على النهوض بعد الحرب العالمية الثانية .

كان د . شاخت يزور مصر ، تلبية لدعوة من د . عبد الجليل العمرى ، وزير المالية ، فالتقيت به . . وكان اللقاء فى وقته المناسب ، حيث كنا على وشك تطبيق القانون . . فشرحت له كل مخاوفى من القانون ، ووجهة نظرى حول الضرائب التصاعدية . . قلت له :

ـ إن ما أخشاه ان يثير القانون الصراع الطبقى بين القدامى والملاك الجدد !

وقلت له :

ـ ان من تؤخذ منه الارض قسرا وتعطى للآخرين سيكون عدوا للثورة وعدوا للملاك الجدد !

فإذا به يقول لى :
ـ ان هؤلاء الافراد الغاضبين سوف يجيئون بعد ثلاث سنوات ليشكروك . . إذ أن مشروع تحديد الملكية سوف يفيدهم كما يفيد اى انسان آخر . . واذا كانوا غاضبين اليوم ، فسيعرفون غدا مقدار فائدة هذا المشروع لهم . . فإن الطريقة التى كانوا يسيرون عليها ، كانت ستفقدهم كل شىء . . والآن سيوجهون اموالهم الى مشروعات اقتصادية اكثر فائدة لهم . . وسيتفادون ثورة شيوعية تقضى عليهم .

واقتنعت بالقانون . .

واقتنعت بقرار اقالة على ماهر . . .

واقتنعت بقرار تولى رئاسة الوزراء بدلا منه . .

على أن هذا القرار ، لم يكن سببه ، فى الواقع ، أزمة قانون الاصلاح الزراعى فقط ، وإنما كانت بالإضافة له ، أزمات ومتاعب أخرى بيننا وبين على ماهر . فقبل قانون الاصلاح الزراعى بأسابيع طويلة ، كنت فى زيارة لعلى ماهر ، فى مكتبه ، واذا بالسفير البريطانى يحضر اليه ، وينضم الينا . . وفوجئت به يشير الى قضية الحرص على الأوضاع الدستورية فى البلاد ، وأعتبرت هذه الاشارة بمثابة الاهانة لنا . . واعتبرتها تدخلا فى شئون البلاد . . فقمت من مقعدى ، وانصرفت دون أن أقول كلمة واحدة . . الا أن انسحابى المفاجىء على هذا النحو كان يقول كل شىء . . حتى أن السفير البريطانى أحس بذلك فطلب مقابلتى فى اليوم التالى بالقيادة . . وحرص على أن يكون لطيفا ومجاملا وحساسا فى كلامه . . وحرص على أن يؤكد أنه لا يتدخل فى أمورنا .

وتعجبت . .

كيف قبل على ماهر هذا الكلام دون ان يرد عليه ؟

لم أشأ أن أناقشه فيما حدث ، فقد كنت أريد ، فى هذه الفترة ، أن تستقر الأوضاع الداخلية فى البلاد ، على اسس واضحة ، وسليمة . . وكان ما يهمنى أكثر إجراء إنتخابات مجلس النواب الجديد فى شهر فبراير ١٩٥٣ ، تنفيذا لرأى مجلس الدولة ، الذى شكلنا بموجبه مجلس الوصاية .

واتفقت مع على ماهر على ذلك .

لكننى فوجئت به يذيع بيانا يتحدث فيه عن الانتخابات دون تحديد موعدها . . واكتفى بان يقول :

- انها ستكون فى أقرب فرصة .

ساعة اذاعة البيان ، كنا مجتمعين فى القيادة ، فغضبنا من سماعه ، جميعا ، فقررنا اذاعة بيانا يتعارض مع بيان على ماهر ، ونحدد فيه شهر فبراير موعدا لإجراء الانتخابات .

كانت هذه الواقعة بداية الأزمة مع على ماهر ..

وعندما عرف على ماهر بها فضل الصمت ، ولم يعلق عليها .

ثم جاءت ازمة قانون الاصلاح الزراعى .

ثم وقع بيننا خلاف ثالث ..

كان على ماهر قد شكل حكومته بسرعة ، جعلته يتولى فيها الى جانب الرئاسة ، مناصب وزراء الداخلية ، والحربية والخارجية .. وكان مفروضا أن يملأ هذه الوزارات بشخصيات أخرى لها ثقلها ، بعد أن استقرت الأمور ، وخرج الملك .

وناقشت على ماهر فى ذلك ..

واتفقنا على أن يعدل فى حكومته ، وعلى أن يصدر مراسيم التعديل فورًا .. لكنه لم ينفذ ماأتفقنا عليه ، وسافر إلى برج العرب ومرسى مطروح ، واجتمع بعدد من ضباط الجيش هناك وناقش معهم قانون الاصلاح الزراعى .

وبعد أن عاد الى القاهرة ، فوجئنا بصدور مراسيم التعديل ، على نحو يختلف عما اتفقت معه عليه .. واكتفى على ماهر بعرض التعديل على رشاد مهنا ، الذى بادر هو الآخر ، بالتوقيع عليه ، دون الرجوع الىّ .

وطلبت اجتماعا عاجلا لضباط القيادة ...

وفى الاجتماع الذى لم يتخلف عنه احد ، أحسسنا جميعا بأننا أصبحنا أضعف مما كنا عليه ، يوم قمنا بالحركة ، ويوم طردنا الملك .. وأحسسنا أن الكثير من القوى تحاصرنا وتهجم علينا بمناسبة وبدون مناسبة .. ولأن خبرتنا السياسية كعسكريين محدودة .. ولاننا لم نثق فى معظم من حولنا ، فقد وقعنا فى اخطاء كثيرة ، كان منها القرار الذى اتخذناه فى ذلك الاجتماع ، والخاص باعتقال ٦٤ من السياسيين دون الرجوع لرئيس الوزراء .. وكنا بخبرتنا المحدودة نتوقع ان يستقيل على ماهر بمجرد معرفته بهذا القرار - الصدمة .

وتصرفنا فى هذا الاجتماع كما لوكان على ماهر قد قدم استقالته فعلا .. وتساءلنا :

ـ من هو رئيس الوزراء القادم ؟

واستبعدنا كل الاسماء الحزبية وكل الاسماء التقليدية . . ورشح سليمان حافظ ، د . السنهورى ، ووافقت على ترشيحه ، لانه رجل قانون ، وقطعا سيحترم الديمقراطية . . وكاد الآخرون ان يوافقوا على السنهورى ، لكن فجاة همس على صبرى فى اذن جمال سالم بشىء لم نسمعه . فقال جمال سالم :

ـ اننا نحترم د . السنهورى ونجله ونعرف قدره ونعترف بجدارته ، ونثق فى اخلاصه للحركة ، لكنى اتشفع الصراحة والاخلاص فى عرض السبب الذى اقوله مرغما لعدم ترشيحه . .

وصمتنا فى انتظار السبب . .

وكان السبب كما قال جمال سالم ، اوكما قال له على صبرى ، هو ان الامريكان سيعترضون على ترشيح د . السنهوري ، لأن بعض الصحف الغربية وصفته ، فى أواخر عهد الملك ، بأن ميوله شيوعية . .

واستطرد جمال سالم قائلا :

ـ ورغم يقينى ببطلان هذه التهم ، الا ان من مصلحة الحركة ، الآن ، وبعد إتهامها بالشيوعية ، ان تتفادى كل مايمكن إستغلاله ضدها .

وانفجر جمال سالم كالقنبلة .

ولم يجد أحد فينا ما يقوله .

إلا أن الدكتور السنهورى أخرجنا من الحرج الذى كنا فيه ، وقال :

ـ ان ما يقوله الأخ جمال سالم يستحق ان نأخذ به . . ففعلا اتهمتنى صحافة الغرب بالشيوعية . . واستندت فى اتهامها لى ولزملائى من مستشارى محكمة القضاء الادارى ، إلى بيان ورد الينا بالبريد من مجلس السلم العالمى ، فوقعناه ، كما وقعه غيرنا فى جهات اخرى . . لانه كان يدعو لإقرار السلام العالمى بمحاصرة الحروب ومقاومة أسباب اندلاعها .

وقال د . السنهورى :

ـ علينا الآن أن نبحث عن مرشح آخر

ورشح سليمان حافظ . .

لكنه اعترض وقال :

ـ لا . . لأننى أفضل ان اكون مستشارا قانونيا لرئيس الحكومة . . وقد سبق ان رفضت منصب الوزير فى التعديل الأخير الذى قام به على ماهر .

وفى شجاعة قال سليمان حافظ:
- ثم اننى لا أستطيع أن أملأ الفراغ الذى سيتركه وراءه على ماهر!
ومرت علينا دقائق من الصمت ..
وفجأة قال د. السنهورى:
ولماذا لا نعين القائد العام رئيسا للوزراء!
واعترضت بشدة ..
وقلت:
- هذا يتنافى مع المبدأ الذى اتفقنا عليه، وهو أن يبتعد الجيش عن الحكم والسياسة ..
قال د. السنهورى:
- ان توليك الوزارة مع القيادة سيضمن التنسيق المفقود بينهما
فقلت:
- لا .. أن تولى الوزارة من قبل ضابط، يعد سابقة فى تاريخنا الحديث، لا أحد يعرف الى اين ستجر البلاد.
وانفض الاجتماع ..
وقرر زملائى أن ينعقد مجلس القيادة وحده .. لكنى اعتذرت عن عدم حضور الاجتماع .. وذهبت الى مكتبى معلنا إعتراضى مرة ثالثة .. وبعد قليل دخلوا على مكتبى واعلنوا اصرارهم على تنفيذ القرار الذى اتخذوه وهو أن أتولى رئاسة الوزارة بجانب قيادة الثورة ..
وقبلت تنفيذ القرار ..
لكن .. بشرط أن تنتهى مدتى فى فبراير مع موعد الأنتخابات الجديدة.
واستقال على ماهر.
لكننى طلبت منه ان يستمر رئيسا لوفد مصر فى اجتماعات الجامعة العربية، وان يظل فى مكانه فى مفاوضات السودان، مع باقى الوفد المصرى الذى شكل منى، ومنه، ومن السنهورى، وصلاح سالم، وحسين ذو الفقار صبرى.
ويوم اصبحت رئيسا للوزارة، قصدت دار الأذاعة، ووجهت البيان التالى الى شعب وادى النيل:
« الى شعب وادى النيل الكريم
« لقد تفضلت هيئة الوصاية الموقرة فأسندت إلى مهمة رئاسة الوزارة. وقد

شكلت الوزارة من اخوانى الذين عرفتموهم . .ن الوطنية وحسن البلاء فى خدمة البلاد وأنى أعد اضطلاعى بالحكم مع ' ب هؤلاء مرحلة من مراحل ثورتنا نحو الحرية وإعلاء كلمة الدستور وتهيئة الشعب لحياة سعيدة كريمة .

وهذه المرحلة كسابقاتها فى حاجة إلى جهد متصل ومثابرة متجددة واخلاص ملتهب منى ومن زملائى ومنكم جميعا لافرق بين صغير وكبير - ولافقير او غنى - او عامل او موظف ولذلك فإنى أهيب بكم كما أهيب بالموظفين من جميع الوزارات أن تضعوا حدا للتقليد القديم الا وهو تقديم التهانى والتبريكات للوزراء الجدد فنحن نحس احساس الشعب ولذلك نرجو المواطنين الا يكلفوا انفسهم مشقة تقديم التهانى لى ولاخوانى ، كما أرجو الا يوفدوا احدا عنهم للرئاسة او للقيادة او للوزارات ولا أن يتظاهروا أو يتجمعوا أو يوقفوا ألسير العادى للاعمال لهذه المناسبة فاننا نود أن يحكم على أعمالنا بعد أن نقوم بها . .

وفقنا الله وهدانا الى مافيه خير الوطن العزيز »

كانت وزارتى هى اول وزارة عسكرية فى تاريخ مصر ، بعد وزارة محمود سامى البارودى ، واحمد عرابى ، فى عهد الخديو توفيق . . وكان هذا ما يفزعنى ويثير قلقى فى الواقع . .

فقد كنت أخشى أن يكون حكم العسكريين هو نقطة تحول فى تاريخ حكم مصر ، لا تستطيع بعده أن تعود للحكم المدنى ، الطبيعى .

وكنت أخشى أن ينتقل النفوذ العسكرى من الوزارة الى كل شبر فى الحياة المدنية .

لكن . .

كل الظروف من حولنا كانت تدفعنا الى الحكم . .

وإن كنت قد أحسست أننى بوجودى على رأس الحكم ، سأتمكن من ضبط الامور ، وسأتمكن من تحقيق التوازن الطبيعى بين الجيش والحكومة . . بين العسكريين والمدنيين .

وشكلت الوزارة فى يوم واحد . .

وتولى سليمان حافظ ، الذى أصبح نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية ، تحديد اسماء المرشحين ، والاتصال بهم ، والتفاهم معهم ، حتى أعلنت الحكومة الجديدة .

ولأن سليمان حافظ كان متحمسا للحزب الوطنى ، فقد كان عددا من الوزراء

الجدد ، من المنتمين لمبادىء هذا الحزب ، وإن كانوا لا يمثلونه فعلا . .
وضمت الوزارة عددا من المستقلين ، واثنين من الاخوان المسلمين .

كان المجلس قد قرر اشتراك ، الاخوان في الوزارة الجديدة ، فاتصل عبد الناصر تليفونيا بحسن العشماوى ، يدعوه لمقابلته فى إدارة الجيش . . وفى هذا اللقاء عرض جمال عبد الناصر عليه أن يشترك الاخوان فى الوزارة وان يكون هو (حسن العشماوى) وزيرا منهم . . ورغم أن حسن العشماوى ترك مسألة اشتراك الإخوان فى الوزارة إلى مكتب الارشاد ، الا انه كان موافقا على هذه الخطوة كما عرفت بعد ذلك ، حتى يكون الإخوان على بينة من سير الأمور ، وحتى لايتركوا الثورة فريسة لمن يأخذها منهم .

وفى هذا اللقاء ، الذى حضره معهما يوسف صديق ، اتصل جمال عبد الناصر تليفونيا بحسن الهضيبى ، المرشد العام للاخوان ، وطلب منه ترشيح ثلاثة للوزارة .

ورشح الهضيبى ، بصفته الشخصية منير الدالة ، وحسن العشماوى ، ومحمود ابو السعود .

وقبل أن ينهى عبدالناصر المكالمة ، اشتبك يوسنف صديق بالكلام مع حسن العشماوى ، وشكك فى كفاءة الإخوان اذا ما دخل بعضهم الوزارة فاستدل حسن العشماوى بالشيخ حسن الباقورى على وجود كفاءات فى الاخوان تستحق دخول الوزارة فالتقط عبدالناصر اسم الباقورى وتحمس له ، واعتبره مرشحا اساسيا ، وعرضه على الهضيبى ، إلا أن الهضيبى رفض البت فى هذه المسألة بمفرده وأحالها الى مكتب الارشاد .

رفض مكتب الارشاد الاشتراك فى الوزارة ، وأكد أن إشتراك الإخوان فى الوزارة ، يضعف الإخوان ويقوى الثورة ، لأنه يعطيها لونا اسلاميا ، يبرز مكانتها وسط الجماهير المصرية المسلمة ، ويمنحها ولاء الإخوان فى كل مكان . .

وعبر عن ذلك خميس حميدة بعد ذلك ، أمام محكمة الشعب فقال :

ـ ان ما قاله مكتب الارشاد وقتذاك هو أن وجود الإخوان فى الوزارة قد يثير أشياء مافيش داعى ليها ، فقد يقول البعض ان الإخوان مشتركون فى الحكم ، أو أن الثورة طلعت ليس لها لون خالص ، وربما وجود الإخوان فيها يعطيها لونا خاصا .

واتصل عبدالناصر مرة اخرى بالمرشد العام ليسأله عن قرار مكتب الارشاد ، فقال له الهضيبى :

ـ ان مكتب الاشاد قرر عدم الاشتراك فى الوزارة .

قال له عبدالناصر :

ـ لكننا اخطرنا الباقورى بموافقتك وطلبنا منه أن يتقابل مع الوزراء فى الساعة السابعة لحلف اليمين !

فرد الهضيبى :

ـ أنا أرشح لك بعض اصدقاء الاخوان للإشتراك فى الوزارة ، لكن لا ارشح لك أحدا من الاخوان .

ورشح له أحمد حسنى الذى أصبح وزيرا للعدل فيها بعد ، ومحمد كمال الديب محافظ الأسكندرية .

وفى اليوم التالى صدر قرار من مكتب الارشاد بفصل الشيخ الباقورى من هيئة الاخوان بعد أن أصبح وزيرا بساعات .

فاستدعى عبدالناصر ، حسن العشماوى ، وعاتبه على هذا التصرف . . لكن . .

وقت العتاب كان قد فات . .

والصدام وقع فعلا بين الاخوان والثورة . .

وقد حزنت لذلك . . جدا . . خاصة وأننى أعرف أن الاخوان كانوا أول من ساعدوا عبدالناصر فى تنظيم الضباط الأحرار . . فى فترة لم أكن فيها قد عرفت عبدالناصر ولا التنظيم . .

وكان بين عبدالناصر وبينهم تاريخ طويل ، قبل الثورة ، وكان اسمه الحركى عندهم زغلول عبدالقادر .

وقد اكتشف الاخوان ، كما قال حسن عشماوى فى مذكراته : « الاخوان والثورة » ان عبدالناصر كان قبل أن يعرفهم ، عضوا فى خلية شيوعية ، وكان اسمه الحركى فيها : « موريس » .

وعندما أيد الاخوان قيام الثورة ، كانوا يتصورون أنها قامت لحسابهم ، وأنهم سيحققون من خلالها التغيير المنشود . . وربما لهذا السبب هاجموا فى بيانهم الذى أصدروه فى أول أغسطس ١٩٥٢ ، عن الاصلاح المنشود فى العهد الجديد ،

الحياة النيابية السابقة هجوما شديدا وأعلنوا أنها لم تقدم حياة نيابية صالحة ولا تمثيلا صحيحا وانها انتهت الى ان اصبحت اداة تعطى شهوات الحكام ومظالم السلطان صيغة قانونية

لكنهم سرعان ما اكتشفوا ان من الصعب ان يضعوا الثورة فى جيوبهم ، فبدأوا فى الوقوف ضدها .

فقد طالب الاخوان بتحديد الملكية ، لكنهم اعتبروا الحد الأقصى ٥٠٠ فدان ، وعندما قلنا ٢٠٠ فدان ، قال المرشد العام لجمال عبدالناصر فى صراحة ووضوح :

ـ لكى يؤيد الاخوان الثورة ، فأنا أرى عرض الأمور التى تتخذها الثورة علينا قبل اقرارها .

فرد عليه عبدالناصر قائلا :

ـ هذا يعنى وضع الثورة تحت وصاية الجماعة . . ونحن نقبل فقط التشاور فى السياسة العامة مع كل المخلصين من اهل الرأى دون التقيد بهيئة من الهيئات .

ورغم الصدام الذى وقع بين الاخوان والثورة بسبب تشكيل وزارتى ، الا أننا لم نقطع كل الجسور معها كجماعة سياسية ، هى فى حقيقتها حزب ، عندما أصدرنا قانون الأحزاب . . أو قانون تنظيم الأحزاب السياسية .

اقترح سليمان حافظ مشروع القانون . . لكن . . الدكتور السنهورى عارضة بشدة ، مستندا الى ان الدستور يمنع تنظيم الاحزاب وانه يترك هذا الامر لرجاله فقال سليمان حافظ :

ـ لقد فسدت الاحزاب ، مما يفسد معها المعنى الحقيقى للديمقراطية البرلمانية .

واعتقد ان كلامه كان معقولا ، فلم يكن هناك اى حزب سياسى يمثل مصالح الشعب ، وكانت كلها تمثل مصالخ شخصية ، واضطر السنهورى على إقرار مبدأ المشروع على شرط الا تتدخل السلطات الادارية الا عند الضرورة لتحقيق اغراض القانون ، وأن يكون تدخلها تحت رقابة مباشرة من القضاء الادارى بمجلس الدولة .

ووافقت على ذلك . .

لأننى كنت مؤمنا أن رقابة القضاء خير كفيل لحماية الأحزاب من تسلط الحكومة ولحماية الحكومة نفسها من اساءة استخدام سلطاتها .

وفى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ صدر المرسوم بقانون رقم ١٧٩ لسنة ١٩٥٢ بشأن تنظيم الاحزاب السياسة . .

ونص القانون على أن من يرغب فى تكوين حزب سياسى عليه أن يخطر بذلك وزير الداخلية . . ونص على ضرورة أن تتقدم الأحزاب خلال شهر ببيان مكتوب لوزير الداخلية ، توضح فيه أهدافها وأعضائها ومصادر تمويلها ، وممتلكاتها . . ونص على أنه لا يجوز لرئيس الحزب أن يكون مديرا فى شركة من الشركات التى تكفل لها الحكومة مزايا خاصة . . ونص على حق وزير الداخلية ولكل ذى شأن أن يعترض على إخلال الحزب بحكم من الاحكام السابقة ، الأمر الذى يؤدى الى وقف نشاطه أو اسقاط عضوية أحد أعضائه .

وفى ظرف شهر تقدم ٢٢ حزب بإخطاراتها إلى سليمان حافظ . . كان من بينها ٣ أحزاب نسائية . . وحزبان وطنيان . . وحزبان اشتراكيان بالاضافة الى الوفد والسعديين والاحرار الدستوريين والكتلة ، والإخوان .

واعترض سليمان حافظ على عدد من السياسيين ، كان من بينهم مصطفى النحاس الذى أصبح رئيسا شرفيا للوفد .

ودخلت الحكومة مع الأحزاب فى سلسلة من المنازعات القضائية ، بسبب هذا القانون ، وانشغل الرأى العام بهذه القضايا ، حتى صدور قانون الغاء الأحزاب .

وأذكر ، يوم طلبنا من الأحزاب أن تنظم نفسها ، ان طلب عبدالناصر عدم اعتبار الاخوان حزبا حتى لا يطبق عليهم القانون ، وقال لى :

ـ إن جماعة الاخوان كانت من أكبر أعوان الحركة قبل قيامها ، ولا يصح أن نطبق عليها قانون الأحزاب .

ورفضت طلبه . .

وقلت :

ـ لا . . لأن القوى السياسية يجب أن تكون سواء أمام القانون .

فاتصل بسليمان حافظ الذى وجد له مخرجا قانونيا مناسبا كعادته . . وتم ذلك فعلا بعد ان قام عبد الناصر والهضيبى بزيارته فى مكتبه بوزارة الداخلية .

وظهر جليا بعد ذلك أن هذا القانون لم يكن يستهدف سوى حزب الوفد ، حزب الاغلبية . .

وكان ضروريا أن يتحمس له سليمان حافظ ، فقد كان ، كما علمت بعد ذلك ، عدوا لدودا لحزب الوفد ولرئيسه مصطفى النحاس بالذات . . بل وللاحزاب السياسية بوجه خاص

وكان طبيعيا أن يشن الوفد فى صحفه حملة ضارية ضد القانون وضدنا .. وضد سليمان حافظ .

فارتفعت درجة الغيظ داخل صدر سليمان حافظ ، فاستخدم حقه القانونى فى الاعتراض على الرئاسة الشرفية لمصطفى النحاس ، فأحال الوفد القضية الى القضاء الادارى لمجلس الدولة .

قالت مذكرة الحكومة :

ـ إن من حق وزير الداخلية الاعتراض ، حسب نصوص القانون ، على رئاسة مصطفى النحاس الشرفية ، التى كان فى اللجوء إليها تحايل على القانون .

وقالت مذكرة الوفد :

ـ ان من بواعث الأسف الشديد والدهشة البالغة ان يتخذ وزير الداخلية من هذه الرئاسة الشرفية التى لم تكن الا تحية كريمة لرئيس الوفد السابق مصطفى النحاس على ما قدمه من خدمات للبلاد خلال نيف وثلاثين عاما زريعة للاعتراض على اعادة تكوين الحزب بمقولة ان المرسوم بقانون لايعترف بالرئاسة الشرفية وبدعوى انها قد تنطوى على تعطيل احكامه .

وتابعنا مثل هذا الجدل فى مجلس قيادة الثورة بحضور سليمان حافظ ، الذى كان مستميتا فى الدفاع عن قانونه ، وكان يسانده فى ذلك صلاح سالم وجمال سالم ، وكان جمال عبدالناصر ، وعبدالحكيم عامر ، ويوسف صديق ، وخالد محيى الدين ، وأنا ، نعارضه .

وذات صباح قرأت فى جريدة المصرى بيانا أصدره مصطفى النحاس ، قال فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

« إننى أعد نفسى دائما ملكا للشعب ، وقد كانت ثقتى فى الشعب ، وثقته فى شخصى طوال حياتى السياسية عونى على الشدائد وظهيرى فى العيش ، وسأظل ما بقى من عمرى ملكا لهذا الشعب الوفى ، ولن تستطيع قوة أن تنحنى عن هذه المكانة بعد الله جلت قدرته إلا الشعب دون سواه ..

والله ولى التوفيق »

واثر فى البيان تأثيرا شديدا ..

وأدركت أن مصطفى النحاس سيظل زعيما شعبيا مهما فعلنا به وبحزب الوفد .. وادركت خطورة أن نواجهه بهذه الصورة التى كانت فى الواقع تزيد من

شعبيته ، وترفع من درجة حب الناس له .
وأحسست أننا نمشى فى الطريق العكسى للديمقراطية . .
ونبهت سليمان حافظ لذلك . .
لكنه ظل يرد على أخطار الاحزاب ، ويروى كل المهازل التى احاطت بقادتها .
وعندما يئست منه ، عرضت الأمر على مجلس القيادة . .
لكنى فوجئت فى المجلس بنقص عدد المعارضين ، وارتفاع عدد المؤيدين . .
فانضم عبدالناصر وعبدالحكيم الى المؤيدين لسليمان حافظ ، وبقى معى خالد محيى الدين ويوسف صديق .
ولم أجد مفرا للخروج من هذا المأزق الا بالتأكيد على موعد الانتخابات الذى حددناه فى فبراير ١٩٥٣ ، وقلت لمندوبى الصحف فى ذلك الوقت :
ـ اذا تم تطهير قواعد الاحزاب التى مهما احاط بقادتها من شبهات ، فإنها ولاشك سليمة ، لانها فى مجموعها تشكل شعبنا العظيم .
لكن . .
قبل أن يأتى فبراير ١٩٥٣ ، كانت هناك كارثة اكبر من تنظيم وتطهير الاحزاب . . كان هناك قانون جديد لالغائها . .
وقبل أن استطرد فى سرد هذه القصة الجديدة ، أريد أن أتوقف عند حادث هام ، قبل أن يفوت الوقت ، أو يمضى من ذاكرتى ، أو لا أجد مكانا مناسبا له بعد ذلك .
هذا الحادث هو حادث كفر الدوار .
فى أغسطس ١٩٥٢ ، وقع تمرد عنيف فى مصنع غزل القطن بكفر الدوار ، ووردت الأنباء التى تؤكد أن المظاهرات التى خرجت من المصنع ، وقام بها العمال ، تحولت إلى مصادمات مع رجال البوليس ، أدت إلى قتل ٩ أشخاص ، من بينهم اثنان من رجال البوليس ، وجرح ٢٣ شخصا آخرين ، بالاضافة الى سبعة من رجال البوليس .
واشتعلت النيران فى العربات والأشجار والمبانى .
وقيل لنا :
ـ ان المسئولين عن هذا التمرد من الشيوعيين ، الذين كانوا فى الحزب الشيوعى المنحل ، المعروف باسم حدتو .
وقيل لنا :

- انها محاولة من الشيوعيين للتخلص من الثورة ومن رجالها .
وفى الحقيقة ، لم اعرف حتى الآن ما هو السبب الحقيقى وراء ما حدث فى كفر الدوار ، خاصة وأن كل تصريحاتى فى ذلك الوقت كانت عن العدالة الاجتماعية ومقاومة الفساد ، وزفع مستوى الطبقات الكادحة ، من عمال وفلاحين . . لماذا تظاهروا ضدنا فى كفر الدوار اذن ! . . الله أعلم .
وكان على ان اعيد النظام بعد هذه الفوضى . . فأمرت بتشكيل مجلس عسكرى ، ينعقد فى المصنع نفسه ، برئاسة عبدالمنعم امين ، لتظهر الحقيقة أو على الأقل نتلمس الطريق اليها .
وحوكم ٢٩ شخصا أمام المجلس العسكرى ، حكم على اثنين منهم بالاعدام وحكم على ١٢ آخرون باحكام مختلفة ، تتراوح مابين ٥ الى ١٥ سنة ، وافرج عن الباقى .
كان اللذان حكم عليها بالاعدام هما : مصطفى خميس ومحمد البقرى وهما أصلا من العمال .
وارسل لى عبدالمنعم أمين الحكم للتصديق عليه . .
وتوقفت . .
كيف اصدق على حكم بالاعدام وحركتنا لم يمض عليها سوى أسابيع قليلة !
وطلبت أن اقابل خميس والبقرى . .
ووجدت على مكتبى اكوام من التقارير المخيفة ، التى تفرض علينا الخوف من الاضطرابات العمالية ، وتطالبنا بالضرب على يد كل من يتصور امكانية قلب العمال علينا . .
وأحسست أنها تقارير كاذبة . . وأنها كتبت بنفس الأسلوب الذى كان يكتب به البوليس السياسى تقاريره إلى الملك . .
لقد تغير العهد وتغير الرجال ، لكن أسلوب هذه التقارير لم يتغير .
وحضر مصطفى خميس الى مكتبى بالقيادة . .
دخل ثابتا . . مرفوع الرأس . . وكأنه فى حفل زفاف . .
طلبت منه أن يتعاون مع المدعى العام ، ويشرح له الدوافع التى جعلته يفعل ذلك ، أو ليقل لنا من وراءة . . لكنه قال فى اصرار :
- لا أحد ورائى . .
وقال :
- انا لم ارتكب ما يستحق الاعدام .

فلم أجد مفرا من التصديق على الحكم .
بعد يومين من حادث كفر الدوار ، وقع حادث من نوع آخر فى مدينة مغاغة ، بالقرب من المنيا ، فى الصعيد . .
امتطى أحد ملاك الأرض ، هو عدلى لملوم ، جواده ، ومعه ٣٥ رجلا ، وحوطوا الفلاحين ، وأخذوا يطلقون النار فى الهواء على طريقة رعاة البقر ، معارضين الفكرة التى قيلت عن تحديد الملكية ، وذلك قبل أن يصدر القانون . . وقبض على عدلى لملوم وآخرين ، وقدموا هم ايضا لمجلس عسكرى عقد فى المنيا . . ولان الحادث لم يسفر عن ضحايا ، فقد اكتفت المحكمة بحبس لملوم مدى الحياة .

وعندما نفذنا الحكم فى خميس والبقرى هاجمتنا أجهزة الأعلام الاشتراكية ، واتهمونا بمعاداة التقدم ، بينما أتهمتنا بعض أجهزة الاعلام الغربية بالفاشية . . وكانوا من قبل يتهموننا بالشيوعية .
وسألنى مندوب الفيجارو الفرنسية عن ذلك ، فقلت له :
ـ ليس لحركة الجيش المصرى أية اتجاهات شيوعية أو فاشية !
لقد كان لنا فى كل خطوة وكل يوم اعداء . .
ولكن . . كان نصيبنا من الاعداء اكبر بعد الغاء الدستور والاحزاب .

الفصل الثامن

التحول إلى الديكتاتورية

- السياسيون ينقلبون علينا . . والجيش أيضا .
- تحمس الوفد والشيوعيون للتخلص منا والاخوان وقفوا يتفرجون .
- عبد الناصر يفرج عن متآمرى المدفعية لينقذوه من متآمرى الفرسان .
- الرجل الذى قال لى ليلا : يا ظالم . . يا ظالم .
- سليمان حافظ نجح فى اقناع ضباط الثورة بالغاء الدستور وحل الأحزاب وضرب الديمقراطية .
- رفضت الانتقال إلى قصر عابدين وفضلت البقاء وأنا رئيس جمهورية فى بيتى القديم المتواضع .

كان موعد الانتخابات البرلمانية الجديدة ، كما وعدت ، فى فبراير ١٩٥٣ . كنت أعتبر هذا الموعد هو تاريخ إعادة الحياة الديمقراطية كاملة إلى مصر . كنت أعتبره التاريخ الذى يعود فيه الضباط إلى الثكنات والسياسيين إلى البرلمان ، والحياة إلى طبيعتها .

لكن . . .

فى منتصف ليل ١٦ - ١٧ يناير وقعت مفاجأة أطاحت بكل هذه الأحلام . أذيع باسمى الاعلان الدستورى التالى ، بصفتى القائد العام للقوات المسلحة ورئيس حركة الجيش ، إلى الشعب المصرى :

« لقد استمدت ثورة الجيش قوتها من إيمانها الكامل بحق جميع المواطنين فى حياة قوية شريفة وعدل تام مطلق وحرية كاملة شاملة فى ظل دستور سليم يعبر عن رغبات الشعب وينظم العلاقة بين الحاكمين والمحكومين ، ولما كان أول أهداف الثورة هو إجلاء الأجنبى عن الوطن ، ولما كنا آخذين الآن فى تحقيق هذا الهدف الأكبر والسير به إلى غايته مهما تكن الظروف والعقبات ، فإننا كنا ننتظر من الأحزاب أن تقدر مصلحة الوطن العليا فتقلع عن الأساليب السياسية المخزية التى أودت بكيان البلاد ومزقت وحدتها وفرقت شملها لمصلحة نفر قليل من محترفى السياسة وأدعياء الوطنية . ولكن على العكس من ذلك اتضح لنا أن الشهوات الشخصية والمصالح الحزبية التى أفسدت أهداف ثورة ١٩١٩ ، تريد أن تسعى سعيها ثانية بالتفرقة فى هذا الوقت الخطير من تاريخ الوطن . فلم تتورع بعض العناصر عن الاتصال بدولة أجنبية وتدبر ما من شأنه الرجوع بالبلاد إلى حالة الفساد السابقة ، بل الفوضى المؤسفة مستعينين بالمال والدسائس فى ظل الحرية . . ونسى أولئك وهؤلاء أننا نقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه بالخروج على إجماع الشعب أو العبث بمستقبله ، ولذلك فقد أمرت باتخاذ أشد وأعنف التدابير ضد كل مارق أو خائن يسعى بالفتن بين صفوف الأمة المتحدة ، ولما كانت الأحزاب على طريقها القديم وبعقليتها الرجعية لا تمثل إلا الخطر الشديد على كيان البلاد ومستقبلها فإننى أعلن حل جميع الأحزاب السياسية ومصادرة جميع أموالها لصالح الشعب بدلا من أن تنفق لبذر بذور الفتن والشقاق ولكى تنعم البلاد بالاستقرار والانتاج أعلن قيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات حتى نتمكن من إقامة حكم ديمقراطى دستورى سليم . ومنذ اليوم لن أسمح بأى عبث أو ضرر

بمصالح الوطن ، وسأضرب بمنتهى الشدة على يد كل من يقف فى طريق أهدافنا التى صنعتها الآمكم الطويلة وتتمثل فيها رغباتكم وأمنياتكم نحو مستقبل كريم على نفوسنا وعلى العالمين .

والله ولى التوفيق »

ونشر صباح اليوم التالى فى الصحف .

ونشر معه بيان موجز من القيادة ، جاء فيه :

« صدرت الأوامر مساء أمس الأول بالتحفظ على ٣٥ ضابطا من الجيش حامت الشبهات حول بعض تصرفاتهم ،وتقوم الجهات المختصة بالتحقيق السريع لإظهار الحقائق وسيعود البرىء إلى عمله وسيلقى من تثبت إدانته جزاءه » .

مساء ذلك اليوم ، عقدت مؤتمرا صحفيا ، بالقيادة ، شرحت فيه أسباب حل الأحزاب ووزعت البيان التالى :

« ثبت لنا أن أشخاصا لاتهمهم إلا مصلحتهم الشخصية الرخيصة قد اتصلوا بعدد من الطلبة والعمال مستعملين كل وسائل الإغراء من وعد وغش ومال محاولين إحداث فتنة واضطرابات يوم ١٢ يناير الحالى وهو يوم احتفال الجامعة بذكرى شهدائها . وقد كان الطلبة عند حسن ظننا بهم فلم يلق دعاة الفتن منهم أى استجابة وشهدتم وشهدت مصر أن طلبة الجامعة كانوا مثالا يحتذى به فى النظام والاتحاد والرجولة . فمثلوا شعار الحركة أصدق تمثيل ، وأثبتوا أنهم يحترمون جلال الذكرى وأنهم يقدرون مصلحة الوطن وأنهم يجلون ثورة الشعب ، ولايصرفهم عن أداء حق الوطن أى إغراء . فما بالكم بإغراء رخيص من أشخاص كان كل همهم ومازال ، أن يسخروا كل ما فى الدولة لخدمة شهواتهم ومصالحهم الخاصة . وقد مر يوم ١٢ يناير بسلام وبدا واضحا بعد الذى ثبت لنا أننا نخل إخلالا خطيرا بواجبنا إذا تهاونا مع أولئك الذين يفسدون الأخلاق ويعبثون بمصالح الوطن ويثيرون طوائفه المتحدة المتحابة فى هذه الفترة الخطيرة من تاريخ مصر . كذلك تأكد لنا أن بعض الضباط حاولوا أن يبثوا فى صفوف إخوانهم روح التشكيك فى النظام محاولين بذلك إرضاء غرور وحسد . وظاهر أن محاولاتهم لم يكن لها من أثر إلا كشفهم وأن الجيش بقى كما كان صفا واحدا وقلبا واحدا يمثل المواقع التى اختارها بنفسه فى معركة الإصلاح . ورغم أن

تلك المحاولات ذهبت عبثا إلا أن واجبنا نحو الوطن ونحو الجيش يقتضى بداهة أن نضع هؤلاء تحت التحفظ لكى يبقوا بعيدا ولكى يبقى الجو دائما صافيا لا يكدره طامع أو حاسد أو حقود . ويجرى الآن تحقيق نزيه سوف يبين منه البرىء ويخلى سبيله ، والمذنب فيلقى جزاءه ، وأخيرا فقد أفسح الجيش للأحزاب صدره وكان ينتظر منها أن تحسن تقدير الموقف وأن تؤدى بعض حق الوطن عليها ولكنها ـ كما رأيتم ـ إستغلت سعة صدرنا أسوأ إستغلال وأرادت أن تحول نعمة الحرية إلى فوضى الحزبية فلم تتورع عن إنفاق أموالها فى الإغراء على الأضرابات ولم تستنكف الدس ، بل ومن تحقيق أغراض بعض الجهات الأجنبية ، ولما كنا فى فترة تستلزم أن يسود البلد فيها هدوء شامل لكى تتوافر الطمأنينة والأمن لساكنى مصر من وطنيين وضيوف . . ولكى تحصر مصر جميع جهودها لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية كان واجبا علينا أن نحل تلك الأحزاب التى جربت ففشلت والتى صنعت من مصالح الوطن ما صنعت ، وأن توجه أموالها لصالح الوطن الذى أكرمهم وأساءوا إليه ومازالوا يسيئون .

وكان لزاما علينا كذلك أن ننير الطريق أمام الشعب وأن نمكن للهدوء والاستقرار . ولذلك أعلنت بدء فترة إنتقال مدتها ثلاث سنوات نعد فيها كل أسس الحكم الدستورى السليم . وقد أعلنت أنى سأضرب بغاية الشدة كل من تحدثه نفسه فى الوقوف أمام إرادة الشعب الذى عزم عزما أكيدا على أن يتفرغ للإصلاح والبناء » .

ما الذى حدث واستدعى كل هذه القرارت الصارمة ؟

أكثر من سبب ، وأكثر من حادث دفعنا لإتخاذ هذا القرار . .

هاجمتنا ، بلا هوادة ، وبلا رحمة ، الصحف الحزبية ، بمختلف إتجاهاتها . . الوفد . . الإخوان . . الشيوعيون . . وغيرهم . . وراحوا يقللون من أهمية الثورة . . ويشككون فى خطواتها . . ويدعون الناس لإسقاط من هم على رأسها .

وتحول كلام الصحف إلى مؤامرات صغيرة لتحريك طلبة الجامعة . . وتحريض العمال . . وتهييج المصلين فى المساجد . . وكان ذنبنا هو أننا طردنا الملك ، ونحاول القضاء على آثاره التى خلفها وراءه .

كان الوفد ، فى ذلك الوقت هو أقوى الأحزاب . . وكان زعيمه مصطفى النحاس محبوبا من الجماهير . . لكن كان حوله مجموعة من الأشخاص غير المحبوبين . . والذين أحسوا أن فرصتهم مع الثورة كانت أقل من فرصتهم مع الملك ، فتحمسوا لكل من يسعى للتخلص منها . . وتضامن مع الوفد الشيوعيون . .

ومن جهة أخرى ساهم الإخوان فى الحملة . . ورغم ذلك إعتبرنا الإخوان جماعة ، فلم يشملها قرار الحل ، على أمل أن تدعم الثورة من خلال هيئة التحرير التى شكلت لملء الفراغ بعد حل الأحزاب السياسية .

وبرغم كل ذلك ، لم أكن متحمسا لهذا القرار . .

وكالعادة كان يقود الحملة من أجل إصداره سليمان حافظ . .

وكالعادة ايضا وافقت عليه الاغلبية فى مجلس القيادة . .

فلم أجد مفراً ، لإعلانه . .

وفى الوقت الذى كان يحدث فيه كل هذا خارج الجيش ، كان بعض الضباط فى داخله يتحركون للقضاء علينا .

وهؤلاء الضباط هم الذين اتهموا فيما سمى بانقلاب المدفعية .

كان عددهم حوالى ٣٥ ضابطا . . وكانوا جميعا من الضباط الأحرار الذين كان لهم دور بارز فى تحركات ليلة ٢٣ يوليو . . وبعد تحديد إقامة رشاد مهنا فى أكتوبر ١٩٥٢ ، بدأ هؤلاء الضباط يوجهون الانتقادات العلنية لضباط القيادة ، ويتهمون العديد من رجالها مثال عبد المنعم أمين وصلاح سالم ، وأنور السادات ، باستغلال نفوذهم لتحقيق مصالحهم الخاصة . . وقاموا بتجميع ضباط من أسلحة أخرى وضمهم إليهم ، ومدوا جسورا مع المدنيين ورجال الأحزاب ، ومرشد الإخوان ، وقرروا أن يقبضوا علينا بالقوة ، وأن يجبرونى على إعلان بيان يتضمن ما يريدون اعلانه .

وخلال الشهور الثلاثة التى سبقت القبض عليهم ، فى منتصف يناير ١٩٥٣ ، فشلت كل جهودنا فى إعادتهم إلى حظيرة الثورة والانضباط . . فلم نجد مفرا من القبض عليهم . . وقدموا إلى محاكمة عسكرية كانت مشكلة من مجلس قيادة الثورة نفسه . . وحكم عليهم أحكاما تتراوح ما بين المؤبد والبراءة . . وظلوا فى

السجن ، حتى وقع تمرد الفرسان فى مارس ١٩٥٤ ، فطلب عبد الناصر الإفراج عنهم ، حتى يساعدوا الجيش فى القضاء على تمرد الفرسان .

وخرج ضباط المدفعية من السجن . .

ودخل ضباط الفرسان . .

على أن كل هذه الأسباب التى لم نعلن تفاصيلها فى حينها ، عندما أعلنا حل الأحزاب ، لم تكن لتقنع أحدا بضرورة ذلك القرار .

فتعرضنا إلى هجوم من كل صحافة العالم ، خاصة صحافة الغرب . وأطلقت على تلك الصحافة لقب « الديكتاتور العادل » . . أو الديكتاتور المهذب .

ان صحافة العالم التى لصقت بى هذا اللقب ، لم تكن لتدرك أن الثورة التى حظيت بموافقة الأغلبية الساحقة ، كان لها أعداء ، كانوا رغم قلتهم أقوياء . . وكان بإمكانهم تدمير الثورة .

ولكونى ديكتاتورا عادلا ، تعرضت للنقد الشديد من أولئك الذين يريدون ديكتاتورا حقيقيا . . كان أولئك يحلمون بأتاتورك مصرى . . وجاء عليهم وقت اعتقدوا فيه أن فاروق كان يمكن أن يلعب هذا الدور . . وأعتقدت أنا كذلك . . لكنه خيب ظننا . . وبعد الثورة توقعوا أن العب أنا هذا الدور . . لكننى خيبت ظنهم أيضا . . فاتجه تفكيرهم إلى جمال عبد الناصر ليقوم بهذا الدور ولا أعتقد أنه خيب آمالهم .

كنت أعرف جيدا أن مصر ليست فى حاجة إلى أتاتورك . . لأن مصر ليست مثل تركيا . . ولأن المصريين ليسوا مثل الأتراك . . فالأتراك لم يفقدوا استقلالهم ، بينما نحن فى ذلك الوقت لم نكن قد استعدنا استقلالنا كاملا ، منذ هزيمتنا أمام الفرس عام ٥٢٥ قبل الميلاد . . وبعد أن حكمنا الفرس ، جاء الإغريق ، والرومان ، والبيزنطيون ، والعرب ، والعثمانيون ، والفرنسيون والأنجليز . .

والآن نحن فى وضع معقول من السيادة القومية ، وأن كان يجب أن نرقى من خلاله إلى مستوى السلوك الدولى ، وإلا فإننا سوف نجد أنفسنا فى صراع مع القوى الدولية التى تتمثل مصالحها فى قناة السويس .

صحيح أن نفس الشيء يمكن أن يقال عن البسفور والدردنيل فى تركيا ، حيث إنها مناطق لها أهمية سواء للغرب أو لروسيا ، لكنها مع ذلك أقل أهمية من قناة السويس . . شريان التجارة والاتصال .

وهناك سبب آخر جعل الثورة المصرية لم تفرخ ، فى البداية ، أتاتورك جديد ، هو أنها كانت ثورة جماعية وليست فردية . . ففى الفترة الأولى منها كنا نمارس عملنا ممارسة ديمقراطية ، داخل مجلس القيادة ، لايستبد أحد برأيه ولا يستطيع أن ينفرد بإرادته . . وكانت الأغلبية هى الحكم الوحيد . .

ثم . . إن طبيعة الشعب المصرى الذى يكره النظام التسلطى جعلت من الصعب إفراز أتاتورك آخر له .

وبالرغم من « الديكتاتورية المهذبة » فقد حاولت أن تقوم قراراتنا على الإقناع . .
وكذلك بأن أكون مثلا يحتذى به . .

وكثيرا ما خرقت شروط واحتياطيات الأمن ، وسافرت إلى أرجاء متفرقة فى مصر ، سمعت خلالها شكاوى الناس ، وشجعتهم على الإفشاء عما فى صدورهم . . وكنت أتحدث للناس بلغتهم . . ولم تتعرض حياتى لأى خطر . . وكان حدسى سليما دائما . . اللهم مرة واحدة فقط .
كنت عائدا إلى منزلى فى يوليو ١٩٥٣ ، فلاحظت رجلا يرتدى ثيابا رثة ويصرخ :
- ياظالم . . ياظالم .
كان عجوزا ، إلى درجة أنه لايمكن أن يحدث بى أى أذى ، فأوقفت سيارتى وأمرت حارسى الخاص بأن يحضره إلى منزلى فى اليوم التالى . .

عرفت منه أن أسمه أحمد محمد منصور وأنه كان لص خزائن ، وقبض عليه ٣٣ مرة ، وقضى قرابة ٢٨ سنة فى مختلف السجون ، وبالرغم من أنه كان يريد أن يحيا حياة شريفة إلا أن البوليس منعه من ذلك . .

كان يرغب فى استخراج رخصة لبيع المشروبات الغازية ولكن طلبه كان يرفض دائما بسبب سوابقه . .

أعطيته ٥ جنيهات ليشترى بها ثلاجة صغيرة لبيع المرطبات ، وعلمت فيما بعد أنه أصبح يبيع المشروبات فى كشك أقامه أمام أحد أقسام البوليس .

كان أحمد محمد منصور واحدا من الآلاف الذين ساعدتهم . . وأنا أذكر هذه الواقعة لأوضح مدى اقتناعى بأن الشعب المصرى يمكن أن تكسبه بالود وليس بالعنف .

لكن هذه النصيحة فشلت فى أن أقنع بها زملائى الضباط فى مجلس القيادة .
كانوا شبابا . .
وكانت خبرتهم فى الحياة بسيطة . .
وكانت خبرتهم فى الحكم أبسط . .

أحسوا أنهم يحكمون ، فاندفعوا يتعاملون بعنف ، وبغطرسة ، مع الآخرين ، حتى زملائهم فى التنظيم وفى الحركة ، تعاملوا معهم بنفس الأسلوب . .
وقد كنت أتصور أن الأمر داخل الجيش سيعود إلى طبيعته بعد القبض على ضباط المدفعية ، لكن هذا لم يحدث . .
وكان الدور على يوسف صديق . .
بعد القبض على ضباط المدفعية ، جاء يوسف صديق وسألنى :
ـ لماذا قبضتم عليهم ؟
فقلت له :
ـ والله يا يوسف ، المعلومات التى وضعت أمامى تؤكد أنهم دبروا عملا عنيفا للتخلص منا ، وهناك أكثر من دليل ضدهم . . وقد أردت أن أضعهم داخل ميس أحدى الوحدات ، كما ينص قانون الجيش ، إلا أنك تعرف جيدا أن باقى ضباط القيادة رفضوا ذلك ، وأكدوا أننا لو لم نذخلهم السجن ، فإنهم سيقلبون الدنيا حولنا . . فما كان على إلا أن أمرت باخلاء سجن الأجانب من نزلائه ليكون أشبه بمعتقل خاص لهؤلاء الضباط فقط .
قال :
ـ أنا لا أعتقد أنهم كانوا يدبرون إنقلابا ضدنا ، وإلا لما جاءوا بحسن نية إلى مجلس القيادة وتناقشوا مع بعضنا بصراحة ووضوح وطالبوا بتمثيل الجيش فى مجلس القيادة عن طريق الانتخابات .
ـ ربما كان عندك حق يا يوسف ، ولكن أنت تعرف جيدا أن زكريا محيى الدين هو الذى تولى محاكمتهم وقدم للمجلس الأوراق للتصديق عليها .

وكان عند يوسف صديق حق فعلا . .
فقد عقد ضباط المدفعية ، الذين أذكر منهم الآن محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت ، جلسة عاجلة وقدموا اقتراحاتهم لعبد الناصر ولكمال الدين حسين . .
وبعد أن انصرفوا عقد ضباط القيادة جلسة عاجلة لمناقشة اقتراحاتهم . . وفى هذه الجلسة وضح لنا أن يوسف صديق كان من المؤيدين للانتخابات . . وأذكر أن أحد أعضاء المجلس سأله :
ـ هل تضمن أنت النجاح فى الانتخابات ؟
فقال :
ـ هذا لايهم . . المهم هو المبدأ !
ولم يؤخذ باقتراحات ضباط المدفعية . . فى هذا الاجتماع . . بل تقرر فيه القبض عليهم . .
وبمجرد أن قبض على ضباط المدفعية قدم يوسف صديق استقالته .
وقال :
ـ « إن ضميره لا يمكن أن يستقيم وهو عضو فى مجلس يصدر قرارات تخالف أفكاره وعقيدته . . ولا يستقيم الأمر بأن قرارات المجلس تصدر بالأغلبية ، فإن المجلس فى ذاته لا يمثل الشعب ولا يمثل الجيش أيضا » .

ورفض المجلس اعلان استقالة يوسف صديق . .

وأجبر على الرحيل إلى سويسرا فى مارس ١٩٥٣ . . بعد حوالى شهرين تقريبا .

وتألمت لاستقالة يوسف ، وتصورت ساعتها أنها بسبب الاعتقالات الأخيرة التى قمنا بها لبعض الشيوعيين . . لكنى تأكدت فيما بعد أنه كان يرفض كل الإجراءات الأخيرة التى صدرت . . من الغاء الأحزاب إلى الأعتقال . . ومن فرض الرقابة على الصحافة إلى معاملة الضباط الأحرار المعتقلين بقسوة . .
كان يوسف صديق يدعو للتمسك بالدستور ويطالب بدعوة البرلمان المنحل للانعقاد لتعيين مجلس الوصاية . .
كان مع كل ما هو دستورى ، رغم أنه كان شيوعيا .

وبمناسبة شيوعية يوسف صديق ، أذكر أن جمال عبد الناصر عندما كان مديرا لمكتبى ، كان يحذرنى منه ويقول لى :

ـ خذ حذرك . . فيوسف صديق شيوعى كبير .
وأكثر من واحد فى مجلس القيادة قال لى :
ـ يوسف شيوعى يريد أن ينحرف بالثورة للاتجاه الأحمر .
ولم يكن هذا الكلام ليؤثر على ، خاصة وأننى أحترم حق كل أنسان فى أفكاره وعقيدته ، وكنت أداعبه ، وأقول له مازحا ، كلما رأيته :
أهلا بالرفيق يوسف ستالين !
وبعد يوسف صديق كان الضحية التالية البكباشى حسنى الدمنهورى . . الضابط باللواء الرابع .

اعترض حسنى الدمنهورى هو الآخر على اعتقال ضباط المدفعية ، وطلب من رئيس الأركان اللواء محمد إبراهيم أن يفسر له ما حدث . . فقبض عليه فى منزله . . وحققت معه لجنة من عبد اللطيف البغداوى وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وصلاح سالم . . واتهموه بأنه كان يعد مؤامرة للانقضاض على مجلس القيادة ، والإفراج عن الضباط المعتقلين .

وعرفت من جمال عبد الناصر أن حسنى الدمنهورى سيحاكم أمام مجلس القيادة . .
فاعترضت . .
وقلت له :
ـ كيف تكون الخصم والحكم ؟
لكنه قال :
ـ فات الوقت . . إننا سنجتمع بعد ساعة واحدة ، أى فى السادسة صباحا ، ويحسن أن يحاكم الدمنهورى بهذه الصورة حتى لا تكون محاكمته خارجنا موضوعا للإثارة فى صفوف الجيش فى هذا الوقت الحرج .

ورأس جمال عبد الناصر المحكمة ، التى حضرها كل أعضاء مجلس القيادة ما عدا يوسف صديق وعبد المنعم أمين ، وخالد محيى الدين وأنور السادات . . وأصدرت الحكم بالإعدام .
وأبلغنى عبد الناصر بالحكم . . وطلب منى التصديق عليه . . لكننى رفضت . . وحاول إقناعى . . إلا أننى صرخت فيه قائلا :
ـ إننى لا أريد أن أمضى فى طريق مفروش بدماء الزملاء من الضباط

واقتنعت بصحة موقفى أكثر عندما أخبرنى اليوزباشى محمد أحمد رياض أنه شاهد البكباشى حسنى الدمنهورى وهو يتعرض لتعذيب شرس وإهانة قاسية من صلاح سالم . . حتى يدفعوه للاعتراف بمؤامرة لم يرتكبها . . ولم يفكر فيها . . وتحمل الدمنهورى كل هذا العذاب النفسى و البدنى ، ورفض الاعتراف . لقد أصبحنا مثل السمك نأكل بعضنا . .

وأصبح أعضاء القيادة فى حالة خوف وفزع وتوتر لاينتهى . . كانوا يخشون من أى إنقلاب يطيح بسلطانهم وبنفوذهم . . وكانوا على أتم الاستعداد ليفعلوا أى شىء لا يوصل غيرهم إلى السلطة .
وانتقلت أحاسيسهم المريضة وتصرفاتهم العصبية من داخل الجيش إلى خارجه . .

فبعد يومين من إعتقال ضباط المدفعية صدر قرار حل الأحزاب السياسية . . وتشكل مجلس القيادة صراحة باسم مجلس قيادة الثورة . . وعادت الرقابة على الصحف . . وأعد مشروع قانون العمل والعمال الجديد الذى ينص على إباحة الفصل وتحريم الأضراب . .

وصرح جمال عبد الناصر لأحمد أبو الفتح :
ـ إن الانتخابات تأجلت حتى ننتهى من قضية الجلاء .
وضرب عبد الناصر بهذا التصريح اتفاقنا القديم على إجراء الانتخابات فى فبراير ١٩٥٣ .

وكان تصريحه مفزعا للديمقراطيين ، لأن المفاوضات مع الأنجليز لم تكن قد بدأت بعد .

واستغل سليمان حافظ الازدواجية التى كانت موجودة بين مجلس القيادة والوزارة ، فراح من جانبه ، هو الآخر يعبث بما تبقى فى هذه البلد من ديمقراطية . . فأصدر عدة تشريعات منافية للديمقراطية منها فصل الموظف دون اللجوء للطريق التأديبى . . وحرمان رجال القضاء المعزولين من معاشاتهم . . وإحالة جرائم الإصلاح الزراعى للمحاكم العسكرية . . وكان لابد أن يحاول مجلس قيادة الثورة أن يغطى كل هذه الإجراءات ، بعد أن رفض الإعلان عن معظمها ، وذلك بالاحتفال بما سمى بمهرجان التحرير .

كان المهرجان من ٢٣ ـ ٢٦ يناير ١٩٥٣ ، بمناسبة مرور ستة أشهر على نجاح الثورة وبقائنا فى السلطة . . وقد أقيم الاحتفال فى ميدان الاسماعيلية التى أصبح اسمه « ميدان التحرير » . . وفى هذا الاحتفال أعلنا قيام هيئة التحرير ، لتحل محل الأحزاب ، كجبهة واحدة ، قومية ، مهمتها تحضير الناس ، خلال فترة الانتقال ، لعودة الأحزاب على أسس سليمة .

وجاء فى بيان إعلان قيام الهيئة :

« إنها طريق للعمل المفتوح أمام المصريين جميعا » .

وجاء فى البيان أيضا :

« إنه للمرة الأولى فى تاريخ البلد تتحول السياسة إلى عمل . فلقد كانت فكرة العهد الماضى عن السياسة أنها مناورات وحيل ومغامرات ومكاسب ومغانم ، أما فكرة العهد الجديد عن السياسة أنها عمل وإنتاج ، فكل مصرى يعمل وينتج هو سياسى فى نفس الوقت . لأن الإنتاج يزيد الثروة الفردية والثروة القومية فإذا زادت الثروة الفردية انحلت الكثير من مشاكل الفرد ، وإذا زادت الثروة القومية ازداد مركز مصر فى العالم تفوقا » .

وعندما أقرأ مثل هذا الكلام الآن أشعر إلى أى مدى كانت سذاجتنا فى تلك الايام .

وهذا ليس مجالنا الآن . .

نحن الآن نرصد التاريخ بمنتهى الأمانة ، ومن خلال هذا الرصد الأمين سيتضح ما لنا وما علينا . .

فى ذلك الوقت قدمنا هيئة التحرير بهذا البيان . . وحددنا أهدافها فيما يلى :

١ ـ إتمام الإنسحاب غير المشروط للقوات الأجنبية فى وادى النيل .

٢ ـ تقرير مصير السودان .

٣ ـ إقامة دستور جديد يعبر عن أمانى الشعب المصرى .

٤ ـ ضمان اجتماعى يحمى كل المواطنين من البطالة والمرض والشيخوخة .

٥ ـ نظام اقتصادى يضمن عدالة توزيع الثروة واستغلال الموارد الطبيعية والإنسانية اقصى استغلال .

٦ ـ نظام سياسى يتساوى فيه الأفراد أمام القانون وحرية التعبير والاجتماع والعقيدة تكون مكفولة .

٧ ـ نظام تعليمى يحث المواطن على المشاركة الاجتماعية وزيادة الانتاج لرفع مستوى المعيشة .
٨ ـ علاقات صداقة مع كل البلاد العربية .
٩ ـ سلام إقليمى يهدف زيادة فاعلية الجامعة العربية .
١٠ ـ علاقات صداقة مع كل القوى العظمى .
١١ ـ الالتصاق بمبادىء الأمم المتحدة .
باختصار سمك . لبن . تمر هندى .
باختصار كل برامج الحكومة والثورة وكل أحلام المستقبل وكل أمانى الماضى

وفكرة هيئة التحرير هى فكرة جمال عبد الناصر . .

فقد استدعى فى أكتوبر ١٩٥٢ الصاغ إبراهيم الطحاوى وقال له :
ـ لقد يئست من أن تصلح الأحزاب نفسها وتسير فى ركاب الأحرار ولذا فلابد من أيجاد الهيئة الجديدة التى تضم العناصر الصالحة . . فما رايك ؟ . . هل تستطيع أن تنفذ هذه الفكرة !
فرد عليه :
ـ سأدرس الموضوع !
وظل الموضوع يدرس حتى أعلنت هيئة التحرير فى مهرجان التحرير .
وفى هذا الاحتفال ، أخذت أتلو القسم التالى ، والجماهير تردده من ورائى
« اللهم إنك تحب الأقوياء . . وتكره المستضعفين وتنشر رحمتك على الذين يؤثرون الموت العزيز فى سبيل الحرية . . على الحياة الذليلة . . فى مجال الاستعباد . .
« اللهم وانك لقريب . . ترى وتسمع وإنا لنقسم بذاتك العليا . . على أن نعمل ما وسعنا العمل . . لإرساء قواعد الحياة المقبلة . . لوطننا المفدى . . على أصول محررة من العبودية . . منزهة عن الهوى . . موصولة بالحق والعدل . . وأن نبذل فى سبيل ذلك . . كل ما تقتضيه مصلحة أمتنا . . ويبتغيه شرف بلادنا . . وأن يكون شعارنا دائما الاتحاد . . والنظام . . والعمل . . اللهم فاشهد . . وانت خير الشاهدين . . »

كانت المرة الأولى فى تاريخ مصر التى يحدث فيها مثل هذا المشهد بين الحاكم والجماهير .

وكانت المرة الأولى التى أطلق فيها شعار : الاتحاد والنظام والعمل .

وكانت المرة الأولى التى يرفرف فيها علم التحرير الذى يتكون من الأحمر والأبيض والأسود على التوازى ، وهى ألوان تمثل دماء الكفاح وطهارة المبادىء وفساد الماضى .

وكانت المرة الأولى التى نغير فيها السلام الملكى ونستبدله بسلام وطنى جديد .

وبعد أيام . . وفى ١٠ فبراير ١٩٥٣ ، أعلنت على الشعب الدستور المؤقت . . بعد أن ألغينا دستور ١٩٢٣ .

أعود للوراء قليلا لأحكى قصة إلغاء دستور ١٩٢٣ . .

وهى قصة تعود إلى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ . . يوم أعلنت فى منزلى فى الحلمية ، عبر محطة الإذاعة ، بحضور أنور السادات ، وإسقاط الدستور . . وبالرغم من أن قرار إسقاط الدستور جاء قبل قرار حل الأحزاب السياسية ، إلا أننى أعتبر القرار الأخير أهم ، وأخطر ، من القرار الأول ، لذلك تكلمت عنه أولا . خاصة وأن قرار إسقاط الدستور سبقه تمهيد من الصحف ، وكبار القانونيين الذين طالبوا من خلال مقالاتهم ، بذلك . . وكانت حجتهم أن الدستور قد سقط فعلا بعد الثورة . . وأن ما تبقى منه ، بعض نصوص لم تعد تتمشى مع أهداف هذه الثورة . . وعلى ذلك طالب البعض بوجوب إصدار دستور جديد ، يحل محل الدستور المنهار . . وطالب البعض الآخر بتعديل الدستور على الأقل .

واقترن هذا الخلاف بخلاف آخر حول ، من الذى يعدل ، أو يغير الدستور ؟ . . الحكومة ؟ . . جمعية تأسيسية منتخبة ؟ . . ولم نتدخل فى مثل هذه المناقشات . . لكننا أحسسنا أن دستور ١٩٢٣ لم يعد يرضى أحدا . . ومع ذلك لم أكن متحمسا للتعجيل بهذه الخطوة . . وجاء سليمان حافظ ، بعد ذلك ، ليقنعنا عمليا بضرورة إلغاء دستور ١٩٢٣ .

كنا قد شكلنا لجانا للتطهير . . وكان بعض هذه اللجان لفحص حالات موظفى الدولة . . وكان البعض الآخر للتحقيق فى الأعمال الحكومية واحالة المسئولين عنها إلى المحاكم الجنائية أو الإدارية ، حسب الأحوال . . اللجان الأولى كان يرأسها قاضي . .

واللجان الأخرى كان يرأسها متشار . .

فقال لنا سليمان حافظ :

إن اللجان الأولى تعمل بسهولة . . أما اللجان الثانية فكانت تصطدم بإن عددا كبيرا من الوزراء السابقين ، الذين أدينوا ، من الصعب محاكمتهم ، لأن الدستور يحميهم ، من القضاء العادى ، ولا يقدمهم إلا أمام محكمة خاصة ، لا ترفع الدعوى أمامها إلا بقرار من مجلس النواب . . وبما أنه لا يوجد حاليا هذا المجلس . . فالحل الوحيد أمامنا هو إلغاء الدستور ، إذا كنا نريد فعلا أن نطهر المجتمع من الفساد ونتخلص من كل أذنابه .

ورفضت . .

ورفض مجلس القيادة . .

لكن سليمان حافظ لم ييأس . . فذكرته بمظاهرات الطلبة ضد اسماعيل صدقى التى كانت تطالب بإلغاء دستور ١٩٣٠ ، وعودة دستور ١٩٢٣ . . وقلت له :

- إن الغاء دستور ١٩٢٣ الآن يتعارض مع الاتجاه الشعبى العام .

وراح سليمان حافظ يلف حول باقى اعضاء مجلس القيادة ، ليقنعهم برأيه .١.

وسرعان ما استجابوا له . . ولم أجد مفرا من الاستسلام لرأى الاغلبية .

وفى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة من صباح الاربعاء ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ ، اذعت البيان التالى :

« بنى وطنى . .

عندما قام الجيش بثورته فى ٢٣ يوليو الماضى كانت البلاد قد وصلت إلى حالة من الفساد والانحلال أدى إليها تحكم ملك مستهتر وقيام حياة سياسية معيبة وحكم نيابى غير سليم ، فبدلا من أن تكون السلطة التنفيذية مسئولة أمام البرلمان ، كان البرلمان فى مختلف العهود هو الخاضع لتلك السلطة التى كانت بدورها تخضع لملك غير مسئول ، ولقد كان ذلك يتخذ من الدستور مطية لاهوائه ويجد فيه من الثغرات ما يمكنه من ذلك بمعاونة أولئك الذين كانوا يقومون بحكم البلاد ويصرفون أمورها . من أجل ذلك قامت الثورة ولم يكن هدفها التخلص من ذلك الملك وإنما كانت تستهدف الوصول بالبلاد إلى ما هو أسمى مقصدا وأبعد مدى وأبقى على مر الزمن ، من توفير أسباب الحياة القوية الكريمة التى ترتكز على دعائم من الحرية والعدالة والنظام ، حتى ينصرف أبناء الشعب إلى العمل المنتج لخير الوطن وبنيه .

والآن بعد أن بدأت حركة البناء وشملت كل مرافق الحياة فى البلاد سياسية واقتصادية واجتماعية ، أصبح لزاما علينا أن نغير الأوضاع التى كادت تؤدى

بالبلاد والتي كان يسندها ذلك الدستور الملىء بالثغرات . . ولكى نؤدى الأمانة التي وضعها الله فى أعناقنا لامناص من أن نستبدل بذلك الدستور دستورا آخر جديدا يمكن للامة ان تصل أهدافها حتى تكون بحق مصدر السلطات .

وهأنذا أعلن باسم الشعب سقوط ذلك الدستور ، سنة ١٩٢٣ ، وإنه ليسعدنى أن أعلن فى نفس الوقت إلى بنى وطنى أن الحكومة آخذة فى تأليف لجنة تضع مشروع دستور جديد يقره الشعب ويكون منزها عن عيوب الدستور الزائل ومحققا لآمال الامة فى حكم نيابى نظيف سليم . »

وبرا بالوعد الذى قطعته على نفسى ، صدر فى ١٣ يناير ١٩٥٣ ، من الوصى على العرش « باسم ملك مصر والسودان » و« بناء على عرض رئيس مجلس الوزراء اللواء محمد نجيب وموافقة رأى المجلس المذكور » مرسوم ملكى بتأليف لجنة لوضع مشروع دستور جديد « يتفق مع أهداف الثورة » .

وشكلت اللجنة من ٥٠ عضوا ، من بينهم ثلاثة من اعضاء لجنة دستور ١٩٢٣ وهم : على ماهر (باشا) ومحمد على علوبة (باشا) وعلى المنزلاوى (بك) واربعة من الوفديين هم : عبد السلام فهمى جمعة (باشا) وعلى زكى العرابى (باشا) ومحمد صلاح الدين (باشا) وعمر عمر (بك) . . واثنان من الأحرار الدستوريين هما : أحمد محمد خشبة (باشا) ومحمود محمد محمود (بك) . . واثنان من السعديين هما : محمود غالب (باشا) وعبد الحميد الساوى (بك) . . وثلاثة من الإخوان المسلمين هم : عبد القادر عوده وصالح عشماوى وحسن محمد العشماوى . . وثلاثة من الحزب الوطنى هم : عبد الرحمن الرافعى (بك) وفكرى أباظة (باشا) ومحمود جلال (بك) . .

يضاف اليهم . . ثلاثة من رجال القضاء . . وثلاثة من رجال الجيش والبوليس المتقاعدين . . وعدد من اساتذة الجامعات . . وبعض أعضاء مجلس الشيوخ السابقين . . وعدد آخر من الشخصيات العامة .

وبعد أقل من شهر صدر باسمى الدستور المؤقت . .

وكان نص الإعلان عن ذلك الدستور المؤقت هو

« إنه رغبة فى تثبيت قواعد الحكم أثناء فترة الانتقال وتنظيم الحقوق والواجبات لجميع المواطنين ولكى تنعم البلاد باستقرار شامل يتيح لنا الانتاج المثمر والنهوض

إلى المستوى الذى نرجوه لها جميعا فإنى اعلن باسم الشعب أن حكم البلاد فى فترة الانتقال سيكون وفقا للاحكام الاتية :

اولا : مبادىء عامة :

المادة ١ ـ جميع السلطات مصدرها الأمة .

المادة ٢ ـ المصريون لدى القانون سواء فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .

المادة ٣ ـ الحرية الشخصية وحرية الرأى مكفولتان فى حدود القانون وللملكية وللمنازل حرمة وفق أحكام القانون .

المادة ٤ ـ حرية العقيدة مطلقة وتحمى الدولة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقا للعادات المرعية على ألا يخل ذلك بالنظام العالم ولاينافى الآداب .

المادة ٥ ـ تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

المادة ٦ ـ لايجوز انشاء ضريبة إلا بقانون ولا يكلف أحد بأداء رسم إلا بناء على قانون ولا يجوز إعفاء أحد من ضريبة إلا فى الأحوال المبينة فى القانون .

المادة ٧ ـ القضاء مستقل لا سلطان عليه لغير القانون وتصدر أحكامة وتنفذ وفق القانون باسم الامة .

ثانيا : السيادة العليا :

المادة ٨ ـ يتولى قائد الثورة أعمال السيادة العليا وبصفة خاصة التدابير التى يراها ضرورية لحماية هذه الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافها وحق تعيين الوزراء وعزلهم .

المادة ٩ ـ يتولى مجلس الوزراء سلطتة التشريعية .

المادة ١٠ ـ يتولى مجلس الوزراء والوزراء كل فيما يخصه أعمال السلطة التنفيذية .

المادة ١١ ـ يؤلف مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمرا ينظر فى السياسة العامة للدولة وما يتصل بها من موضوعات ويناقش مايرى مناقشته من تصرفات كل وزير فى وزارته .

« أيها المواطنون . .

إننى إذ أعلن لكم هذة المبادىء والأحكام لايسعنى إلا أن أعلن أيضا عن إيمانى المطلق بضرورة قيام نظام دستورى نيابى ديمقراطى كامل الأركان أثر فترة «الانتقال

وبضرورة توفير حياة حرة كريمة ومستقبل مشرف باسم لنا وعلينا جميعا أن نساهم في بنائه .
والله ولي التوفيق

وكان هذا الاعلان بمثابة شمعة تضيء ظلام إلغاء الدستور لحين التخلص من الظلام نهائيا باعلان الدستور الجديد .
وبعد طول من الوقت انتهت لجنة الخمسين الى ما سمى بمشروع الدستور الجديد .

ومن بين ما جاء في هذا المشروع مايرى ان نأخذ بنظام الجمهورية البرلمانية على غرار نظام الجمهورية الثالثة في فرنسا . . لكن كانت الاتجاهات في مجلس القيادة ان نأخذ بالجمهورية الرئاسية .
وكان عبد الناصر هو صاحب هذا الرأى .
وقد نفذه بعد ذلك بنفسه . . وهذا واضح في كل الدساتير المؤقتة والدائمة التى صدرت في عهده .

وفي ٢٤ مارس ١٩٥٣ ، كان على لجنة « الخطوط الرئيسية » المنبثقة عن لجنة الخمسين ، ان تناقش هذه النقطة بالذات . . النقطة الخاصة بنظام الحكم . . هل يكون ملكيا . . ام جمهوريا ؟ . . هل تكون جمهورية برلمانية ؟ . . ام رئاسية ؟
وكانت اللجنة مكونة من عبد الرازق السنهورى ومكرم عبيد ، والسيد صبرى ، وعبدالرحمن الرافعى ، وعثمان خليل . . وكلهم خبراء في القانون والدستور . .

وانتهت اللجنة إلى أن يكون نظام الحكم جمهوريا . . وان تكون الجمهورية برلمانية . . ونقلت اللجنة الفرعية قرارها إلى على ماهر المسئول عن اللجنة ـ الام ، فأمر بابلاغ الخبر الى الصحف فورا ، وقال :
ـ أبلغوا الصحف بهذا الخبر حتى يكون الرأى العام وثيق الصلة بأعمال لجنة مشروع الدستور العامة ولجانها الفرعية .
وأغلب الظن أن على ماهر طلب ذلك ، لكى يرد على كل الذين اتهموا لجنة الدستور التى يرأسها بالخمول . . واذكر في هذا الصدد ما قاله أحمد أبوالفتح

رئيس تحرير جريدة المصرى ، تحت عنوان : « الدستور . . يارئيس اللجنة » . .
قال احمد ابو الفتح :
- لقد اقمنا اسابيع للأمان والنظافة والدواجن ومشوهى الحرب ونطالب بأسبوع للدستور .
واذكر انى طلبت على ماهر فى التليفون وسألته عن رأيه فى المقال . .
فقال :
- انتم لستم على عجل ، والأفضل طالما أن هناك فترة إنتقال لمدة ثلاث سنوات أن يخرج الدستور متكاملا .
فقلت :
- لا . . ياباشا . . يجب أن تنتهى اللجنة من وضع الدستور فى أسرع وقت .

وعرفت منه أن بعض أعضاء مجلس القيادة هم الذين يطلبون التأجيل . . بل ويتمنون أن لاينتهى عمل اللجنة أبدا . . فقد بدأت كلمة الدستور تؤرقهم . . وبدأوا يشعرون أن ميلاد الدستور يعنى نهاية حكمهم . . يعنى موتهم هم . .
وعندما احس على ماهر بأن موقفى من الدستور يختلف عن موقفهم ، سارع باعلان اخبار لجنته ، لتنشرها الصحف ، ويبرىء ذمته .
وفى الخامس من مايو ١٩٥٣ وافق اعضاء لجنة الدستور الخمسون على اتخاذ النظام الجمهورى أساسا لوضع مشروع الدستور الجديد . .
وقال تقرير اللجنة فى نهايته ، بعد ان استعرض مفاسد النظام الملكى :

« من أجل ذلك رأت اللجنة باجماع الاراء ترك النظام الملكى والأخذ بالنظام الجمهورى ، ويسرها أن تتلاقى هذه النتيجة مع ما تحس أنه هو الاتجاه الشعبى الواضح ، على انها ترى مع ذلك استفتاء الشعب للتعرف على رأيه فى هذه المسألة الجوهرية التى هى أقرب إلى أن تكون مسألة شعبية تتعلق بالشعوب من أن تكون مسألة فنية تتعلق بالدستور » .
وبعد أيام أقرت اللجنة المبادىء التالية :
١ - يقوم الى جانب رئيس الجمهورية وهو رئيس الدولة مجلس للوزراء برئاسة رئيس مجلس الوزراء .

٢ ـ ينتخب رئيس الجمهورية من الشعب مباشرة بواسطة هيئة الناخبين التى لها حق انتخاب مجلس النواب .
٣ ـ مدة رئاسة الجمهورية خمس سنوات ميلادية قابلة للتجديد مرة واحدة .
٤ ـ اذا توفى رئيس الجمهورية أو أصبح منصبه شاغرا قبل نهاية مدته لاى سبب حل محله مجلس الشيوخ الى حين انتخاب خلف له .

ورغم كل ما قيل عن مشروع الدستور وأعمال لجانه ، فإن على ماهر ، وباقى أعضاء اللجنة ـ الام ، لم ينتهوا من مناقشته واقراره الا فى اغسطس ١٩٥٤ .

وكان طبيعيا ألا يتغير النظام من ملكى إلى جمهورى قبل الدستور الجديد ، إلا أننى فوجئت بأعضاء مجلس الثورة يطالبون الإسراع بإعلان الجمهورية .

وقد رفضت هذا القرار لأكثر من سبب . .

رفضته لأننى أردت أن يتحول نظام مصر السياسى بنص من الدستور لا بقرار من مجلس القيادة .

ورفضته لأن مجلس القيادة ، لصق القرار بقرار آخر هو تعيين عبدالحكيم عامر قائدا عاما للجيش ، بعد ترقيته من صاغ الى لواء . .

ومن جديد مارس أعضاء المجلس الضغط المكثف على . . وطالبونى بتنفيذ ما اتفق عليه ، من قبل ، وهو ان تكون الأغلبية هى الفيصل فى اتخاذ القرارات وتنفيذها . . وأقنعونى بأهمية أن نبدوا متماسكين أمام الجماهير .

وفى ١٨ يونيو ١٩٥٣ أصبحت أقدم دولة فى العالم ، أحدث جمهورية فى العالم . .

وصدر البيان التالى من مجلس قيادة الثورة :

« لما كانت الثورة عند قيامها تستهدف القضاء على الاستعمار واعوانه وقد بادرت فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ إلى مطالبة الملك فاروق بالتنازل عن العرش لأنه كان يمثل حجر الزاوية الذى يستند اليه الاستعمار . ولكن من هذا التاريخ ومنذ إلغاء الأحزاب وجدت بعض العناصر الرجعية فرصة حياتها ووجودها مستمدة من النظام الملكى الذى أجمعت الأمة على المطالبة بالقضاء عليه قضاء لا رجعة فيه ، وان تاريخ اسرة محمد على فى مصر كان سلسلة من الخيانات التى ارتكبت فى هذا

الشعب وكان من أولى هذه الخيانات إغراق اسماعيل فى ملذاته واغراق البلاد بالتالى فى ديون عرضت سمعتها وماليتها للخراب حتى كان ذلك سببا تعللت به الدول الاستعمارية للنفوذ إلى أرض هذا الوادى الآمن ، الامين ، ثم جاء توفيق فأتم هذه الصورة من الخيانة السافرة فى سبيل محافظته على عرشه فدخلت جيوش الأحتلال أرض مصر لتحمى الغريب على العرش الذى استنجد بأعداء البلاد على أهلها ، وبذا أصبح المستعمر والعرش فى شركة تتبادل المنافع فهذا يعطى القوة لذاك فى نظير المنفعة المتبادلة . . وقد فاق فاروق كل من سبقوه من هذه الشجرة فأثرى وفجر ، وطغى وتجبر ، وكفر فخط لنفسه نهايته ومصيره ، فآن للبلاد أن تتحرر من كل أثر من آثار العبودية التى فرضت عليها نتيجة لهذه الأوضاع . .

أولا ـ فنعلن اليوم باسم الشعب إلغاء النظام الملكى وحكم أسرة محمد على مع الغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة .

ثانيا ـ اعلان الجمهورية وتولى الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد الثورة رئاسة الجمهورية مع احتفاظه بسلطاته الحالية فى ظل الدستور المؤقت الصادر فى ١٠ فبراير ١٩٥٣ .

ثالثا ـ يستمر هذا النظام طوال فترة الانتقال ويكون للشعب الكلمة الأخيرة فى تحديد نوع الجمهورية واختيار شخص الرئيس عند اقرار الدستور الجديد .

« فيجب علينا أن نثق فى الله وفى أنفسنا وأن نحس بالعزة التى اختص بها الله عباده المؤمنين ، والله المستعان ، والله ولى التوفيق » .

وفى نفس اليوم اصدرت القرار الجمهورى رقم واحد :

« اللواء محمد نجيب . . رئيس الجمهورية . .

« بعد الاطلاع على الاعلان الدستورى الصادر فى سبعة من شوال سنة ١٣٧٢ الموافق ١٨ من يونيو ١٩٥٣ آمر بالآتى :

« يعين حضرة الصاغ أركان حرب محمد عبدالحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة ويمنح رتبة اللواء .

وكان القرار الثانى ، تعيين سليمان حافظ مستشارا قانونيا لرئيس الجمهورية بمرتب ٣ آلاف جنيه فى السنة .

وقد عين سليمان حافظ مستشارا لى ، بعد استقالة الوزارة ، وعدل

تشكيلها ، من جديد . . وفى التعديل الجديد عين البكباشى جمال عبدالناصر نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية . . وعين البغدادى وزيرا للحربية . . وعين صلاح سالم وزيرا للإرشاد القومى ووزير الدولة لشئون السودان فى نفس الوقت .

وفور اعلان الجمهورية ذهبت الى الأمير عبدالمنعم الوصى على العرش ، فى منزله ، لإبلاغه الخبر . . لكنه اهتز عاطفيا أمام الخبر . . وبكى وهو يسمع الكلمة الأخيرة فى حكم اسرته .

وبعد أيام من اعلانى رئيسا للجمهورية أثيرث مشكلة خاصة . . هل انتقل إلى قصر عابدين أم أظل فى منزلى المتواضع فى حلمية الزيتون ؟

ورغم أن بيتى كان بسيطا ، ولا يليق بأن يكون بيتا لرئيس جمهورية ، ورغم بعده عن قلب العاصمة ، فقد فضلت البقاء فيه لكى أقنع الآخرين بالتقشف واعطاء المثل لهم .

وعندما قالوا لى :

ـ ان مرتب رئيس الجمهورية سيكون ستة آلاف جنيه سنويا .

أى ٥٠٠ جنيه فى الشهر . .

عرضت ان أتنازل عن نصف هذا المرتب طوال مدة الرئاسة « نظرا لما تتطلبه الدولة من أموال تستدعيها المشروعات الجديدة ، وأنواع الاصلاح المختلفة وما يتبع ذلك من اعباء مالية طائلة على عاتق الدولة » .

واضفت فى رسالة بعثت بها الى وزير المالية والاقتصاد :

« واقر انى لو كنت املك من الموارد الخاصة مايكفى لنفقاتى الفردية لتنازلت عن آخر مليم فى مرتبى ».

وفى ٢٠ يونيو صرح البكباشى جمال عبدالناصر الى رئيس تحرير وكالة الأنباء المصرية :

« ان الشعب كان يتوقع اعلان الجمهورية بمناسبة انقضاء عام على قيام الثورة ، لكننا أردنا أن نسرع بالاستجابة الى الإرادة الشعبية قبل ذلك حتى نضع حدا نهائيا لأى وساوس قد تدور بخلد البعض واكثر من هذا فلا ريب ان تصحيح الأوضاع بان يكون على رأس الدولة مصرى صميم من أبنائها مما يقوى مركزها فى نظر العالم الخارجى بأسره . »

وفى ٢٣ يونيو اقسمت اليمين أمام الوزراء ومجلس قيادة الثورة كرئيس للجمهورية ، وخرجت الى شرفة فى قصر عابدين ، لاشهد الاحتفال الذى اقيم بهذه المناسبة . . وفى هذا الاحتفال أمسك عبدالناصر بالميكرفون ، وطلب من الجماهير التى احتشدت امام القصر ان تردد وراءه يمين الولاء والمبايعة لى . . ثم ردد القسم والجماهير وراءه :

« اللهم إنا نشهدك . . وأنت السميع العليم . . أننا قد بايعنا . . اللواء أركان حرب . . محمد نجيب . . قائدا للثورة . . ورئيسا لجمهورية مصر . . كما أننا نقسم أن نحمى الجمهورية . . بكل ما نملك . . من قوة وعزم . . وأن نحرر الوطن بأرواحنا . . وأموالنا . . وأن يكون شعارنا دائما . . الاتحاد . . والنظام والعمل . . والله على ما نقول شهيد . . والله أكبر . . وتحيا الجمهورية . . والله أكبر والعزة لمصر . »

وفى هذا الاحتفال ألقى الشيخ محمد حسن شيخ الجامع الأزهر كلمة . . ثم تلاه البطريرك يوساب الثانى . . فنائب عن حاخام اليهود حاييم ناحوم . . وفى هذا الاحتفال ، قلت :

أيها المواطنون

فى مثل موقفى هذا خاطب أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، المؤمنين يقول : « أيها الناس ، قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى فى استقامة فأعينونى ، وإذا أسأت فقومونى » ، ولست أجد أفضل من هذه الكلمة التى انطلقت من قلب الصديق الطاهر الى لسانه الشريف أختم بها قولى وأرفعها دعاء الى رب السماوات وربى .

« نعم . . انى لأطلب اليكم ان تسهروا على استقامتى وان تجعلوها اساس حياتى وركن الزاوية فى حكمى وان تعينونى مادمت حريصا عليها وان تقومونى اذا تخليت عنها .

وفى الحقيقة . .

انا لم أفرط فى استقامتى . .

ولم أفرط فى استقامة الثورة . .

لكن . .

غيرى هو الذى فرط .

الفصل التاسع

الضباط يحكمون

- انصار الثورة كانوا أشد ضررا عليها من اعدائها .
- طردنا ملكا وجئنا بثلاثة عشر ملكا آخر .
- عبد الناصر طلب تأمين مستقبل كل منا بعشرة آلاف جنيه بنكنوت جديد .
- حكم الأغلبية فى مركز القيادة كان وراء عجزى عن مواجهة الديكتاتورية النامية .
- عبد الناصر عن النحاس : راجل طيب واللى يتعرض له ما يشفش الخير .
- اتهم عبد الناصر الاخوان بالتعاون مع الانجليز فقرر مجلس الثورة التخلص منهم .

كان للثورة أعداء
وكنا نحن أشدهم خطورة . .
كان كل ضابط من ضباط الثورة يريد أن يملك . . يملك مثل الملك . . ويحكم مثل رئيس الحكومة .
لذلك فهم كانوا يسمون الوزراء بالسعاة ... أو بالطراطير .. أو بالمحضرين .
وكان زملائهم الضباط يقولون عنهم :
ـ طردنا ملكا وجئنا بثلاثة عشر ملكا آخر :
هذا حدث بعد أيام قليلة من الثورة . . هذا حدث منذ أكثر من ٣٠ سنة . .
وأنا اليوم أشعر أن الثورة ، تحولت بتصرفاتهم ، إلى عورة . . وأشعر أن ما كنت أنظر اليهم على أنهم أولادى ، أصبحوا بعد ذلك ، مثل زبانية جهنم . . ومن كنت أتصورهم ثوارا ، أصبحوا أشرارا . .
فيارب ، لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . .
ويارب لا تحاسبنا على ما نقوله ، وانما حاسبنا ان كنا لا نقول الحق .
لقد خرج الجيش من الثكنات . . وانتشر فى كل المصالح والوزارات المدنية . . فوقعت الكارثة التى لا نزال نعانى منها الى الآن فى مصر .
كان كل ضابط من ضباط القيادة يريد أن يكون قويا . . فأصبح لكل منهم « شلة » وكانت هذه الشلة غالبا من المنافقين الذين لم يلعبو دورا لا فى التحضير للثورة . . ولا فى القيام بها . . والمنافق دائما مثل العسل على قلب صاحب النفوذ . . . لذلك فهو يحبه . . ويقربه . . ويتخلص بسببه من المخلصين الحقيقين ، الذين راحوا وراء الشمس ، لأن اخلاصهم كان هما وحجرا ثقيلا على قلوب الضباط من أصحاب الجلالة .
تعددت الشلل والتنظيمات داخل الجيش ، وحول ضباط القيادة .
وبدأ الصراع بين هذه الشلل ، بعد أيام من نجاح الثورة ، وتحول من يومها الى قتال يومي شرس .
وظهرت مراكز القوى ، بعد شهور قليلة ، من قيام الثورة . . داخل مجلس القيادة وخارجه .
ومما لاشك فيه أن جمال عبدالناصر كان أكبر مركز قوة داخل المجلس ، وعندما

ساعده الآخرون فى التخلص منى ، استدار اليهم ، وتخلص منهم واحدا بعد الآخر .

وقوة عبدالناصر فى شخصيته . . وشخصيته من النوع الذى يتكيف ويتغير حسب الظروف . . فهو مرة مع الشيوعيين ومرة مع الإخوان ، وعشرات المرات ضد الجميع ومع نفسه .

لقد خلصتهم من فاروق . . وخلصهم سليمان حافظ من كبار السياسيين والأحزاب . . وخلصهم يوسف صديق من نفسه . . وخلصهم ضباط المدفعية من عبدالمنعم أمين . . وخلصهم ضباط الفرسان من خالد محيى الدين وتخلصوا منى ثم تخلص عبدالناصر من أغلبهم . . وبقى هو وعبدالحكيم عامر وأنور السادات وحسين الشافعى . . أما هو وعامر فقد تخلص منهما اليهود فى حرب يونيو ١٩٦٧ . . وتخلص حسين الشافعى من متاعبهم وبقى فى بيته . . ولم يبق من ضباط الثورة سوى أنور السادات الذى كان يعرف بدهاء الفلاح المصرى ، كيف يتجنب الأهواء والعواصف . . وكان يقول على كل شيء « صح » . . وكانت هذه الكلمة لا تعنى أنه موافق أو غير موافق ، دائما كانت تعنى أنه يفكر وينتظر الفرصة .

هذا هو أسرع ملخص لسيناريو الثورة . .

لكن . . لقطات هذا السيناريو التفصيلية أهم وأمتع بكثير من هذا التلخيص المبتور . .

ولأننى لا أريد التشهير بأحد . . ولأننى لا أحمل فى صدرى أى حقد أو كراهية أو بغض أو ضغينة لأحد منهم . . ولأننى أقول هذا الكلام وأنا على بعد سنتيمترات قليلة من لقاء ربى . . فاننى سأتعرض لبعض الوقائع والانحرافات التى نتجت عن استيلاء الضباط على السلطة ، دون أسماء ولا تواريخ محددة . . وقد لا يحب التاريخ عدم فضح الأشخاص ، لكن الانسانية بالتأكيد معى فى ذلك .

ان أول شيء فعله ضباط القيادة بعد أن استقرت الأمور هو أنهم غيروا سياراتهم الجيب ، وركبوا سيارات الصالون الفاخرة . . للتمييز بينهم وبين باقى الضباط الأحرار . .

وإمعانا فى التمييز بين ضباط القيادة وباقى الضباط الأحرار ، أوحى جمال عبدالناصر لمصطفى أمين بكتابة مقالة بعنوان : « سر الضباط التسعة » . . نشرت هذه المقالة فى جريدة الأخبار ، فى سبتمبر ١٩٥٢ فى الصفحة الأولى بجانب

صورة كبيرة لجمال عبدالناصر ومع بقية المقال فى الصفحة الثالثة نشرت صور باقى ضباط القيادة من أعضاء المجلس . . وفى هذه المقالة طلب جمال عبدالناصر من مصطفى أمين ان يوحى للقارىء بأنه بطل الثورة ورئيسها الذى يختفى فى الظل . . وأنا لم اهتم بهذا الكلام ، لكن الذى اهتم به باقى الضباط الأحرار الذين غضبوا من نشره ، خاصة وان هناك اتفاق قديم فيما بينهم بعدم نشر صورهم فى الجرائد . . ورفض الدعاية . . وانكار الذات .

وأثارت مقالة مصطفى أمين الفتنة بين صفوف الضباط الأحرار ، وحرضت بعض منهم على التمرد والانقلاب ، كما حدث مع ضباط المدفعية . .
وكان ضباط المدفعية قد بدأوا فى رصد انحرافات ضباط القيادة . .
وكانت فضائحهم فى الحقيقة كثيرة . .

فقد ترك أحدهم شقته المتواضعة واستولى على قصر من قصور الأمراء فى جاردن سيتى ، حتى يكون قريبا من احدى الأميرات التى كان قصرها قريبا من ذلك القصر الذى استولى عليه . . وكان لا يتورع أن يهجم على قصرها بعد منتصف الليل ، وهو فى حالة اغماء بسبب الخمر . .
وكثيرا ما طلبتنى الأميرة فى الفجر لانقاذها من ذلك الضابط ، الذى تصور ، على حد تعبيرها ، أنه ملك جديد .

وعندما حاولت أن أثنيه عما يفعل ، قال :
ـ اننا نسترد جزء مما دفعناه لسنوات طويلة .
وللأسف . . كان بعض زملائه ، يضحكون .

وترك ضابط آخر من ضباط القيادة الحبل على الغارب لزوجته ، التى كانت تعرف كل ما يدور فى مجلس القيادة ، وكانت تستغله لصالحها ولصالحه . .
وكانت تتباهى بنفوذها ، وكانت تقول علنا : « الجيش فى يمينى والبوليس فى يسارى » وكان ايجار شقتها ٥٠ جنيها فى وقت كان هذا المبلغ يساوى ايجار بيتى فى عامين .

وفاحت رائحة ثالث ، كان يجرى وراء ناهد رشاد زوجة الطبيب بحرى يوسف رشاد ، طبيب الملك فاروق الخاص ، الذى كون الحرس الحديدى .
وانتشرت هذه الفضائح وغيرها لضباط القيادة . .

وصدمت هذه الفضائح باقى الضباط الأحرار الذين كانوا يتصفون بالمثالية . ولا يرون فى الحياة سوى اللونين الأبيض والأسود . . فحمل بعضهم هذه الفضائح وواجهوا بها ضباط القيادة . . لكنهم لم يسمعوهم . . أو سمعوهم وقرروا التخلص منهم . . وهو ما حدث فعلا مع ضباط المدفعية . . ومع غيرهم . .

وكان لابد حتى يتخلص ضباط القيادة من أصوات المعارضين التى تواجههم ، أن يلفقوا لهم التهم المناسبة للقضاء عليهم . . وتطور أسلوب التلفيق من تحضير شهود الزور ، كما فى قضية المدفعية ، الى العنف والقسوة فى معاملة المعارضين لهم ، داخل السجون ، حتى يعترفوا بجريمة لم يرتكبوها ، كما حدث مع حسنى الدمنهورى .

وفى كل الحالات كان ضباط القيادة هم الخصم والحكم ، كما قلت من قبل . .

وكلما كان أحد المعارضين يسقط أو يضيع ، أو يختفى وراء الشمس ، كلما كان ضباط القيادة يزدادون قوة وعنفا وديكتاتورية . . وإذا زادت قوتهم ، زادت مخالبهم . . واذا زاد عنفهم زادت أنيابهم . . إذا زادت ديكتاتوريتهم زاد انحرافهم . . وهكذا الى أن أصبحوا أباطرة وجلادين .

وذات صباح لا أنساه وقعت مفاجأة مذهلة لا أنساها حتى اليوم . .

كنا أنا وجمال عبدالناصر نركب سيارة ، ونتجه الى نادى الضباط فى الزمالك ، لنهنىء الضباط بعيد الأضحى . . فهمس لى عبدالناصر ، وقال :

ـ أنى أود أن أعرض عليك أمراً ناقشته مع بعض الزملاء .

وانتبهت له . .

وأعطيته كل حواسى . .

فقال :

ـ أعتقد أن ظروفنا الان تفرض علينا أن ننظر الى مستقبلنا ومستقبل الثورة ونحن محاطون بالعواصف والأعداء ولا نعرف مصيرنا معها .

قلت له :

ـ ماذا تقصد بالضبط ؟

قال :

ـ لقد اتخذنا قرارا أرجو أن توافقنا عليه ، وهو أن يأخذ كل عضو من أعضاء

مجلس القيادة مبلغ عشرة آلاف جنيه ، وتأخذ أنت أربعة عشر آلفا فيكون المجموع ١٣٤ الف جنيه . . وقد طلبت من زكريا محيى الدين أن يحجزهم لنا من النقود الجديدة .

أحسست ساعتها بالغيظ . . وغلى الدم فى عروقى . . وارتفع ضغطه فى رأسى . .

ولم أحتمل هذا الحديث ، فصرخت فيه :

ـ أسكت . . أسكت :

وأخذت أعنفه بشدة . . واهاجمه على استباحة أموال الشعب لنا . . ورفضت أن يخلط بين أموال الناس وجيوبنا الخاصة وكدت أن اطلب منه أن ينزل من السيارة . .

فاذا به يضحك ، ضحكة عصبية ، ويرد على وهو مرتبك :

ـ أنا كنت متأكد أنك حترد بالشكل ده .

وبعد أن تماسك وملك نفسه ، قال :

ـ صدقنى أنا كنت بامتحنك :

ولم أصدق بالطبع . .

ولكنى بدأت أعيد النظر فى تصرفاته ، وفى تصرفات زملائه . .

وما حدث من عبدالناصر حدث بصورة أو أخرى من باقى الزملاء فى المجلس .

ففى مرة ذهبت لزيارة أحد أعضاء مجلس القيادة فى منزله ، فوجدت عنده فنانا يصنع له تمثالا ، يكلفه ٢٠٠ جنيه ، وكنت أعرف أن حالته المالية لا تسمح بذلك . . فلفت نظره لما يفعله . . وخرجت غاضباً من بيته الذى أقسمت أن لا أدخله مرة أخرى .

وفى مرة أخرى عرفت أن ضابطا خسر على مائدة القمار مئات الجنيهات فى ليلة واحدة ، وكان هذا الحادث وراء قرارى بتحريم الميسر فى المحلات العامة والخاصة . . ووراء قرارى بتجريم مضاربات البورصة على الموظفين العموميين .

ولاحظت ، مرة ثالثة ، ونحن نتناول طعام العشاء فى مجلس القيادة ، أن بعض أدوات المائدة كانت من الفضة ، ومنقوش عليها عبارة « القصور الملكية » فرفضت أن آكل ، وأمرت باعادة هذه الأدوات الى مكانها الأصلى ، وقررت ابعاد ضابط الشئون الادارية الذى ارتكب هذه الجريمة فى حقنا .

وعلى الفور ، سارعت برفض قبول الهدايا الشخصية ، وأمرت بتحويلها الى المتحف الحربى ، او الى رئاسه الجمهورية .
أردت أن أعطى درسا للآخرين . .
لكن . .
لا أحد منهم كان فى وضع يسمح له أن يرى أويسمع أو يفهم . .
كانوا لايرون أمامهم إلا الحكم . . والنفوذ . . والسيطرة . . واللعب بأقدار البلد ومصائر أهلها . . ومع ذلك لم تكن لهم أى خبرة فى ذلك . . ولم يحاولوا أن يتعلموا . . أو جربوا فى الشعب . . أو تصوروا أن أساليبهم فى القيادة هى نظريات جديدة فى تسيير البلد .
وفى يوم عرفت أن مجلس القيادة اجتمع ، اجتماعا عاجلا ، وسريعا ، حتى أنهم من شدة الأهمية ، ومن ضرورة السرعة ، لم يستدعونى وكان الموضوع الذى سيناقشونه هو : تحديد سعر الطماطم فى السوق . .
وكان بطل هذا الاجتماع صلاح سالم ، الذى اعتبر أن تسعيرة الطماطم فى ذلك الوقت أهم من خروج الانجليز . . أو على الأقل هى الخطوة الأولى لتحرير مصر . .
وانتهى الاجتماع بتحديد سعر الطماطم . . فأرسل صلاح سالم التسعيرة ومعها توجيهات حاسمة الى بعض الضباط لمراقبة تنفيذها فى الأسواق . . بدعوى حماية الجمهور من جشع التجار . . تجار الخضار الذين يفرشون الأرض ، ويجرون عرباتهم الخشبية بأيديهم . . ودون أن يخبروا أجهزة التموين . . وغضب وزير التموين فريد أنطون من هذا التدخل الذى لا معنى له ، ولم يجد مفرا من أن يقدم استقالته ويترك الضباط يرصدون حركة الطماطم والبطاطس والكوسة بأسلحتهم .
وبعد أن استقال وزير التموين ، استقال وزير الخارجية أيضا . .
كان وزير الخارجية فى ذلك الوقت هو فراج طايع . .
وكان السبب تدخل جمال عبدالناصر ، هذه المرة ، فى عمله . .
أراد جمال عبدالناصر أن يعين عزيز المصرى سفيرا لمصر ، وكان عزيز المصرى فوق السبعين من عمره ، أى فى عمر أكبر من الحد الأقصى لسن تعيين السفراء ،

فطلب من وزير الخارجية رفع سن المعاش للسفراء الى ٧٥ سنة ، حتى يجد فرصة لعزيز المصرى . لكن الوزير رفض . . واستقال .
وكاد أن يستقيل أيضا وزير المالية ، د . عبدالجليل العمرى .
وكان السبب هذه المرة جمال سالم .

كان د . العمرى مريضا . . وأراد جمال سالم أن يتدخل فى شئون بورصة القطن بحجة غياب الوزير . . فرفضت . . لكنه أصر وتحت ضغط زملائه ، اتصلت بالدكتور العمرى لابلاغة الخبر فى ثنايا مكالمة تليفونية ، كانت أصلا للاستفسار عن صحته . .
سألته :
ـ ما رأيك فى اتخاذ قرار بشأن أسعار البورصة . . وما رأيك فى . .
وقبل أن أكمل كلامى ، رد الرجل فى حزم :
ـ انى اقدم استقالتى فورا .
فوضعت السماعة على أذن جمال سالم ليسمع بنفسه . . وبعدها تقرر ارجاء الموضوع حتى يشفى الوزير من وعكته الصحية .
ولم يتوقف الانحراف عند ضباط القيادة ، وانما امتد لباقى الضباط من مساعديهم . .
ولم يتوقف تدخل الضباط فى الحياة المدنية عند مستوى القمة وإنما امتد الى المستويات الاخرى . .
فقد سرق بعض الضباط فلوس معونة الشتاء . .
وسرقوا هدايا وبضائع قطارات الرحمة وباعوها علنا . .
وسرقوا فلوس التبرعات الخاصة بالشئون الاجتماعية . .
وسرقوا تحف ومجوهرت وبعض أثاث القصور الملكية . .
وحاولت المستحيل لاعادة الضباط الى ثكناتهم . . وأصدرت قرارات مشددة بذلك . . وتكلمت مع الضباط اثناء زياراتى لهم فى الوحدات ، والتى بلغت فى العام الأول للحركة ٨٦٩ زيارة ، وأفهمتهم خطورة تسربهم للحياة المدنية . .
لكن . .
كل ذلك لم يأت بنتيجة . .

وانتهى الأمل فى ذلك تماما بعد اعلان هيئة التحرير ، التى تولاها ابراهيم الطحاوى واحمد طعيمة ، والتى كانت تجربة تنظيمية للحركة فى صفوف الجماهير ، الأمر الذى فرض عليها الاستعانة بالضباط لاقناع الناس من الأسكندرية الى أسوان .

وبعد اعتقال ضباط المدفعية كان أعضاء مجلس القيادة أشد اصرارا على الظهور بأنفسهم على خشبة المسرح بعد أن كانوا يؤدون أدوارهم خلف الكواليس .

وبدأ أعضاء المجلس يتحولون الى مدنيين يباشرون مسئولياتهم السياسية بعيدا عن صفوف الجيش . .

وبدأنا نعانى من ازدواج السلطات . .

وبدأت أشعر بالضعف أمام الأغلبية فى المجلس . .

وبدأت أشعر أننى لا أمارس سلطاتى كما يجب . .

لقد كنا قد اتفقنا قبل الثورة على أن تصدر القرارات بالأغلبية . . وهو ما نفذ بعد الثورة . . لكن . . كان معنى ذلك أن المجلس هو الذى يحكم فعلا ، بينما أنا مسئول عن هذه القرارات حسب نصوص الدستور المؤقتة . . ورفضت هذا الوضع . . وطالبت إما بممارسة سلطات كاملة وإما أستقيل . . وكانت هذه المطالبة بداية الخلافات الحادة بينى وبين باقى أعضاء المجلس . .

ويبدو أنهم أحسوا بأن ذلك سيسحب البساط من تحت أقدامهم ، خاصة وأن شعبيتى فى مصر والسودان كانت قد وصلت للذروة . . فبدأ الشك يقف بينى وبينهم . . ثم . . وقعت مفاجأة أخرى . .

لاحظت أنهم يعقدون جلسات المجلس بدونى . .

ولاحظت أننى اذا حضرت بالصدفة وهم يجتمعون ، توقفوا عن الكلام ، وغيروا الحديث ، واتجهوا الى متسائلين عن ما يجب مناقشاته . .

ولاحظت أنهم اصبحوا يجتمعون فى أماكن أخرى ، بعيدة عنى ، خارج مقر المجلس . .

ويبدو أننى كنت بريئا أكثر من اللازم . . فلم اتصور أنهم يحاولون ابعادى أو عزلى ، وإنما تصورت أن ما يفعلونه سببه فارق السن الذى بينى وبينهم والذى تصورت أنه بدأ يلعب دوره . .

لم أتصور أن هناك بينى وبينهم تناقضات أو خلافات ، أو أشياء من هذا القبيل . . وكما قلت قبل ذلك :

« دفعنى هذا الاعتقاد الى الحذر . . بل الحذر الشديد . . مما دفعنى الى ارتكاب خطأ ... بل خطأ جسيم .

بلغنى يوما من مصدر خارج الجيش أن خالد محيى الدين وثروت عكاشة غير راضيين عن تصرفات جمال عبدالناصر الذى بدأ ينفرد بنفوذه ويشكل قوة خاصة داخل المجلس . . وأنهما يعانيان من تأثيره على بعض الأعضاء وإطلاقه جمال سالم مثلا للهجوم على كل من يعترضه بينما هو صامت لا يظهر انفعالا .

وقال المصدر :

ـ ان خالد وثروت مستعدان لتأييدى فى مواقفى داخل المجلس وخارجه . وأحسست وقتها أن فخا ينصب لى وأنى على وشك الوقوع فيه . . إنى منذ اللحظة الأولى لم اطلب تأييد واحد منهم ولم أحاول تشكيل شلة من بينهم ولم أجابهم الا بالصراحة وبكل ما فى قلبى . . وخشيت أن أتورط فى المواقف فأزيد من الاثارة والتمزق .

وحاولت أن أكشف الحقيقة عن طريق تفجير الموقف . . فرويت القصة كاملة فى احدى اجتماعات المجلس . . وكانت صدمتى شديدة عندما تبينت ان ذلك لم يكن اتفاقا مدبرا بينهم ، وأن صراحتى قد وضعت خالد وثروت فى موقف حرج . .

ولكن عذرى فى ذلك كان شعورى . . بل يقينى من أن جمال عبدالناصر كان مواصلا عمله التنظيمى داخل الجيش بعناصر مرتبطة به ، بعضها من الضباط الأحرار والبعض من العناصر الجديدة ، وكذلك ما أعلمه علم اليقين عن العلاقة الوثيقة التى تربط جمال عبدالناصر بخالد محيى الدين . .

كان عبدالناصر بالفعل قد طلب تحديد خلايا الضباط الأحرار فى الجيش ، بعد الثورة ، وأن تقوم هذه الخلايا بكتابة التقارير عن الحالة داخل الوحدات ، كما أن من المهام التى كلفها بها ، الدعوة لأى قرار يتخذ فى المجلس ، كما حدث مثلا بعد إقالة رشاد مهنا . . لكن . . هذه الخلايا لم يكتب لعملها النجاح بعد أن فقد أعضائها الايمان برجال القيادة ، بسبب الفضائح التى اشيعت عنهم . . والانحرافات التى نسبت لهم .

وكنت أرفض هذا الأسلوب ، وحذرت جمال عبدالناصر منه بصراحة ،

وطلبت منه حل كل التنظيمات السرية التى كونها داخل الجيش ، . والأكتفاء بالتنظيمات العلنية خارجه .

كنت أرى أن وجود التنظيمات السرية داخل الجيش سيؤدى الى التصادم والاشتباك فيما بينها وربما الى الانقلابات أيضاً . . وقد حدث ما توقعته . . ووقعت حركة المدفعية . . وبعدها جاء تمرد الفرسان .

وعندما رفض عبدالناصر وجهة نظرى ، مستندا فى ذلك . الى أن ما يفعله يمثل قرار الأغلبية فى المجلس ، أجلت بحث هذا الموضوع ، حتى ننتهى من علاج مشكلة أخرى ، هى مشكلة الازدواجية بين الحكومة والمجلس .

ناقشت هذه المشكلة مع د . السنهورى وسليمان حافظ ، واتفقنا على تشكيل لجنة اتصال دائمة بين الحكومة والمجلس ، تقوم بالتحكيم بينها اذا ما وقع الخلاف . وشكلت اللجنة برئاستى ، وعضوية سليمان حافظ ، ود . عبد الجليل العمرى ، وأحمد حسنى ، وفؤاد جلال ، والشيخ أحمد حسن الباقورى ، عن الوزارة وجمال عبدالناصر ، وجمال سالم وعبدالحكيم عامر ، وعبداللطيف البغدادى ، عن المجلس . . وكانت هذه اللجنة تجتمع فى ثكنات قصر النيل .

وكانت اجتماعاتها سرية .

وظلت لجنة التحكيم قائمة حتى أعلن إسقاط دستور ١٩٢٣ ، فاستعيض عنها بمؤتمر مشترك من كل الوزارة وكل المجلس ، يجتمع كل أسبوعين ، علنا . فى اللجنة كان الوزراء والضباط يجلسون بالتبادل . . وزير ثم ضابط . . وهكذا . . وفى المؤتمر كان الوزراء يجلسون فى جانب . . وكان الضباط يجلسون أمامهم على الجانب الآخر .

على ان كل هذه المحاولات لم تنجح فى سد ثغرة الازدواجية بين المدنيين والعسكريين ، ولا بين الوزارة ومجلس القيادة . . حتى أن سليمان حافظ فى أحد أجتماعات المؤتمر المشترك ، فى مايو ١٩٥٣ ، أعلن ذلك بصراحة ، وطلب من الوزراء المدنيين أن يستقيلوا فوراً ، ليعطى الفرصة لمجلس القيادة فى اختيار الحكومة المناسبة له .

كان سليمان حافظ عسكريا أكثر من العسكريين . .

وكان هذا التصرف منه تأكيدا على أن الأولى بالسلطة هم الضباط ، وأن عليهم أن يتصرفوا كما يحلو لهم .

وعارضت الأمر . .
ولم أقبل استقالة الوزراء المدنيين . .
وتركت الموقف على حاله . .

وكما عرفت بعد ذلك ، كانت « حركة » سليمان حافظ ، المباغتة ، تمهيدا لاعلانى رئيسا للجمهورية ولابعادى عن الجيش ، ووضع سلطة التصرف فيه الى عبدالحكيم عامر ، الذى رقى ، رغم معارضتى ، من صاغ الى لواء ، وأصبح القائد العام للقوات المسلحة .

ولاحظت ، بعد ذلك ، أيضا ، أن الرقة والمجاملة والمعاملة الحسنة أصبحت ، طابع العلاقة بينى وبين أعضاء المجلس . . ووصل الأمر الى حد أن جمال عبدالناصر ، وقف يخطب فى ابناء قريته بنى مر ، وكنا فى زيارة لها ، فقال : « باسم ابناء هذا الأقليم أرحب بك من كل قلبى وأعلن باسم الفلاحين أننا آمنا بك ، فقد حررتنا من الفزع والخوف وآمنا بك مصلحا لمصر ونذيرا لأعدائها . . سيدى القائد . . باسم الفلاحين أقول سر ونحن معك جنودك فقد حفظنا أول درس لقنتنا اياه وهو أن تحرير مصر وخروج قوات الاحتلال عن بلادنا أمر واجب وأصبحت أملا فى أن تحقق لمصر حريتها على يديك . إن مصر كلها تناصرك للقضاء على قوات الاحتلال .

لكن هذه النغمة الرومانسية سرعان ما تلاشت ، بعد أن أصبحت رئيسا للجمهورية ، وعادت الخلافات تسعى من جديد بينى وبين باقى أعضاء المجلس . .

وكان أول خلاف بيننا فى تلك الفترة حول محكمة الثورة . . لأننا سنكون ، كما قلت ، خصما وحكما فى نفس الوقت . .

وتشكلت المحكمة فى أوائل سبتمبر ١٩٥٣ ، من عبداللطيف البغدادى رئيسا ، وحسن ابراهيم وأنور السادات أعضاء . . وخولت هذه المحكمة سلطات محاكمة قضايا الخيانة العظمى وبعض قضايا أمن الدولة . . وكان من حقها ان تكون جلساتها علنية أو سرية . . أما احكامها فلا تكون نهائية الا اذا صدق عليها مجلس الثورة بأغلبية الأصوات .

ولم تكن هذه المحكمة سوى أسوأ دعاية للثورة . . فقد أشاعت الكراهية لنا

بعد إعادة اعتقال بعض الزعماء والسياسيين الذين سبق الافراج عنهم . . حتى انني نجحت فى الغائها بعد ذلك . .

لكن بين ٢٦ سبتمبر ١٩٥٣ و ٣٠ يونيو ١٩٥٤ ، نظرت المحكمة ٣١ قضية ، وحكمت على ٤ أشخاص بالخيانة العظمى والاعدام ، ونفذ فيهم الحكم فعلا . . وكان خامسهم ابراهيم عبدالهادى رئيس وزراء مصر الأسبق ، الذى حكم عليه بالاعدام أيضا ، لكننى خففت الحكم ، عندما طلبوا التصديق عليه ، الى الأشغال الشاقة . . وساعتها قلت لأعضاء المجلس :

ـ إنى أفضل أن يلتف حبل المشنقة حول عنقى دون أن أصدق على هذا الحكم .

وسافرت الى الاسكندرية وأنا أنوى عدم العودة الى الحكم ، احتجاجا على هذا الأنزلاق الخطير . . وبقيت فى ثكنات مصطفى كامل هناك . . وحتى لاتثار بلبلة بين الناس ، أعلنت أن اعتكافى فى الاسكندرية هو اعتكاف صحى . . كان ذلك يوم الأحد ٤ اكتوبر ١٩٥٣ ، وبعد يومين صدرت نشرة طبية من ديوان كبير الأطباء ، جاء فيها :

« شعر السيد رئيس الجمهورية بعد ظهر الأحد ٤ أكتوبر بانحراف فى صحته مما استدعى توقيع الكشف الطبى عليه ، ووجد أن سيادته يشكو من اجهاد عام يستلزم الراحة التامة بالفراش لبضعة أيام ، وصحة سيادته الآن فى تحسن مطرد والحمد لله » .

وأحس أعضاء المجلس بالذعر والارتباك من تصرفى . .

لكنهم انبسطوا من حكاية الاعتكاف الصحى هذه . .

ففى نفس اليوم خرج صلاح سالم ، الذى كان وزيرا للارشاد ، بعد انتهاء المؤتمر المشترك ، ليعلن :

ـ أن الرئيس لواء أ . ح محمد نجيب مازال مريضا فى الأسكندرية وملازما الفراش باستراحة ثكنات مصطفى باشا وأنه يشكو من مرض بسيط ، وقد نصحه الأطباء بعدم مغادرة الفراش حتى يوم الجمعة القادم .

وانزعج جمال عبدالناصر من موقفى ، فسافر لى الى الاسكندرية وكان معه عبدالحكيم عامر ، وزكريا محيى الدين ، وأحمد أنور قائد البوليس الحربى ، وأبلغونى ان المجلس وافق على رأيى ، وخفف حكم الاعدام على ابراهيم عبدالهادى الى الأشغال الشاقة المؤبدة . .

وفى ٨ أكتوبر ، بعد انتهاء الأزمة ، صدرت نشرة طبية اخرى ، جاء فيها : أن

صحتى قد تحسنت تحسنا ملموسا ، تمكننى من مقابلة الزوار والسفراء فى مكتبى بالقاهرة .

لكن . . ما كادت هذه الازمة تنتهى حتى ظهرت أزمة اخرى . .

قدم جمال عبدالناصر لمجلس الثورة ، بصفته وزيرا للداخلية ، كشفا بأسماء بعض الزعماء السياسيين ، الذين رأى أنهم خطر على النظام ، ورأى ان من الضرورى اعتقالهم . . وكان من بينهم مصطفى النحاس ، الذى طلب تحديد إقامته . .

ورفضت . . ووافقنى المجلس على رفضى . . وشطب اسمه من الكشف . .

ووقعت الكشف . . لكنى فوجئت بأنهم أعادوه للكشف بعد توقيعى . .

واعتبرت ذلك تزويرا لا يمكن السكوت عليه . . وطلبت شطب النحاس من جديد . . فقال جمال عبدالناصر :

ـ ان شطب أسم النحاس بعد نشر الكشف فى الصحف يزيد الموقف بلبلة

وتعجبت من تصرف عبدالناصر . .

وتعجبت من موقفه من النحاس ، الذى سبق ان قال لى عنه :

ـ أنه رجل طيب واللى يتعرض له ما يشوفش خير .

ومرة اخرى اعتكفت فى بيتى . .

كان ذلك فى ٢١ أكتوبر ، وصدرت نشرة طبية آخرى تقول :

أننى أعتكفت فى بيتى « بسبب انحراف مفاجىء » الم بصحتى فى الصباح ، لم يمكننى من « الذهاب الى القصر الجمهورى بعابدين » وتأجلت جميع مقابلاتى الرسمية وكان منها مقابلة سفير العراق ، ووزير استراليا المفوض .

إلى هذا الحد كنت ارفض قرارات المجلس ، سواء منه مباشرة ، أو التى يصدرها من خلال محكمة الثورة .

فقد شملت هذه القرارات الكثير من فئات الشعب . . وزادت من حجم أعدائنا . . وضاعفت من كراهية الناس لنا خاصة قرارات محكمة الثورة . . التى حكمت بمصادرة ٣٢٢ فدانا من أملاك زينب الوكيل ، حرم النحاس باشا . . وحكمت على الدكتور أحمد النقيب ، وعلى سائق الملك فاروق ، وعلى كامل القاديش محافظ القاهرة الأسبق ، بالسجن لمدة ١٥ عاما . . وحكمت على أربعة من الصحافيين ، منهم أبوالخير نجيب صاحب جريدة « الجمهور المصرى » ، ومحمود أبوالفتح صاحب جريدة « المصرى » بالمؤبد ، وبمصادرة صحفهم ، بتهمة افساد الحياة السياسية .

ويضاف الى هذه القرارات ، قرارات اخرى صدرت ، رغم أننى رفضت التوقيع عليها . . منها القرار الجمهورى ، الذى لم أوقعه بسحب الجنسية المصرية من ستة مصريين من الاخوان المسلمين منهم عبدالحكيم عابدين ، والذى صدر من ورائي ، ونشر باسمى فى الوقائع المصرية .

وزاد الصدام بينى وبين أعضاء المجلس ، عندما اكتشفت أنهم ينقلون الضباط دون مشورتى . . وعندما قرروا تعيين جمال سالم وزيرا للمواصلات ، وزكريا محيى الدين وزيرا للداخلية على أن يتفرغ جمال عبدالناصر لنيابة رئاسة الوزراء . . وكمال الدين حسين وزيرا للتربية والتعليم . . أو وزيرا للشئون الاجتماعية ، بعد أن اعترضت .

ووصل العبث والاستخفاف الى حد أن زكريا محيى الدين رفض اداء اليمين الدستورية أمامى ، وكذلك جمال سالم . . والى حد ان تنازل المجلس عن صلاحياته وسلطاته الى جمال عبدالناصر ، فى حالة عدم انعقاده . . وهذا ما دفع عبدالناصر للتنازل عن منصب وزير الداخلية لزكريا محيى الدين ، ولينفرد ، أيضا، بعمله نائبا لرئيس الوزاراء .

وانتقل الاحساس بالسخط على عبدالناصر ومجموعته من خارج الجيش الى داخله أيضا . . فقد بدأوا حركة كبيرة من التنقلات والوقف والترقيات الاستثنائية ، جعلت أغلبية الشرفاء فى الجيش يحتجون على تصرفاتهم . .

ووصل الأمر بهم الى حد أن ضرب صلاح سالم بحذائه ضابط مخابرات شاب اسمه محمد وصفى ، ابن الأمير الاى وصفى مدير سلاح الحدود الاسبق ، أثناء التحقيق معه ، حتى نزف الدم منه ، ومات بعد ذلك .

ثم . . قرر عبدالناصر ابعاد من يتصور أنهم أنصارى ، أو من الممكن أن يقفوا معى فى أى صدام يقع بينى وبينهم ، فأمر بنقل عدد كبير منهم الى الصعيد ، وحدث نفس الشيء مع ضباط البوليس ، وتولى هذه المهمة نيابة عنه ضابط مصلحة السجون السابق صلاح دسوقى ، الذى كان مقربا من عبدالناصر فى ذلك الوقت ، وعينه أركان حرب الوزارة وأعطاه صلاحيات الوزير لكى لايترك زكريا محيى الدين ينفرد بها .

والمعروف ان صلاح الدسوقى ظل تابعا لعبدالناصر ١٥ سنة ، أصبح خلالها محافظا للقاهرة ثم سفيرا ، حتى تخلص منه ، فترك مصر ورفض العودة اليها .

وذات يوم طلب عبدالحكيم عامر ، بصفته قائد عام القوات المسلحة ، من قائد حرسي اليوزباشي محمد أحمد رياض ان يسافر للعلاج . فى أمريكا لأنه مريض . .

ورفض رياض السفر وتعجب من القرار ، لأنه ليس مريضا ولم يشك حتى من الأنفلونزا . .

كانوا يريدون أبعاده عنى لأنه كان من أشد المخلصين لى . .

ورفضت أنا أيضا أن يسافر . .

لكن . . . عندما علمت أنهم يدبرون لاغتياله فى مصر طلبت منه السفر فورا الى أمريكا .

كان عبدالناصر وشلته يسعون علنا للانفراد بالسلطة . . كانوا يفعلون كل شىء لفرش الأرض وتمهيدها لذلك . .

بعد أن تخلصوا من الضباط الأحرار الذين لم يتبعوهم ، سعوا للتخلص من الضباط الآخرين الذين يتبعونى . . وبعد أن كمموا أفواه المدنيين ، سعوا الى تشريد العسكريين . . وبعد أن كانوا يقربون الشرفاء اصبحوا يقربون المنافقين وماسحى الجوخ . .

ورغم كل ذلك ، لم أحاول أن أفعل مثلهم . . ولم أحاول أن أواجههم بنفس اساليبهم القذرة . . فلم تكن أخلاقى لتسمح بذلك كما أننى كنت أسعى جاهدا أن أغطى صورتهم المشوهة أمام الناس ، حتى لايفقدوا ما تبقى من ايمانهم بالثورة . . فهل كان هذا خطأى الكبير؟

الله أعلم !

هل أنا المسئول ، عن ما حدث لمصر على أيديهم بعد ذلك ؟

أظن أنى مسئولا ؟

لقد تصورت ببراءة أن ما يفعلونه لابد وأن يكشفهم ويفضحهم ويعزلهم داخل الجيش وأمام الشعب . .

وكان هذا هو نفسه تصور خالد محيى الدين . .

وأنا لم أعرف عنه ذلك إلا بعد أن اقتربت منه فى رحلة الى النوبة ، حيث كان الوحيد الذى قبل أن يسافر معى هذه الرحلة :

فعندما أفرغت له ما فى صدرى ، وعبرت له عن معاناتى من باقى أعضاء مجلس الثورة ، وعن الأحاسيس المظلمة التى أشعر بها والتى أرى من خلالها أن تصرفاتهم المشينة ستؤدى بالبلد الى كارثة على كافة المستويات ، السياسية والاقتصادية وأيضاً الأخلاقية ، فوجئت به يشاركنى فى الرأى ، ويؤيدنى فيما أقوله ، ويضيف لى من عنده ما كنت لا اعرفه .

وكما قلت من قبل :

« فتح خالد محيى الدين صدره لى وتبادلنا الآراء ، واتفقنا على أنه لا مفر من عودة الجيش الى الثكنات لتستقيم الأمور فى البلاد بعد أن وصلت الى حافة الهاوية .

« وروى لى خالد محيى الدين قصة عزل البكباشى ثروت عكاشة من رئاسه تحرير مجلة « التحرير » وكان قد تولاها بعد اليوزباشى أحمد حمروش الذى عزل أيضاً بدعوى أنه يسارى ، ثم أعتقل بعد ذلك مع رشاد مهنا ومجموعة المدفعية وأمضى فى المعتقل ما يقرب من شهرين ثم خرج دون اتهام . . ولكنها كانت صورة من صور ضرب اليسار واليمين لارهاب الضباط مما زاد من عزلة ضباط القيادة .

وكما قلت من قبل كان ثروت عكاشة قد كتب مقالا فى مجلة التحرير عن الخطة التى نفذت فى ٢٣ يوليو بمناسبة مرور العام الأول على الثورة ذكر فيه ما يعرفه عن الخطة وتنفيذها ولم يذكر شيئا عن صلاح سالم الذى كان وزيرا للارشاد فى ذلك الوقت ، وأعتبر صلاح سالم ذلك تعريضا به وأصر على أخراج ثروت عكاشة من المجلة ، وهو الذى قام بدور بارز مع زملائه ضباط الفرسان فى الحركة .

البعض منهم كان فى العريش . . صلاح سالم وجمال سالم . . وضابطا الطيران عبداللطيف البغدادى وحسن إبراهيم لم يذهبا الى القاعدة الجوية الا فى الصباح حيث يمكن استخدام الطائرات . . وجمال عبدالناصر وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين كانوا مدرسين فى كلية أركان الحرب . . والذين شاركوا من أعضاء المجلس فى تحريك وقيادة القوات فعلا هم يوسف صديق وحسين الشافعى وخالد محيى الدين وعبدالمنعم أمين .

« ومع ذلك انضم زكريا محيى الدين الذى كلف بخطة العملية الى قوات الفرسان والكتيبة ١٣ مشاة وانضم كمال الدين حسين الى قوات المدفعية . . أما جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر فكانا ليلة الانقلاب مرتدين الملابس المدنية ، وقد اعتقلتهما قوات يوسف صديق فى شارع السلطان حسين بمصر الجديدة عندما

كانا يحومان حول القوة للتعرف على هويتها وهل كانت موالية أو معادية ، الى أن أفرج عنهما يوسف صديق .
وكما قلت من قبل :

كان خالد محيى الدين متعاطفاً مع ثروت عكاشة الذى خرج معه ليلة ٢٣ يوليو وكان فى غضب شديد من أن كتابة حقيقية تاريخية لا تسيء الى أحد تكون نتيجتها إبعاد الكاتب عن موقعه . . ولكنه كان شديد الثقة بالمستقبل وبضباط سلاح الفرسان .

فى هذه المرحلة اقترب خالد محي الدين من قلبى كثيرا واتفقنا على شيء واحد هو ضرورة استقرار حياة ديمقراطية فى مصر ، مع عودة الجيش الى الثكنات . . ولم نتفق على اقامة تنظيم خاص ، كما كان يفعل جمال عبدالناصر ، وتركنا الأمور تمضى فى طبيعتها يملأنا التفاؤل من تأييد الجماهير الواضح للديمقراطية . . ومن نقمة الضباط المتزايدة على تصرفات أعضاء مجلس القيادة والقلة المقربة منهم .
وعدت الى القاهرة أكثر تفاؤلا مما سافرت . .

وسحبت من رأسى الأفكار الخاصة بتقديم استقالتى ، والتى كثيرا ما راودتنى خلال الشهور الأخيرة قبل رحلة النوبة ، واعتبرت الاستقالة هى اعطاء الفرصة كاملة لديكتاتورية عبدالناصر لكى تسود وتسيطر وتطيح بما تبقى من أمل ديمقراطى .

واعتبرت الانسحاب من موقعى اجهاز على التيار الرافض لتصرفات القيادة ، والذى كان يتزايد يوما بعد آخر ، فى الشارع ، وفى الجامعات ، وفى التنظيمات النقابية والعمالية ، ومن خلال جماعة الإخوان المسلمين . . القوة المنظمة الوحيدة التى بقيت على الساحة بعد حل الأحزاب .
ويبدو أن المجلس أحس بخطورة الإخوان فى ذلك الوقت فقرر التخلص منهم وحل جماعتهم .

واعترضت . .
اعترضت لأن عبدالناصر سبق أن أستثنى الاخوان عند حل الاحزاب واعتبرهم جماعة لا حزبا ، وذهب مع حسن الهضيبى يومها الى سليمان حافظ ليقدما مذكرة له تعفيهم من تطبيق قانون الاحزاب .

قلت لعبدالناصر :
ـ لنحافظ على كلمتنا . . لنحافظ على مبادئنا !
لكنه قال :
ـ انهم يتآمرون علينا !
وفى ١٥ يناير ١٩٥٤ ، بعد عام من حل الأحزاب ، تقريبا ، صدر قرار حل الاخوان المسلمين بأغلبية الأصوات ، وفى نفس اليوم اعتقل ٤٥٠ عضوا من الإخوان .
وصدر بيان طويل من المجلس يبرر ذلك القرار .
جاء فيه :
وفى شهر مايو سنه ١٩٥٣ ثبت لرجال الثورة أن هناك اتصالا بين بعض الإخوان المحيطين بالمرشد وبين الإنجليز عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف فى شركة النقل والهندسة وقد عرف البكباشى جمال عبدالناصر من حديثه مع الاستاذ حسن العشماوى فى هذا الخصوص أنه حدث اتصال فعلا بين الاستاذ منير الدالة والاستاذ صالح أبو رقيق ممثلين عن الاخوان وبين المستر إيفانز المستشار الشرقى للسفارة البريطانية وأن هذا الحديث سيعرض حينما يتقابل البكباشى جمال والمرشد . وعندما التقى البكباشى جمال مع المرشد أظهر له استياء من اتصال الإخوان مع الانجليز والتحدث معهم فى القضية الوطنية الأمر الذى يدعو الى التضارب فى القول وإظهار البلاد بمظهر الانقسام .
وجاء فى البيان :
« وفى أوائل يونيو سنة ١٩٥٣ ثبت لإدارة المخابرات أن خطة الإخوان قد تحولت لبث نشاطها داخل قوات الجيش والبوليس وكانت خطتهم فى الجيش تنقسم الى قسمين : القسم الأول ينحصر فى عمل تنظيم سرى تابع للاخوان بين ضباط الجيش ودعوا فيه عددا من الضباط الأحرار وهم لا يعلمون أنهم من الضباط الأحرار ، فسايروهم وساروا معهم فى خططهم وكانوا يجتمعون بهم اجتماعات اسبوعية وكانوا يتحدثون فى هذه الاجتماعات عن الإعداد لحكم الإخوان المسلمين والدعوة الى ضم أكبر عدد من الضباط ليعملوا تحت امرة الاخوان وكانوا يأخذون عليهم عهدا وقسما أن يطيعوا ما يصدر اليهم من أوامر المرشد .
« أما القسم الثانى فكان ينحصر نشاطه فى عمل تشكيلات بين ضباط البوليس

وكان الغرض منها هو اخضاع نسبة كبيرة من ضباط البوليس لأوامر المرشد أيضاً . وكانوا يجتمعون فى اجتماعات دورية اسبوعية وينحصر حديثهم فى الحقد والكراهية لرجال الثورة ولرجال الجيش وبث الدعوة بين ضباط البوليس بأنهم أحق من رجال الجيش بالحكم نظرا لاتصالهم بالشعب . وكانوا يمنونهم بالترقيات والمناصب بعد أن يتم لهم هدفهم وكان يتزعمهم الصاغ صلاح شادى الذى طالما ردد فى اجتماعاته أنه وزير الداخلية المقبل .

وجاء فى البيان :

« وفى يوم الأحد ١٠ يناير سنة ١٩٥٤ ذهب الاستاذ حسن العشماوى العضو العامل بجماعة الاخوان المسلمين وأخو حرم منير الدالة الى منزل المستر كروزيل الوزير المفوض بالسفارة البريطانية ببولاق الدكرور الساعة السابعة صباحا ثم عاد لزيارته أيضاً فى نفس اليوم فى مقابلة دامت من الساعة الرابعة بعد الظهر الى الساعة الحادية عشرة من مساء نفس اليوم وهذه الحلقة من الاتصالات بالانجليز تكمل الحلقة الأولى التى روى تفاصيلها الدكتور محمد سالم .

وجاء فى البيان :

« وكان اخر مظهر من مظاهر النشاط المعادى الذى قامت به جماعة الاخوان هو الاتفاق على إقامة احتفال بذكرى المينسى وشاهين يوم ١٢ الجارى فى جامعتى القاهرة والاسكندرية فى وقت واحد وأن يعملوا جاهدين لكى يظهروا بكل قوتهم فى هذا اليوم وأن يستغلوا هذه المناسبة استغلالا سياسيا فى صالحهم ويثبتوا للمسئولين أنهم قوة وأن زمام الجامعة فى أيديهم وحدهم وفعلا تم اجتماع لهذا الغرض برئاسة عبدالحكيم عابدين حضره الاستاذ حسن دوح المحامى ومحمود أبو شلوع ومصطفى البساطى من الطلبة واتفقوا على أن يطلبوا من الطلبة الاخوان الاستعداد لمواجهة أى احتمال يطرأ على الموقف خلال المؤتمر حتى يظهروا بمظهر القوة وحتى لا يظهر فى الجامعة أى صوت غير صوتهم وفى سبيل تحقيق هذا الغرض اتصلوا بالطلبة الشيوعيين رغم قلتهم وتباين وجهات النظر وعقدوا معهم اتفاقا وديا يعمل به خلال المؤتمر .

وأضاف البيان :

« وفى صباح ١٤ الجارى عقد المؤتمر وتكتل الاخوان فى حرم الجامعة وسيطروا

على الميكرفون ووصل الى الجامعة أفراد منظمات الشباب من طلبة المدارس الثانوية ومعهم ميكرفون مثبت على عربة للأحتفال بذكرى الشهداء فتحرش بعض الطلبة الاخوان وطلبوا إخراج الميكرفون الخاص بمنظمات الشباب وانتظم الحفل والقيت كلمات من مدير الجامعة والطلبة وفجأة إذا ببعض الطلبة من الإخوان يحضرون إلى الإجتماع ومعهم نواب صفدى زعيم فدائيين اسلاميين فى ايران حاملينه على الأكتاف وصعد إلى المنصة وألقى كلمة وإذا بطلبة الإخوان يقابلونه بهتافهم التقليدى الله أكبر ولله الحمد .. وهنا هتف طلبة منظمات الشباب « الله أكبر والعزة لمصر » فساء طلبة الإخوان أن يظهر صوت فى الجامعة مع صوتهم فهاجموا الهاتفين بالكرابيج والعصى وقلبوا عربة الميكرفون وأحرقوها وأصيب البعض باصابات مختلفة ثم تفرق الجميع الى منازلهم .

حدث كل هذا فى الظلام وظن المرشد العام وأعوانه أن المسئولين غافلون عن أمرهم لذلك نحن نعلن باسم هذه الثورة التى تحمل أمانة أهداف هذا الشعب أن المرشد العام ومن حوله قد وجهوا نشاط هذه الهيئة توجيها يضر بكيان الوطن ويعتدى على حرية الدين . ولن تسمح الثورة أن تتكرر فى مصر مأساة باسم الدين ولن تسمح لأحد أن يتلاعب بمصائر هذا البلد لشهوات خاصة مهما كانت دعواه ولا أن يستغل الدين فى خدمة الاغراض والشهوات وستكون إجراءات الثورة حاسمة وفى ضوء النهار وأمام المصريين جميعا والله ولى التوفيق .

لم أكن موافقا على حل الأخوان ..

ولم أكن موافقا على البيان ..

وأحسست أن موقفى أصبح فى غاية الحرج .. هل أنا موافق على كل هذا ؟

هل أنا رافضه وغير مقتنع به ؟ .. أين أنا من كل هذا بالضبط ؟

ولم أجد مفرا من أن أقدم استقالتى !